



# مجلة كلية الآداب

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن كلية الآداب بجامعة الزاوية

الجزء الثاني

- ✿ الصحابييات والممارسة السياسية " في عهد النبوة " .
- ✿ التداولية ( النظرية والنشأة) .
- ✿ الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد .
- ✿ المبادئ التربوية ودورها في رسم السياسات التعليمية في ليبيا .
- ✿ الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي .

مجلة كلية الآداب  
لصف سنوية علمية محكمة - جامعة الزاوية

الجزء الثاني

العدد العشرون - ديسمبر 2015م

العدد العشرون - ديسمبر 2015م

**مجلة كلية الآداب**  
**مجلة علمية محكمة نصف سنوية**  
**تصدر عن كلية الآداب**  
**بجامعة الزاوية**

**العدد العشرون**

**الجزء الثاني**

**ديسمبر 2015 م**

تمت عمليات الجمع المرني والطباعة برؤية للطباعة والدعاية والإعلان  
ليبيا - الزاوية - شارع عبد المنعم رياض - هـ 0925031603

# هيئة التحرير

رئيس التحرير : د. المختار عثمان العفيف

مراجعة لغوية : أ. عز الدين علي الذيب

## الهيئة الإستشارية

د. عائشة أحمد حسن      د. حسن مولود الجبو  
د. سالم مصطفى القريض      د. عمارة امحمد أبوزيد  
د. محمد عبد المجيد حسنات      د. أنور الرماح الشريف

## المراسلات :

ترسل المراسلات باسم رئيس التحرير – جامعة الزاوية

هـ و فاكس : 023-626881

[www.aladab.zu.edu.ly](http://www.aladab.zu.edu.ly)

السعر : ديناران أو ما يعادلها خارج ليبيا

# قواعد النشر

- 1- تنشر مجلة " كلية الآداب " الأبحاث الأصلية والمبتكرة التي تتسم بالجدة والدقة والمنهجية، ولم يسبق نشرها في أي مطبوعة أخرى، وليست جزء من رسالة الماجستير أو الدكتوراه للباحث.
- 2- تخضع جميع البحوث المقدمة للنشر إلى الفحص العلمي بشكل سري من قبل متخصصين، وتحدد صلاحيتها للنشر بناء على رأي لجنة التحكيم.
- 3- يجب أن يتقيد الباحث بالمنهجية، وأصول البحث العلمي، وأن يُشير إلى الهوامش والمراجع في المتن بأرقام، وترد قائمتها في نهاية البحث لافي أسفل الصفحة.
- 4- يجب أن يُقدم البحث مطبوعاً بالحاسوب من نسختين، مرفقاً معهما قرص "CD" يتضمن البحث المطلوب نشره.
- 5- يجب أن يكتب الباحث اسمه، وعنوان البحث، ومكان عمله، ودرجته العلمية في ورقة مستقلة، ويعاد كتابة عنوان البحث فقط على الصفحة الأولى من البحث.
- 6- اللغة العربية هي اللغة الرسمية للمجلة، ونرحب بالبحوث المكتوبة باللغة الأجنبية، على أن ترفق بملخص واف باللغة العربية.
- 7- ترحب المجلة بنشر ملخصات الرسائل الجامعية "الماجستير" و" الدكتوراه " التي تمت مناقشتها وإجازتها، كما ترحب بإسهام الباحثين بعرض الكتب والدراسات والتقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية.
- 8- تقبل المجلة نشر الإعلانات، خاصة تلك المتعلقة بالأنشطة العلمية.
- 9- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.
- 10- الآراء الواردة بالمجلة تعبر عن وجهة نظر أصحابها فقط.

# المحتويات

الصفحة	اسم الباحث	عنوان البحث
1	أ. المبروك محمد الزوام	التدليس في الفقه الإسلامي
23	د. عائشة أحمد سالم حسن	الصحابيات والممارسة السياسية " في عهد النبوة "
59	د. جمعة العربي عمر الفرجاني	التداولية ( النظرية والنشأة)
84	د. الطاهر محمد امبيه	المجاز قبل نهاية القرن الثالث الهجري
105	د. محمود سالم محمد الذيب	دلالة بعض أسماء الآلة القياسية في القرآن الكريم
145	د. عبد الباسط المبروك الشبلي	الأنا والآخر المفهوم والتأصيل
173	د. سالم حسين العادي	الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد
214	أ. مختار محمد الأمير	الزراعة المحلية في ليبيا أثناء الاحتلال الإيطالي
244	أ. حسن عمر سعيد الرجباني	قراءة في كتاب (الجيش والمجتمع والسياسة في البلدان النامية)
271	أ. نورية مسعود خليفة الطابعي	الأسرة والتغير الاجتماعي في المجتمع الليبي
304	د. جمعة سليمان الحجاج	المبادئ التربوية ودورها في رسم السياسات التعليمية في ليبيا
332	أ. هيفاء مختار جمعة	الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي
365	د. البشير عبد الحميد مفتاح أحمد	تدريس المفردات في المدارس الابتدائية الليبية

## تنويه

إن تقديم البحوث المنشورة أو تأخيرها  
في ترتيب الصفحات لا يعني المفاضلة،  
لكن متطلبات التنسيق الفني هي التي  
تتحكم في هذا الترتيب

## " التدليس في الفقه الإسلامي "

### دراسة مقارنة

أ. المبروك محمد الزوام

كلية الآداب - جامعة الجبل الغربي

#### مقدمة:

من المبادئ التي استقر عليها الفقه الإسلامي وانبنت أحكامه على هديها مبدأ استقرار التعامل وسلامته من العيوب، لذا كان حسن النية والمصادقية من الأهمية بمكان في إرساء هذا المبدأ، وجعله منطلقاً أساسياً يسير التعامل وفق نهجه، ذلك أن العلاقات البشرية لا يمكن أن تصل إلى درجة السمو والكمال إلا إذا شعر الأطراف أصحاب العلاقة بمبدأ الرضائية وسلامة الطوية في التعامل.

ومن هنا فإن اللجوء إلى وسائل خلاف هذا الأصل من شأنها إهدار هذا المبدأ وجعله بمنأى عن التعامل الأمثل فضلاً عن زعزعة الثقة بين المتعاملين الأمر الذي يؤدي إلى أن يكون البناء التعاملية مشوباً بالغش وسوء النية ومن هنا تفتقد القيمة الحقيقية للتعامل بكونه منطلقاً لبناء اجتماعي ثابت الأركان وطيد البنیان.

وحرصاً على أن تكون المعاملات البشرية رائدة للتعامل الأمثل يجب أن تبنى على قاعدة صلبة من التراضي وطيب النفس مبتعدة عن الوسائل التي من شأنها الحيلولة دون تحقيق هذا الهدف.

ولا ينكر أن تعاملات اليوم قد اتخذت وسائل احتيالية دافعة للتعاقد، فضلاً عن الأوصاف التي تسبغ على وسائل الانتفاع وإكسائها رداء من الزينة لا تستحقه، ولا يخفى أن مثل هذه التصرفات تأتي في غياب الوعي القانوني الإسلامي المنظم لها.

فاستقرار المعاملات من شأنه إعطاء الإنسان الشعور بالأمن والاطمئنان إكسابه الثقة بالآخرين، الأمر الذي يؤدي اتباعه إلى التمسك بأهداب الفضيلة والأخلاق، وأحسن أسلوباً في معاملة الآخرين.

إذ الإنسان يعلم أنه لن يتم إيمانه إلا إذا كملت أخلاقه وحسنت معاملته، فقضية التعامل بين الناس يجب أن تحاط بسياسات من الثقة، والتبادل النفعي على أسس تعاقدية سليمة، لتمثيلها علاقات حساسه بين البشر حيث تختلف الطبائع وتتفاوت الأمزجة ويضطر الإنسان إلى التعامل مع بني جنسه بحسب هذه المعطيات الأمر الذي يحتم البحث عن إطار سليم يتم خلاله تبادل هذه المنافع فكان موضوع البحث.

" التدليس في الفقه الإسلامي والقانون الوضعي " دراسة مقارنة"

حاولت من خلال ذلك إبراز النظرة الإسلامية للتدليس وتأثيره على صحة التعامل في مطلب أول، ثم تطرقت إلى الرؤية القانونية لذات الموضوع في مطلب ثان.

وأخيراً ذيل البحث بخلاصة ما توصلت إليه من نتائج من خلال مدراسته.



## المطلب الأول:

### التدليس في الفقه الإسلامي:

إذا حتم الأمر علينا أن نبحث عن نظرية الغلط في الفقه الإسلامي إلى جمع مادة هذه النظرية واستجلابها في أماكن عدة، فإن الأمر يختلف في "التغريير" والذي عادة ما يشير إليه الفقه المالكي وغيره من المذاهب... في بعض المواطن بالتدليس<sup>(1)</sup>، ولعل مرجع ذلك أن التغريير أدى إلى بروزه عن الغلط، أنه لا ضير منه على استقرار التعامل، لأن المدلس هو أحد المتعاقدين في أغلب الأحوال، وعليه في التغريير يمكن التوفيق بين احترام إرادة المتعاقد وبين استقرار التعامل، وهذا بدوره أدى إلى أن تتبوأ نظرية التغريير مكاناً مهماً.

لذلك فإن الفقه الإسلامي يتعامل مع التغريير من خلال :

#### أولاً - ما يتحقق به التدليس " التغريير":

ثانياً: الاعتراف بالتدليس " التغريير " الصادر من الغير.

وسألج الفقرتين السابقتين بحسب الآتي :-

أولاً : ما يتحقق به التدليس " التغريير "

#### 1- التغريير باستعمال الطرق الاحتمالية:

قبل الحديث عن التغريير باستعمال الطرق الاحتمالية ( الفعلية ) يجدر بنا

تحديد معنى الحيلة، لنتمكن من معرفة المقصود بها عند ذكرها.

فالحيلة الحذقة، وجودة النظر، والقدرة على التصرف في الأمور ، فهي وسيلة بارعة، تحيل الشيء عن ظاهره، ابتغاء الوصول إلى المقصود والخديعة<sup>(2)</sup>.

فعلى هذا يلجأ العاقد إلى الحيل، بغية التضليل بالمتعاقد الآخر، ودفعه للتعاقد.

ولهذا التصرف من قبل المتعاقد أنواع منها تصرية الإبل والغنم، ليتوهم كثرة لبنها، واستعمال الصبغة لتغيير الثوب القديم إلى جديد، وما إلى ذلك من الطرق التمويهية المؤدية في النهاية إلى تحقيق مقصود أحد العاقدين ووصوله إلى غايته من خلال وسائله الاحتمالية فهو بهذا يضيف على الشيء " موضوع التعاقد " أوصافاً حسنة ويلبسه رداء من الزينة لا يستحقه، والواقع غير ذلك. واستعمال هذه الوسائل هو ما يطلق عليه، التغيرير الفعلي.

" فالتغيرير الفعلي كالشرطي، وهو أن يفعل البائع في المبيع فعلاً يظن به المشتري كما لا فلا يوجد... أي أن يفعل البائع في المبيع فعلاً يستتر به عيبه فيظهر في صورة السالم.. ومنه صبغ الثوب القديم، ليظهر أنه جديد " <sup>(3)</sup>.

وقد تحدث الفقه الحنبلي عن التدليس، حيث جاء في الشرح الكبير " خيار التدليس بما يزيد عن الثمن كتصرية اللبن في الضرع، وتحمير وجه الجارية، وتسويد شعرها وتجعيده،.... فهذا يثبت للمشتري خيار الرد... وكذلك كل تدليس يختلف الثمن لأجله، مثل أن يسرح شعر الجارية أو يجعده أو يحمر وجهها <sup>(4)</sup>.

ومن طرق التدليس أيضاً النجش بصورتيه<sup>(5)</sup>، فهذه الصور تثبت عند مالك خيار الرد<sup>(6)</sup> وذلك لخروجها عن مبادئ التراضي وطيب النفس، وعدم مراعاتها الأساس الأخلاقي في التعامل، لذلك لا نرى غرابة في نهى الفقه الإسلامي عن التعامل بالتدليس حيث أنه بمثابة الغش الذي نهى عنه النبي صلى الله عليه وسلم، عندما قال: "من غشنا فليس منا"<sup>(7)</sup>

## 2- التغيرير من خلال الكذب:

لقد أشرنا فيما سبق إلى التغيرير الفعلي، ورأينا أنه يتلخص في استخدام الطرق الاحتمالية بفعل شيء ما يأتي المبيع، يعتقد بموجبه المشتري سلامة المبيع، واتضح لنا أنه معدم للرضاء الذي يتضمن سلامة المبيع. والآن ننظر أحكام التغيرير "القولوي" والذي يظهر في صورة استخدام الكذب، وهذه تجد مجالها في بيوعات الأمانة والاسترسال، والمماكسة، والمساومة. ففي بيوعات الأمانة، عدّ الإسلام أن مجرد الكذب خيانة وتدليس.

وهذا يُظهر بجلاء امتياز الفكر الإسلامي، ورحابة صدره في حماية قلبي الخبرة، بتقديم الحماية لهم بدفع الأذى ورفع الغبن، فهذه البيوعات يستسلم فيها المشتري ويحتكم إلى ضمير البائع ويطمئن إليه، فهو بذلك يشتري السلعة بمقدار معلوم من الربح ويسمى بيع مرابحة، أو بنفس ثمنها ويسمى بيع تولية، أو بأقل من ثمنها ويسمى بيع وضيعة، ولهذا عدّ الثمن الأصلي الذي حدده البائع من الأهمية بمكان لأنه الأساس الذي تقوم عليه مستقبل الصفقة. فلهذا عد مجرد الكذب من قبل البائع في عدم الإدلاء بكل المعلومات حول الصفقة كذباً وخيانة وكيف لا، وقد وثق به المشتري واطمأن إليه، وأوكل

أمره له، مصدقاً إياه في كل ما قاله، الأمر الذي يؤدي مخالفته إلى زعزعة الثقة، واضطراب التعامل والاستقرار، وهي أمور يحرص الإسلام على إرسائها وتثبيتها في كل الأوقات والظروف، لأن الركيزة المثلى لاستقامة سلوك المسلم وسمو أخلاقه. فإذا اشترى شيئاً بنسيئة فليس له أن يبيعه مرابحة حتى يتبين أنه اشتراه بنسيئة، لأن بيع المرابحة بيع أمانة تنفي عنه كل تهمة وخيانة، ويتحرز منه من كل كذب، وفي معاريف الكلام شبهة، فلا يجوز استعمالها في بيع المرابحة، ثم إن الإنسان في العادة يشتري الشيء بالنسيئة بأكثر مما يشتريه بالنقد، فكان من هذا الوجه كالمخبر بأكثر مما اشترى به وذلك خيانة في بيع المرابحة... فإذا باعه وكنتم ذلك، فالمشتري بالخيار إذا علم بالتدليس الموجود من البائع؛ وهذا لأن المشتري إنما التزم ربحاً بناء على خبره، أنه اشتراه لنفسه بكذا من الثمن، فلو علم أنه اشتراه بالنسيئة، لم يرغب في شرائه بالنقد بذلك القدر من الثمن، فضلاً من أن يعطيه على ذلك ربحاً، فللحاجة إلى دفع الضرر أثبتنا له الخيار<sup>(8)</sup>.

أما الاسترسال ففيه يكشف العاقد عن خبيثة نفسه، ويبين أنه لا معرفة ولا دراية له بالسوق، فبناء عليه يستأمن المتعامل معه في التعامل معه ويسترسل إلى نصحه، ويلحظ أن بيع الاسترسال يختلف عن بيع الأمانة، في أن الاسترسال مرجعه لسعر السوق في حين الأمانة ترجع إلى الثمن الأصلي.

فإذا ما حدث أن المتعامل معه لم يتعامل بحسن النية، وبما يتطلب زرع الثقة، فإن عمله هذا يعد غشاً وتديساً، يوجب للعاقد المتضرر الخيار.

فبيع الاستئمان أو الاسترسال هو أن يقول الرجل : " اشترى مني سلعتي كما تشتري من الناس فإني لا أعلم القيمة، فيشتري منه بما يعطيه من الثمن" (9)

فالمسترسل إذا غبن غبناً يخرج من العادة، بحيث يصبح التصرف أمراً مستهجناً لا يمكن قبوله لمجاورته الحد المعقول في التعامل، يثبت له الخيار بين الفسخ والإمضاء، وبه قال مالك :... وهو مذهب إبي حنيفة والشافعي؛ لأن نقصان قيمة السلعة مع سلامتها لا يمنع لزوم العقد.

فأما غير المسترسل فإنه دخل على بصيرة بالغين، لذا فهو عالم بالعيب وكذا لو استعمل فجهل ما لو تثبت لعلمه لم يكن له الخيار، لأنه انبنى على تفريطه وتقصيره، والمسترسل هو الجاهل بقيمة السلعة ولا يحسن المبايعة (10).

وأما المساومة : فهو أن يتفاوض المشتري مع البائع في الثمن حتى يتفقا عليه من غير تعريف بكم اشترأها، وهذا البيع أسلم من الفساد من المرابحة، وأحب إلى العلماء، ويحرم فيه الغش والتدليس بالعيب، ولا يقام فيه بغبن على المشهور (11).

ومن هنا عُدّ تلقى الركبان قبل دخولهم المدن وإخبارهم بكساد سلعتهم، ليغبنهم يعد كذباً، ومن ثم يُعدّ تدليساً يوجب الخيار، وذلك استناداً إلى ما رواه أبوهريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تلقوا الجلب، فمن تلقاها واشترى منها فصاحبه بالخيار" إذا أتى السوق، ولأنه غرهم ودلس عليهم، فنبت لهم الخيار، كما لو دلس عليهم بعيب، وإن بان له

أنهم لم يغبينهم ففيه وجهان: أحدهما أن لهم الخيار ، والثاني لا خيار لهم؛ لأنه ما غر ولا دلس<sup>(12)</sup>.

### 3- التفرير عن طريق الكتمان:

التفرير عمل سلبي يقوم به البائع ليكتم عيباً في السلعة وعلى ذلك فبياعات الأمانة إذن تقتضي أمرين، عدم الكذب في بيان الثمن الأصلي، وعدم الكتمان فيما يلابس الثمن أو السلعة وكل من الكذب والكتمان يعد في هذه البياعات خيانة وتدليساً وفي غير بياعات الأمانة، أي في بيع المماكسة والمساومة قد يكون الكتمان تدليساً، وأظهر ما يكون ذلك، إذا عمد البائع إلى إخفاء العيب في المبيع، بأن كتمه عن المشتري ولم يبينه<sup>(13)</sup>.

عليه لا يجوز الغش في المرابحة ولا غيرها، ومنه أن يكتم من أمر سلعته ما يكرهه المشتري أو يقلل رغبته فيها، وإن لم يكن عيباً كطول بقائها عنده، أو تغيير سوقها، أو إدخالها في تركه ليس منها، فإن فعل ذلك فالمشتري يخير بين إن يمسكها بجميع الثمن أو يرد كمسألة الكذب، إلا أنه لا يلزمه الشراء أن حط عنه البائع بعض الثمن، لأجل ما كتمه، بخلاف الكذب<sup>(14)</sup>.

فمن ملك عينا وعلم بها عيباً لم يجز أن يبيعها حتى يبين عيبها... فإن لم يعلم بالعيب واشتراه ثم علم بالعيب، فهو بالخيار بين أن يمسك وبين أن يرد، لأنه بذل الثمن ليسلم إليه بيع سليم، ولم يسلم له ذلك، فثبت له الرجوع بالثمن<sup>(15)</sup>.

ومن جملة ما ذكر أنفاً، يتبين بجلاء أن تخلف الرضاء سواء أكان بالطرق الاحتمالية، أو الكذب، أو الكتمان يعد عيباً في الشيء المقصود من التعامل،

ومن هنا نشأ التدليس المؤثر في السلامة والرضاء، اللذين يُعدّان من مميزات الاطمئنان النفسي الباعث على الارتياح والاستقرار. وتحقيقاً لهذا الهدف - الرضا - يلزم الفقه الخيار عن حدوث ما يخرم هذا الهدف أو يقلل منه.

### ثانياً - اعتداد الفقه الإسلامي بالتدليس الصادر من الغير:

التشريع الإسلامي يعتد بالتدليس الصادر من الغير، كما في الناجش المتواطئ مع البائع في رفع السلعة عن طريق المزاد، حتى تبلغ أكثر من قيمتها، ولا رغبة له في شرائها، بل الغرض من ذلك إغراء الغير بالشراء. وكذلك تصرفات الدلال الذي هو أمين البائع، فما يصدر من تدليس يثبت الخيار للمشتري، كالتدليس الصادر من البائع نفسه، وهناك محل لافتراض أن البائع متواطئ مع الدلال في التدريس، أو أنه عالم بهذا التدليس. والدلال على كل حال، إنما يدلس سعيًا وراء مصلحة، فيجب أن يحمل البائع تبعية هذا التدليس ومن ثم يثبت خيار التدليس للمشتري<sup>(16)</sup>.

### المطلب الثاني:

#### التدليس في القانون:

أعرض في هذا المطلب إلى تعريف التدليس وبيان شروطه، وإثباته، وأثره، وفق الاتجاه القانوني وذلك بحسب النسق الآتي :

#### أولاً : تعريف التدليس:

من الأمور التي تقضم الإرادة وتجعلها معيبة، عيب التدليس، والذي عبارة عن استعمال طرق احتيالية بقصد إيقاع المتعاقد في غلط يدفعه للتعاقد.

---

والتدليس بهذا المفهوم ليس عيباً مستقلاً من عيوب الإرادة، لأن العقد لا يكون قابلاً للإبطال إلا للغلط الذي يؤدي إليه التدليس<sup>(17)</sup>. وعلى الرغم من التقارب في المفهوم بين الغلط والتدليس إلا أن ذلك غير متحقق بين التدليس والغش.

فالتدليس يتميز عن الغش في أنه يصيب الإرادة عند تكوين العقد، فهو الذي يدفع إلى التعاقد، أما الغش فهو كل تضليل أو خدعة تقع في غير هذه الحالة، ويحصل إضرار بحق مكتسب كأن يقع مثلاً أثناء تنفيذ العقد<sup>(18)</sup>. وقد انقسمت التقنيات العربية الحديثة حول نظرية التدليس على طائفتين، فالطائفة الأولى، وعلى رأسها التقنيات في من مصر، سوريا، ليبيا، الكويت، السودان، ولبنان، فهذه أخذت بالمعيار الذاتي (الشخصي) والذي بمقتضاه يكون التدليس هو الدافع إلى التعاقد.

أما الطائفة الثانية، وعلى هرمها التقنين العراقي، الذي يوفق بين الشخصي والموضوعي، فلا يعتد بالتدريس إلا إذا صحبه غبن، مع التفرقة بين الغبن اليسير والفاحش<sup>(19)</sup>.

### ثانياً - شروط التدليس:

من خلال استعراض نصوص التقنيات العربية السابق بيانها، يستشف منها شروط التدليس المتعلقة بالجانب القانوني والتي يمكن إجمالها في الآتي :-

#### 1- استعمال الطرق الاحتيالية:

لقيام التدليس لا بد من توفر طرق احتيالية، تولد الغلط في ذهن المتعاقد فتخفي عنه الحقيقة، وهذا العمل يحتاج من جانب المدلس إلى عنصرين :



### أ- العنصر المادي:

وهو لجوء المدلس إلى حيل لإخفاء الحقيقة شريطة كون هذه الحيل كافية للتضليل بحسب حالة المتعاقد، والمعيار في هذه الحالة شخصي ومن الأمثلة على ذلك، انتحال شخص لنفسه صفة من شأنها دفع الطرف الآخر للتعاقد، وادعاء صفة الغنى على غير الحقيقة، ليخفي وراء ذلك أهدافاً أخرى<sup>(20)</sup>.

ولكن هل الكذب كاف لتحقيق التدليس؟

الأصل أن مجرد الكذب، لا يكفي لتوفر العنصر المادي في التدليس، بيد أنه يُعد كافياً إذا تعلق الأمر بواقعة لها أهمية، بحيث يجمل القول بأن المتعاقد ما كان ليبرم العقد، لولا احتوائه في كنف البيانات الكاذبة من قبل المتعاقد الآخر، كأن يدلي شخص ببيانات كاذبة عن مؤهلاته وخبرته السابقة بغية الحصول على عمل<sup>(21)</sup>.

ومن هنا يجري القول، بأن الكذب بذاته مجرداً عن أي عمل خارجي، وأن كان لا يصلح كوسيلة احتيالية للتدليس، لاعتبار الغرض المطلق وهو تقدير كل متعاقد لتقدير مصلحته، وملاحظة تحققها، إلا أنه إذا خرج الكذب عن طريق مألوف العادات الجارية في المعاملات، فإنه يعيب الرضاء أي يكفي وحده لتكوين التدليس، خاصة متى انحصر في الإجابة كذباً عن أمر متحقق متعلق بوقائع معينة يعلم أن الطرف الآخر يعلق عليها أهمية خاصة<sup>(22)</sup> ويستفاد من هذا، أن التدليس الذي يعيب الرضاء يتكون من نشاط خداع ينصب على إرادة المتعاقد المدلس عليه.

فالسكوت العمدي عن واقعة أو ملاحظة من شأنه أن يعيب الرضا خاصة إذا ثبت أن المتعاقد المدلس عليه ما كان ليرضى بإبرام العقد لو علم بهذا الخداع منذ البداية، مما يدل على أن الخداع لم يكن معلوماً لديه. فالسكوت هنا يعد إخلالاً بواجب، والإخلال بالواجب يعد عملاً غير مشروع، إلا أنه يجب اعتبار أن من كتمت عنه الحقيقة يستطيع أن يصل إليها من طريق آخر، فإن تقصيره في الحصول عليها من هذا الطريق، يجب تقصير من كتمها عنه<sup>(23)</sup>

وفي هذا السياق لا بأس من الإشارة إلى حكم المادة<sup>(119)</sup> من القانون المدني الليبي والمتعلقة بأحقية ناقص الأهلية في إبطال العقد، حيث أفادت بأن الخديعة التي يلجأ إليها القاصر لإخفاء نقص أهليته، يُعدّ عملاً غير مشروع، إلا أنه إذا اقتضت هذه الحيل على مجرد الكذب أو الكتمان فإن ذلك لا يعد تدليساً، أما إذا صحب الكذب أو الكتمان وسائل احتيالية واضحة ترقى إلى التطبيق الفعلي، كأن يتقدم بشهادة مزورة، فإن ذلك يصدق عليه وصف التدليس بمفهومه المتعارف عليه.

#### ب- العنصر المادي:

ويقصد به نية التضليل التي يهدف من خلالها الوصول إلى غرض غير مشروع، ومن هنا يجب أن تكون الحيلة المستعملة في التضليل مصحوبة بنية التضليل، فإذا انتفت نية التضليل فلا تدليس كما الشأن فيما يصدر من التجار والباعة، في انتحال أفضل الأوصاف لسلعهم، والمبالغة في مدحها بغية

الترويج لها، إذ يُعدّ هذا من قبيل الكذب المباح الذي لا أثر على صحة العقد<sup>(24)</sup>.

لاعتبار مثل هذه الأساليب مألوفة في التعامل ولا تأثير لها على صحة العقد، اللهم إلا إذا أدى هذا إلى الوقوع في غلط فعندها يكون العقد قابلاً للإبطال لا للتدليس<sup>(25)</sup>.

بقى لنا الاستفسار هل اشتراط نية التضليل لازمة فيمن يدلي بأقوال كاذبة، أو مظاهر خادعة؟

الأمر يدق لو كانت الإجابة بنعم؛ لأنه لا يمكن في بعض الأحيان التفتيش عن النية الكامنة في نفس الشخص، ليكشف من خلالها أن ما صدر منه يعد تدليساً.

لذلك كان الأمتل عدّ الأقوال وما يصاحبها من إهمال عملاً غير مشروع، كما مر بنا، وهذا لا يفترض نية التضليل، وإنما يكفي أن ينطوي قيامه بذلك على إهمال لا يقع من الرجل العادي<sup>(26)</sup>.

## 2- صدور التدليس من المتعاقد الآخر:

إضافة إلى الطرق الاحتمالية السابق بيانها والتي تمثل عيباً في الرضا، أورد المشرع الليبي في المادة(126) من القانون المدني ما يفيد عدّ التدليس معيباً للرضاء إذا صدر من المتعاقد الآخر، ولم يتمكن الطرف الثاني من العلم به بأي حال.

كما أنه لا يشترط أن يكون التدليس صادراً من أحد المتعاقدين فحسب، بل يعتد بالتدليس ولو صدر من شخص ثالث خلاف المتعاقدين ولكن بالتواطؤ مع أحدهما.

وقد يحدث في بعض الأحيان أن يصدر التدليس من دون علم أي منهما فما حكم ذلك؟

لاشك أن التدليس مفسد للعقد، ومعيب للرضاء، أيًا كان مصدر إتيانه، ولكن الاعتداد بهذا القول على إطلاقه، قد يكون حائلاً دون استقرار المعاملات.

وهنا لا يكون العقد باطلاً أو قابلاً للأبطال لا للتدليس ولا للغلط، وهذا عدل، لأننا إذا أبطنا العقد في هذه الحالة، فللمتعاقدين الآخر وهو حسن النية أن يطلب تعويضاً، وخير تعويض هو بقاء العقد صحيحاً. وهذا تطبيق آخر لقيام العقد على سبيل التعويض، لا على الإرادة الحقيقية للمتعاقد<sup>(27)</sup>.

### 3- أن يكون التدليس دافعاً للتعاقد:

إذا لم تكن الحيل الدافعة التعاقد من الجسامة إلى حد تضليل المتعاقد فلا أثر لها على صحة العقد.

وكذلك الحال إذا بلغت درجة عالية من الجسامة ولكن الطرف المدلس عليه يرتضي العقد وبنفس الشروط ومعيار الحيل المستعملة في التدليس معيار شخصي أو ذاتي.

فقاضي الموضوع هو الذي يقرر مدى جسامه الطرق الاحتمالية على المتعاقد، ويسترشد القاضي في ذلك بما جرى عليه التعامل، كما يسترشد بحالة المتعاقد الشخصية وبخاصة سنة، جنسه، خبرته، ذكائه، ودرجة تعلمه<sup>(28)</sup>.

وعلى الرغم من أن التدليس قد يكون دافعاً للتعاقد أو غير دافع، إلا أن هذه التفرقة لا يمكن التسليم بها.

ففي كل الأحوال، فإن الإرادة معيبة بعيب التدليس، كما أنه يجوز للمدلس عليه طلب التعويض من دون الإبطال، وهو يطلب ذلك إذا أحس بعدم جسامه التدليس.

ففيما إذا اختار المدلس عليه طلب إبطال العقد لجسامه التدليس من جهة نظره، فإن المتعاقد الآخر قد يعرض عليه التعديل بشروط العقد بما يرفع الضرر الحاصل.

فإذا ما تمسك المدلس عليه بطلب الإبطال، فإن ذلك يعد متعارضاً مع حسن النية<sup>(29)</sup>.

### ثالثاً - إثبات التدليس وأثره:

يلتزم المدعي الذي يدعي وقوعه تحت تأثير التدليس عند إبرام العقد، بإثبات ذلك، مستهدياً بطرق الإثبات، كالبينة والقرائن، وذلك لتعلق الأمر بوقائع وأفعال مادية.

فإذا تبين أن العقد أبرم تحت تأثير التدليس، فإن العقد يكون قابلاً للإبطال، إضافة إلى مطالبة المخدوع مرتكب الطرق الاحتمالية تعويضه عن

الضرر الذي أصابه، لاعتبار التدليس خروجاً عن الطرق المعتادة، لأنه في حد ذاته عمل غير مشروع.

### نتائج البحث

من خلال مدراسة البحث الموسوم " التدليس فى الفقه الإسلامى " دراسة مقارنة أمكن الوصول إلى النتائج الآتية :-

أولاً : تشابه الفقه الإسلامى والقانون الوضعى فى مدلول التدليس إذ يُعدّ كلا منهما وسيلة

احتياالية تلجا إليه أحد المتعاقدين لإيهام الطرف الآخر ودفعه للتعاقد. ثانياً: اتفاق الفقه الإسلامى والقانون الوضعى فى عدّ السكوت والكتمان تحايلاً أى عملاً غير مشروع.

ثالثاً: يعتد الفقه الإسلامى بالتدليس الصادر من الغير - خلاف المتعاقدين - على أن يكون متواطئاً مع الطرف الآخر، وفى هذا الإطار يسير الفقه القانونى.

رابعاً : يتعامل الفقه الإسلامى مع التدليس من خلال الكذب ومجرد الكذب. خامساً: إن مجرد الكذب فى الفقه القانونى لا يكفى لقيام التدليس إلا إذا تعلق الأمر بواقعة مادية لها أهميتها

### الهوامش

- 1- د. عبدالرزاق السنهوري / مصادر الحق في الفقه الإسلامي منشورات محمد الداية، المجمع العربي الإسلامي / ج 2 / ص 149.
- 2- إبراهيم أنيس وآخرون / المعجم الوسيط / ط2 / ص 209.
- 3- الحطاب / مواهب الجليل لمختصر خليل / المجلد 4، ص 437 - 438.
- 4- ابن قدامة المقديسي، الشرح الكبير على متن المقتنع، دار الكتب العلمية بيروت، ج4، ص 80 - 81.
- 5- الصورة الأولى : تواطؤ البائع مع الناجش، ليغلي ثمن السلعة إلى أكثر من قيمتها.
- أما الصورة الثانية فهي : اتفاق المشتري مع منافسه في المزايدة على عدم التعرض له، فيتمكن من شراء السلعة المتفق عليها بثمن بخس.
- 6- عبدالرزاق السهوري / مصادر الحق في الفقه الإسلامي، ج2، ص 154.
- 7- صحيح مسلم، لأبي الحسن مسلم بن الحجاج، القاهرة، مكتبة محمد على صبيح، كتاب الإيمان / ج1، ص69.
- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله بن يزيد القزويني، تحقيق، محمد فواد عبدالباقي، المكتبة العلمية، بيروت ، كتاب التجارات، باب النهي عن الغش، ج2، ص749.

- سنن الدارمي، لأبي محمد عبدالله بن بهرام الدارمي ، دار الفكر، بيروت، كتاب البيوعات، باب النهي عن الغش، ج2 ، ص248.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة، تحقيق محمد فواد عبدالباقي، القاهرة، مصطفى الحلبي، كتاب البيوع، باب كراهية الغش في البيوع، ط2 ( 1388 / 1969 )، ص590.
- 8- شمس الدين السرخسي، المسبوط دار الطباعة والنشر بيروت، ط3 ( 1398 / 1978 ) ج 13، ص78.
- 9- شرح الحطاب، على مختصر خليل، ج4، ص470.
- 10- ابن قدامه المقديسي، الشرح الكبير على متن المغنى، ج4، ص79.
- 11- ابن جزئ، القوانين الفقهية، ط 1975 م، ص276.
- 12- الشيرازي، المهذب في فقه الإمام الشافعي، 12، ص 299.
- 13- عبدالرزاق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الإسلامي، ج2، ص169.
- 14- ابن حزي، القوانين الفقهية، ط75، ص275.
- 15- الشيرازي، المهذب، ج1، ص290 - 291.
- 16 - عبدالرزاق السنهوري، مصادر الحق، ج2، ص173.
- 17- أحمد حسن البرعي، نظرية الالتزام في القانون المغربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 ( 1401 - 1981 ) ص112 وفي هذا المعنى، جلال علي العدوي، ومحمد لبيب شنب، مصادر الالتزام في القانون



- المصري واللبناني، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص155.
- 18- عبدالمنعم فرج الصده، نظرية العقد في قوانين البلاد العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974، ص 254.
- 19 - في هذا المعنى : عبدالمنعم فرج الصده، نظرية العقد، ص 254 - 255 - وقد جاءت نصوص صريحة بخصوص التدليس في بعض التقنيات العربية منها : المادة 125، 126 مدني مصري وليبي، 126 - 127 مدني سورى، 122 - 123 تجاري كويتي، و 111 - 112 مدني سوداني و 208 - 209 موجبات وعقود لبناني.
- أما القانون العراقي فقد جاءت نصوصه بهذا الموضوع بالمواد من 121- 123 مدني عراقي.
- 20 - في هذا المعنى عبدالمنعم الصده، نظرية العقد، ص256.
- 21- أحمد حسن البرعي، نظرية الالتزام في القانون المغربي، ص113.
- 22- ثروت حبيب المصادر الإرادية للالتزام، ص157.
- 23- جلال علي العدوي ومحمد لبيب شنيب، مصادر الالتزام ، ص157.
- 24- أنور سلطان، الموجز في النظرية العامة للالتزام، ص 102.
- 25- في هذا المعنى : 1- أحمد حسن البرعي، مصادر الالتزام ص 113.
- 2- إسماعيل غانم، مصادر الالتزام ص 211.
- 26- جلال علي العدوي، محمد لبيب شنيب، مصادر الالتزام، ص158.

- 27 - عبدالرزاق السنهوري، الوسيط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (1952) و(1965)، ص357.
- 28- رمضان محمد أبو السعود، مبادئ الالتزام في القانون المصري والليبناني، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ( 1985 ) ص132، 133.
- 29- في هذا المعنى، رمضان محمد أبو السعود، مرجع سابق، ص133.

### المصادر والمراجع

1. ابن قدامه المقديسي، الشرح الكبير على متن المغنى، ج4.
2. أبو اسحاق بن علي بن يوسف الفيروز أبادي الشيرازي ، المهذب في فقه الإمام الشافعي، دار المعرفة للطباعة، بيروت، ج1، ط2 ، (1959).
3. أبو الحسين مسلم بن الحجاج ، صحيح مسلم ، كتاب الايمان، مكتبة محمد على صبيح ، القاهرة ج1.
4. أحمد حسن البرعي، نظرية الالتزام في القانون المغربي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1 ( 1401 - 1981).
5. إسماعيل غانم، النظرية العامة للالتزامات ، مكتبة عبدالله وهبه، عابدين ، مصر، ج1.
6. الحطاب / مواهب الجليل لمختصر خليل / مكتبة النجاح ، المجلد 4
7. أنور سلطان، الموجز في النظرية العامة للالتزامات ،دراسة مقارنة بين القانون المصري واللبناني، دار النهضة العربية لطباعة والنشر، بيروت ، (1983).
8. ثروت حبيب، المصادر الإرادية للالتزام، جامعة قاريونس ، (1978).
9. رمضان محمد أبو السعود، مبادئ الالتزام في القانون المصري واللبناني، الدار الجامعية للطباعة والنشر، بيروت، ( 1985 ).
10. شمس الدين السرخسي، المسبوط دار الطباعة والنشر بيروت، ط3) (1978 /1398).

11. عبدالرزاق السنهوري / مصادر الحق في الفقه الإسلامي منشورات محمد الداية، المجمع العلمي العربي الإسلامي ، ( 1953-1954).
12. عبدالرزاق السنهوري، الوسيط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (1952) و(1965).
13. عبدالمنعم فرج الصده، نظرية العقد في قوانين البلاد العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1974.
14. عبد الله بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجة ، تحقيق ، محمد فؤاد عبدالباقي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، كتاب التجارات ، باب النهي عن الغش ، ط2.
15. عيسى محمد عيسى بن سورة ، سنن الترمذي ، تحقيق ، محمد فؤاد عبدالباقي ، مكتبة مصطفى الحلبي ، كتاب البيوع ، ط 2 (1382هـ - 1964).
16. محمد أحمد بن جزي الغرناطي ، المالكي ، قوانين الأحكام الشرعية عالم الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ( 1975 ) .
17. محمد عبدالله بن بهرام الدارمي ، سنن الدارمي ، دار الفكر بيروت كتاب البيوعات ، باب النهي عن الغش ، ج 2.
18. محمد لبيب شنب ، الموجز في مصادر الالتزام ، العقد والإرادة المنفردة ، النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، (1970).

## الصحابيات والممارسة السياسية " في عهد النبوة "

د. عائشة أحمد سالم حسن  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا  
وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.  
وبعد،،،

فإنه مع كثرة الكتابات الحديثة في تناول حقوق المرأة في الإسلام إلا أن  
مسئوليتها السياسية على مستوى الأمة لم تلق الاهتمام الكافي، حيث ذهب  
بعضهم إلى عدم أهليتها للعمل السياسي، مع أن الرؤية الإسلامية للمرأة تقوم  
على صفتها الإيمانية لكونها فردا من أفراد الأمة تربطها ببقية أفرادها رابطة  
العقيدة، وهي الرابطة التي تسيّر حركتها السياسية، حيث تدور مع حركة  
الأمة وفعاليتها بهدف تحقيق مقاصد الشرع.

فعند النظر العميق في المصدرين الأولين للتشريع الإسلامي يتبين "   
القرآن والسنة " لنا ما للمرأة وما عليها من حقوق وواجبات في مجال العمل  
السياسي، حيث ارتقى المنهج الإسلامي بالبشرية من النظرة الدونية للمرأة  
التي كانت سائدة في الماضي، فكانت ترى أن المرأة مخلوق دون الرجل، فلم  
تكن لها ذمة مادية ولا معنوية، وإنما هي مخلوق وجد لخدمة الرجل  
وشؤونه، فجاء الإسلام وبيّن أن المرأة من جنس الرجل، فهي نوع مساو له

في الإنسانية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ النساء:1، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ الأعراف: 189، فوحدة النفس هي قاعدة مهمة رسخها القرآن الكريم لتفهم في ضوئها كل النصوص القرآنية والنبوية المتضمنة حقيقة الإنسان، وحقوقه وواجباته، وعدم التمييز بين نوعية الرجل والمرأة.

إننا نستطيع أن نستخلص من مسيرة العمل السياسي للصحابيات كيف تأسست اللجنة الأولى للحقوق السياسية للمرأة في صدر الإسلام، حيث كانت تشترك في كل المواقف السياسية التي أقامت الدعوة والدولة الإسلامية، فمن بيت النبوة انطلقت المشاركات السياسية للمرأة في المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام، وفيما تلاه من عصور الحضارة الناهضة، فقد حدثت في عهده ﷺ عدة أحداث وتحولات سياسية رئيسة كان النساء فيها بجانب الرجال يشاركون فيها ويقمن بدورهن البارز في بناء الدولة والدعوة.

والسنة النبوية كان لها الأثر الأكبر في نشاط المرأة في هذا الجانب، فهي ومضات مضيئة للمرأة المسلمة لكي تتخذها منطلقا لها في حياتها السياسية المعاصرة .

ومن خلال الآثار المروية تتجلى جهود المرأة المسلمة في هذا الجانب بتوجيه من رسول البشرية ﷺ ورعايته، وأن الإسلام قد سبق منظمات حقوق الإنسان في ذلك، ويدور البحث في تلك العناصر الآتية :

## أولاً- المرأة والحق السياسي قبل الإسلام:

إن المرأة صنو الرجل عبر التاريخ الإنساني منذ بداية الاستقرار البشري وبناء الحضارات الإنسانية على ضفاف الأنهار، حيث بدأت الأسرة حتى وصلت إلى القبيلة، ومن بعدها المجتمع المتشابه في اللغة والمصالح حتى ظهرت القرية ثم المدينة ثم الدولة.

ففي عصر الفراعنة استطاعت المرأة في هذا العصر أن تقنع الرجل بدورها وأهميتها، فهناك شبه إجماع على نظرة الاحترام التي يوليها المصري القديم للمرأة، حيث أثبتت رسومات المعابد التي على الجدران أن المرأة شريكة الرجل في المسؤولية، وفي كل نواحي الحياة، وليس هذا على المستوى العادي فقط بل امتد إلى مجال كرسي الملك والسياسة، فقد أقر الإنسان الفرعوني بحق المرأة في تولي عرش البلاد، وقد سمحوا لها بتولي شؤون الملك في عهود تاريخية متفرقة مثل "حتب" أم الملك "خوفو"، و"خنث" بنت الملك "منقرع"، و"أباح حتب" ملكة طيبة، و"نفرتيتي" زوجة "اخناتون"، وكذلك "كليوبترا" الملكة التي عاصرت حكم الرومان وأذهلتهم، بل إن المصريين رفعوا المرأة إلى مصاف الآلهة مثال ذلك تلك الأسطورة الخاصة بعبادة "إيزيس" التي كانت رمزا لإله الوفاء والأخلاق.

وإذا وصلنا إلى الحضارة البابلية في بلاد ما بين النهرين والتي ازدهرت في عصر حمورابي الذي تعد رسائله ومجموعة قوانينه المكتوبة بالخط المسماري هي أقدم مجموعة وصلت إلينا وهي تمثل سيادة العدل لديهم، فإذا عرجنا على حال المرأة في هذه الحضارة وما نالته من حقوق لوجدنا أنه لم

يكن لها نصيب من الحرية بل كانت حبيسة المنزل وسجينة العادات والتقاليد وينظر إليها بنظرة دونية تباع وتشتري بطريقة لا تليق بأدميتها، وإذا بحثنا عن دور المرأة في المجتمعات الإغريقية القديمة وهي مجتمعات الحضارة والفلسفة والفنون لم نجد لها وجودا أو اعتبارا، فهي مجرد أنثى لا قيمة لها وهي من المخلوقات المنحطة لأنها كائن ناقص مسلوب الإرادة ضعيف الشخصية، وقد كان أرسطو يعيب على أهل اسبرطة تساهلهم مع النساء، ومنحهن بعض الحقوق التي تفوق قدرتهن، على الرغم من أن المرأة في المجتمع الإسبرطي هي مجرد مخلوق مكروه كما كان حالها في بقية المدن الإغريقية، فهي مجرد شيء جميل يملكونه كقطعة الأثاث تباع وتشتري مثلها، وهو إغفال متعمد من قبل مفكري وفلاسفة المجتمع الإغريقي لحقوق النساء وتفريط لحقوقهن السياسية.

أما في المجتمعات المجاورة للبلاد الإغريقية وهم أصحاب الإمبراطوريات الرومانية فإن حال المرأة فيها لم يكن بأحسن من حال المرأة في المجتمع الإغريقي، حيث وصل السوء في وضع المرأة إلى كل مكان وصلت إليه الإمبراطورية الرومانية، مما زاد في انتشار نظام الرقيق الأبيض وبداية عصر حريم السلطان والإمبراطور، فقد كانوا ينظرون إلى المرأة أنها كائن من الدرجة الثانية تأثرا بالمجتمعات الإغريقية، يقول مصطفى الشكعة: (...ولم تكن المرأة عند الرومان بأحسن حالا من أختها عند اليونان، فقد كان تعدد الزوجات تقليدا من تقاليد الشرف والامتياز، ولم يزل أمر الانتصارات المصحوبة بألوان الترف والفخامة أن جعلت من قدسية



الزواج مجرد كلمة لا معنى لها، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل تطور في المجتمع إلى أن أصبح التسري واتخاذ العشيقات الكثيرات العدد شيئاً تعترف به الدولة رسمياً، والنتيجة ضياع المرأة ثم انزلاقها إلى مهاوي البيع والشراء<sup>(1)</sup>.

وقد كان شعارهم فيما يتعلق بالمرأة هو " أن قيدها لا ينزع ونيرها لا يخلع" بل إنهم اعتبروا أن المرأة هي من ضمن الأعضاء المؤقتين حيث أن ( المرأة زوجة كانت أو ابنة كانت إحدى توابع العميد في هذا النظام وكانت الأسرة لذلك تتكون من قسمين دائمين وأعضاء مؤقتين... والأعضاء المؤقتون كانوا يتألفون من بنات العميد وزوجاته وبنات أبنائه إذا اعترف بينوتهن... فإذا تزوجت واحدة منهن انقطعت صلة قرابتها بأسرتها انقطاعاً تاماً والتحققت بأسرة زوجها<sup>(2)</sup>، كما أن أحد مفكريهم اعتبر المرأة لا روح لها ولا خلود وعليها أن تعبد الرجل وتلزم خدمته فكيف يتصور أن مثل هذه المرأة يمكنها أن تشارك في الحياة العامة أو يكون لها القدرة على المشاركة في الحياة السياسية .

ومن الأمثلة البارزة لنيل المرأة لحقوقها السياسية أن الملكة "نفرتيتي" فوق دورها السياسي وزعيمة كانت زوجة لأخطر ملك وداعية لعبادة التوحيد، مما جعلها شريكا أساسيا في حركة الانقلاب الديني التي قادها زوجها "اخناتون"، فبنفوذها السياسي شاركت في وضع أسس الدين الجديد الذي توحدت فيه أول مرة في تاريخ البشرية جميع الآلهة في إله واحد "آتون" إله الشمس<sup>(3)</sup>.

وإذا ما نظرنا إلى دور الملكة "كليوبترا" التي وقفت على قمة الهرم السياسي المصري في فترة من أخرج فترات التاريخ، حيث كانت سيدة معروفة بالذكاء والحكمة نفاها أخوها كي يبعدها عن العرش، ولكنها لم ترض ولم تستسلم حتى عادت إلى مصر واستردت حقوقها السياسية واعتلت عرش مصر من جديد واستطاعت بدهائها أن تقاوم أطماع قياصرة الرومان إلى حد تمكنت من إخضاع القادة الغزاة لتنقذ مصر من أطماعهم، بل كانت ترسم الخطط وتضع الوسائل لتجعل من روما ولاية تابعة لمصر. وهكذا في بقية المجتمعات التي كانت لها حضارات قديمة كالمرأة الصينية واليابانية والفارسية.

وبعد عصر "كليوبترا" اختفت المرأة المصرية، وعادت إلى مكانتها في القائمة المؤقتة طبقاً للنظام الأبوي الذي كان سائداً آنذاك في الإمبراطورية الرومانية وبعد معرفة وضع المرأة السياسي في المجتمعات القديمة بين انحطاط وارتفاع، حيث تعرفنا على دور المرأة المصرية القديمة في السياسة والذي يعد مدخلاً للتعرف عن وضع المرأة السياسي في المجتمعات العربية القديمة أي قبل ظهور الإسلام أو ما يعرف بالعصر الجاهلي، حيث يرى بعض المؤرخين أن هذا العصر لم يكن كله سوءاً بالنسبة للمرأة حيث تقول درية شفيق: "إن الكتب السماوية قد اختارت بعض نساء هذا العصر وتحدثت عنهن وعن العصر اللاتي عشن فيه وقوة شخصية البعض منهن، تلك التي تركت أعمق الأثر في حياة هذه المجتمعات"<sup>(4)</sup>

حيث إن المقصود بهذا الكلام هو عصر الملكة "بلقيس" فقد ارتبط حكمها بفترة ظهور النبي سليمان عليه السلام - في المئة العاشرة قبل الميلاد - التي كانت تحكم بلاد اليمن قال تعالى: ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾<sup>(5)</sup> وقد كانت ممارسة الشكل الديمقراطي القائم على نظام الشورى من سمات فترة حكمها، على الرغم من أنها كانت امرأة مطلقة التصرف في كل ما تقوم به من أعمال، حيث آمن الرجال بدورها السياسي، الأمر الذي جعلها في نظرهم أكثر استحقاقاً من أي فرد آخر للقيام بهذا الدور، وهو أسمى صور الحكم المتمثل في اعتلاء عرش البلاد، فقد كان يتسم حكمها بالشورى التي نعدها قمة ديمقراطية العصر الحديث فقد جمعت قومها كي تستشيرهم في أمر الرد الواجب إرساله للنبي سليمان عليه السلام حيث بعث إليها برسالته الشهيرة والتي ذكرها لنا القرآن الكريم في قوله تعالى:-  
﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ {29} **إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** {30} **أَنَا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأُتُونِي مُسْلِمِينَ** {31} **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ** {32} **قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ** ﴿<sup>(6)</sup>، ونظرا إلى ثقتهن بها واقتناعهم بدورها السياسي الذي تؤديه من أجلهم أجمعوا على تفويضها في التصرف باسمهم واضعين أرواحهم رهن إشارتها، وهذا يدل على أن عرب هذه الفترة كانوا ينعمون بالحضارة وارتفاع المستوى السياسي لديهم، وبهذه الثقة التي أولاها شعب اليمن للملكة "بلقيس" دفعتها إلى توفير السعادة والخير لشعبها، حيث رأت ضرورة تجنب شعبها ويلات الحروب

والصدام المباشر، وتمثل ذلك في تصرفها الحكيم مع النبي سليمان عليه السلام فقد وقفت موقفاً سياسياً محنكاً حين وصلت إليها رسالة سليمان ورأت ضرورة اختبار نوايا سليمان أولاً قبل اتخاذ أي موقف سياسي، حيث أرسلت إليه بهدية ثمينة غالية لتعرف ما إذا كانت أغراضه مادية أم أنها مجرد دعوة دينية، قال تعالى: ﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرََّةَ أَهْلِهَا أَذًى وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ {34} وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ (7)

وقد استطاعت بهذا الموقف الذي يدل على حسن إدراك العواقب وحكم سياستها أن تكسب النبي سليمان عليه السلام إلى جانبها وتتهدي إلى الحق الذي بعث من أجله رسالته.

وإذا وصلنا إلى الحضارة التدمرية السورية فإنه نستوقفنا قصة الملكة "زنوبيا" فهي أيضاً تؤكد دور المرأة السياسي في بعض المجتمعات العربية، فقد كانت قادرة على قيادة شعبها والنهوض ببلادها بعد مقتل زوجها، كما استطاعت إدارة سياسة البلد وقيادته أثناء الحروب من أجل البقاء ضد الإمبراطورية الرومانية، حيث تمكنت من توسيع رقعة بلادها حتى امتدت إلى ما بين مجاهل إفريقيا ومعالم أنقرة.

وقد اختلف العلماء والمؤرخون في مدة حكمها حيث يرى بعض المؤرخين أنها لم تحكم سوى أحد عشر عاماً، ويرى آخرون أنها حكمت أكثر من هذه المدة. (8)

وقال عنها المؤرخ الروماني "تريبيلوسي يوليون" :كانت زنوبيا أنبل ملكات الشرق قاطبة، وأجملهن أيضا؛ كانت بيضاء البشرة مشربة بالحمرة، لها عينا سوداوان لا يثبت أمام لحظهما الساحر الجذاب أعتى الرجال وأشدهم غلظة... لقد كانت بحق ملكة أسطورية عربية الأصل، وكانت تتمسك باسمها العربي "زينب" برغم إصرار بعض المؤرخين على تسميتها بالملكة "زنوبيا"<sup>(9)</sup>.

وإذا رجعنا إلى مجتمع البادية لوجدنا أن المرأة قد عاشت في تلك البيئة الصحراوية عيشة قاسية، فقد كانت تقوم بالأعمال البدائية منذ صغرها كرعي الغنم، وتؤدي دورها زوجة أو أما، وعلى الرغم من هذه الحياة القاسية فإن هناك بعض الحرائر من سادات العرب كن يحصلن على بعض الحقوق ولكن في أضيق حدود مثل السيدة خديجة بنت خويلد.

كما أن المرأة في بعض القبائل كانت تتعرض للوأة حيث تدفن الفتاة حية خشية الفقر أو دفنا للعار إذا ما كبرت الفتاة وأخذت أسيرة كما صور ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ {58} يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾<sup>(10)</sup>

وإذا سلمنا بالقول الذي يقول: بأن المرأة العربية في العصر الجاهلي وبخاصة النسوة الحرائر قد تمتعن ببعض الحقوق فإنها حقوق مطموسة المعالم غير معترف بها من الرجال، بل كانت بعض النسوة يغتصبن هذا الحق بقوة الشخصية، وما يتمتعن به من نبوغ ذاتي يتمثل في قول الشعر

---

وطلاقة اللسان كالخنساء، كما أنه في بعض الفترات كانت المرأة تحاول أن يكون لها دور في الحياة العامة، ولو من خلف الستار، برغم اعترافها بحياة العبودية التي كانت تتخذ أشكالاً متعددة تبعاً للظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئة.

فكيف تطور دور المرأة اجتماعياً، وسياسياً، في الإسلام؟.

### ثانياً - مسيرة المرأة السياسية من خلال الآثار النبوية:

إن العصر النبوي هو من أهم عصور التاريخ الإسلامي من حيث ترسيخ الأحكام وإنشائها، لأن من خلاله تستقى كل الضوابط والأحكام المتعلقة بحياة الإنسان، والمرأة عنصر فعال في المجتمع الإسلامي منذ بداية انبلاجه، فقد اهتم الدين بكل ما يخصها ولم يغفل أي جانب من جوانب حياتها.

ولذلك سنؤصل للجانب السياسي في حياة المرأة من خلال التعرف على الدور السياسي للمرأة خلال الحقبة النبوية، بداية باعتناقهن للإسلام ونهاية بجهادهن في سبيل الله تعالى، كل هذا يدل دلالة جلية على أن للمرأة دور حقيقي في هذا المجال وإن اختلفت الرؤى في تحديد مفهومه وبذلك سنخرج على العديد من الآثار والأحداث النبوية التي تمثل التشريع السني لهذا الجانب من خلال الحوادث التي حدثت في العهد النبوي وأقرها النبي ﷺ أو مارسها والتي تمثل ما يعرف الآن بالنشاط السياسي للمرأة الذي كثر فيه الجدل النظري بين مؤيد ومعارض بسبب بعض الروايات التي تم الاستدلال بها والتي لا أساس لها من الصحة التاريخية ليكون رداً علمياً يحمل الدليل الأكثر عمقا والأشد أصالة، والأسبق تاريخاً من كل الآراء والأقوال التي حجرت

على المرأة أن تشارك في بناء وتسديد خطى أمتها، كما أنه رد أيضا على الذين زعموا أن التاريخ الإسلامي لم يعرف للمرأة مشاركة في ميادين السياسة، وهذا ما ستوضحه الأحداث الآتية:-

### أولا - المرأة والوزارة :

إن الوزارة في الفكر السياسي الإسلامي هي: ذلك الجهاز المساعد والمعاون للخليفة في اختصاصاته التنفيذية التي تلقى على عاتقه في تحمل مسؤوليات كبيرة ومتعددة يستحيل أن يمارسها بمفرده، لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا باستنابة، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرد به ليستظهر به على نفسه وبها يكون أبعد عن الزلل. (11)

والوزارة موجودة في المصطلح القرآني، قال تعالى: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ {29} هَارُونَ أَخِي {30} اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي {31} وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي {12}، حيث دلت الآية على أن مهمة الوزير أن يشد الأزر ويشترك في الحكم عن طريق إبداء الرأي والمشورة .

وقد سبقت المرأة الرجال في تحمل أعباء الرسالة الجديدة ولم تخف مما سيترتب عنها من المتاعب والمشقة التي لا يستطيع أقوى الرجال تحملها، فهذه السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ تقف إلى جانب رسول الله ﷺ وتشد من أزره من أول لحظة لنزول الرسالة المحمدية، فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ... فجاءه الملك ... فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ {1} خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقَ {2} {أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ} (13) فرجع بها رسول الله يرفف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد ﷺ فقال: (زملوني، زملوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر، لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة: "كلا والله ما يخزيك الله أبدا، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل ابن عم خديجة، الذي كان قد تنصر في الجاهلية... فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال ورقة: يا ابن أخي ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى فقال ورقة: "هذا الناموس الذي نزله الله على موسى...") (14)، فهذه أم المؤمنين تثبت قلب النبي ﷺ بكلمات تشير إلى كمال عقلها واستدلالتها على صدق ما رأى بقرائن الحال، ثم تسعى إلى التحري عن الدين الجديد من مرجع كبير موثوق، ثم تكون أول من آمنت به وأزرتة وصدقته.

إن هذه السيدة الجليلة هي الوزيرة الأولى في الإسلام، وزيرة رسول الله ﷺ نفسه، فلم تكتف بمراقبة الأحداث الكبيرة التي تخرج من بيتها وتؤثر في مجتمعها من دون أن تشارك في هذه الأحداث، حيث أيدته ﷺ بإيمانها الفاعل، وتأثيرها النشط على قومها، وأمدته بمالها المتشعب ببيوتات قريش المؤثر في المجتمع على سائر أنشطته الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، فكان موقفها وزارة كاملة لرسول الله ﷺ وذلك بإيجابية فعلها، وقوة حركتها، ونبوغ نشاطها، حتى أن فقدتها كان له تأثيره البالغ المتعدد الجوانب لا على عاطفته ووجدانه ﷺ فقط بل على خط سير الدعوة والجماعة حتى سمي



الرسول ﷺ العام الذي ماتت فيه عام الحزن مع قوة قلبه ﷺ وصلابته وتفاؤله، مما جعل بعض العلماء يصرحون بوزارة خديجة لرسول الله ﷺ (15)، قال ابن إسحاق: "فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك خديجة وكانت له وزير صدق على الإسلام يشكو إليها" (16)

وبذلك فإن هذه المكانة الجليلة والأولى في التاريخ الإسلامي للسيدة خديجة هي بمثابة سند قوي يدعم إمكانية تحلي المرأة بهذا المنصب الوزاري الكبير إذا كانت تتمثل فيها الحكمة، والفتنة، وحسن الإدراك، والعبقرية، وهي سنة من رسول البشرية ﷺ لإفساح المجال للمرأة في السماح لها بهذه المرتبة وفق الضوابط والمبادئ الشرعية السليمة، ولأن المهام والوظائف السياسية والتي هي دون الولاية العامة مسكوت عنها، فإن الأصل في الأشياء الإباحة، حتى يرد ما يخالف ذلك، وهذا يعني أن سائر هذه الوظائف داخل في عموم حكم الإباحة، بشرط أن تكون المرأة أهلاً لها.

#### – المرأة ومجالس الشورى:

الشورى هي: استطلاع الرأي من ذوي الخبرة للتوصل إلى أقرب الأمور للحق أو هي استطلاع رأي الأمة ومن ينوب عنها في الأمور العامة المتعلقة بالمصالح العامة (17)

وبذلك فإن من يقوم بهذه المهمة لم تشترط فيه الذكورة وإنما أكدوا على صاحب الخبرة أو الجماعة للوصول إلى الحق سواء أكان رجلاً أم امرأة، وقد أكد ذلك المبدأ القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (18) وقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (19) ومن السنة المطهرة ما يدل على

طلب الإشارة على النبي ﷺ كما في معركة بدر في قوله ﷺ ( ... أشيروا علي أيها الناس..)، وفي قصة الإفك، وفي صلح الحديبية وقد روى أبو هريرة مرفوعا ( المستشار مؤتمن)<sup>(20)</sup>، وروى جابر مرفوعا ( إذا استشار أحدكم أخاه فليشر إليه)<sup>(21)</sup>

فهذه النصوص الكريمة لم تخصص مسألة الشورى بالرجل، وإنما هي نصوص عامة أتت على سبيل الإطلاق لتشمل كلاً من الرجل والمرأة إذا كان كل منهما مؤهلاً لهذه المهمة، ولذلك أكدت العديد من الأحداث النبوية دور المرأة في هذا الجانب السياسي المهم في حياة الأمة، من خلال الأحداث التي خاضتها الصحابيات حيث كانت دليلاً واضحاً على تأصيل هذا الدور المهم في حياة المرأة .

فهذه أم سلمة ؓ يستشيرها الرسول ﷺ، وكان ذلك في العام السادس للهجرة، عندما صاحبت أم سلمة ؓ، الرسول ﷺ في رحلته معتمراً، ولكن قريشا رفضت دخول المسلمين ذلك العام، وتم الصلح بينهما وهو ما يعرف بصلح الحديبية، فتضايق المسلمون من ذلك حتى أن بعضهم قد راجع الرسول ﷺ في ذلك كما فعل سيدنا عمر ؓ عندما قال له: ألسنت نبي الله حقا؟ ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال "بلى" قال عمر ؓ: ففيم تعطي الدنيا على ديننا؟ قال ﷺ: ( إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري )، ولما فرغ من قضية الصلح والكتاب وما تضمنه قال رسول الله ﷺ: لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات فلم يبق منهم أحد، فاحتمل من ذلك ما احتمل ودخل على أم المؤمنين أم

سلمه ﷺ فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: "يا نبي الله أتحب ذلك" أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم حتى تتحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما: (22)

فقد كان لرأي أم سلمة أثر كبير في هذا الحدث الذي غير مسار التاريخ الإسلامي من ضعف للمسلمين إلى قوة بعد صبر وعناء وابتلاء انتهى بفتح مكة الذي بشرهم الله تعالى به في أحلك أيام صبرهم، فأى رأي صائب لأم سلمة ﷺ أخذ به رسول الله ﷺ في هذا الموقف الخطير. (23)

وهذه أم سليم تشير على رسول الله ﷺ يوم حنين؛ عن أنس أن أم سليم "يوم حنين" قالت: "يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، فقال رسول الله ﷺ: (يا أم سليم إن الله قد كفى و أحسن) (24)

فهذا يبرز دور المرأة السياسي في الوقت الذي غشي فيه الهم الرجال وألباب العقول بمن فيهم عمر بن الخطاب حيث لم تحجب عنها عواطفها الحكمة و القوة في الرأي في وسط كانت الفتنة فيه واردة، والجو المحيط صدمة نفسية للصحابة، وعواطف الرجال الأشداء من حوله ﷺ مأخوذة، فالحكمة الإلهية هي التي اقتضت إبراز دور المرأة السياسي البالغ الدقة والحساسية، وهذا دليل وبرهان ساطع على أنه ﷺ كان يقدر المرأة ولا ينقص شيئا من قدرتها وحقوقها، بل يرى لها حقا بجانب الرجل ودورا لا بد أن تؤديه في وقتها فاقتضت "حكمته النبوية البالغة أن يستشير المرأة ويأخذ

برأيها وأن يقبل مشورتها ويقرها عليها كما فعل ﷺ مع أم سلمة وغيرها كثير.

وهذا الحدث النبوي الشريف يؤكد ويؤصل بقوة لحق المرأة السياسي في ما يعرف الآن بعضوية مجلس الشورى فقد تكون المرأة أقوى حجة ورأيا من أحنك الرجال وأصوبهم رأيا، وبذلك لا نحكم على المرأة بالحجر بحجة أنها مخزن العواطف التي تجعلها أسيرة لها وتحجب عنها الحكمة، كما أنه من خلال هذه الأدلة الثابتة عن الرسول ﷺ ذهب جمهور العلماء إلى أن الشورى تلتقي مع الفتوى في مناط واحد، فكل من جاز له أن يفتي ممن توافرت لديه شرائط الفتوى، جاز له أن يشير، وجاز للإمام أن يستشيره ويأخذ برأيه، والذكورة ليست شرطا في صحة الفتوى ولا في تبوء منصبها، يقول الماوردي في أدب القاضي: "إن كل من صح أن يفتي في الشرع، جاز أن يشاوره القاضي في الأحكام، فيجوز أن يشاور الأعمى والعبد والمرأة" (25)

- المرأة والنيابة:

وصلت البشرية في بعض تطبيقاتها السياسية إلى النظام النيابي؛ وهو عبارة عن ترشيح فرد ليكون نائبا ووكيلا عن عدد ما يمثلهم ويعبر عن إرادتهم في المجلس النيابي بعد أن يرضوه ويرضوا عن برنامج الانتخابي<sup>(26)</sup>، وهو في الحقيقة عقد نيابة ووكالة عنهم، وليس في القرآن ولا في السنة النبوية الصحيحة ما يمنع ذلك بالنسبة إلى المرأة .

وبذلك فإن للمرأة في الإسلام أن توكل نائبا عنها في المجلس النيابي "حق الانتخاب" كما لها الحق في أن تكون وكيلا عن مجموعة من الرجال والنساء

يختارونها بحيث تصبح "نائبا في المجلس النيابي" فلا فرق بينها وبين الرجل مادامت المقومات الشخصية الخاصة بها تؤهلها لهذا المكان .  
فقد وجدت حوادث في السنة النبوية في صدر الإسلام ثابتة قاطعة باشتراك المرأة في الجهات العامة وتقديمها مشورات وآراء جيدة بحق تؤكد حق المرأة في الإسهام في أمور الحياة العامة المهمة، كما تقضي بذلك قواعد الإسلام ومقرراته الصحيحة ومن ذلك :

قبوله ﷺ لأسماء بنت يزيد الأنصارية "وافدة النساء" أن تمثل النساء، فقد سمح لها أن تمثل النساء بين يديه وطلب منها أن تنقل لمجموعة النساء اللاتي تمثلهن الكلمات التي قالها لها، فقد روى عن أسماء بنت يزيد أنها أتت النبي ﷺ، فقالت: يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك، إن الله بعثك إلى النساء والرجال كافة فأما بك إنا معاشر النساء محصورات مقصورات قواعد بيوتكم حاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتم علينا بالجمع والجماعات، وعبادة المرضى، وشهود الجنائز، والحج، وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله، وإن أحدكم إذا خرج حاجا أو معتمرا أو مجاهدا حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم... وربينا أولادكم، أفنشارككم في هذا الخير؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه ثم قال: هل سمعتم مسألة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟! فقالوا: يا رسول الله ما ظننا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا " ثم التفت النبي ﷺ إليها ثم قال: اذهبي أيتها المرأة وأعلمي من خلقك من النساء أن حسن تبعل المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها

موافقته يعدل ذلك كله"، فانصرفت أسماء وهي تهلل وتكبر استبشارا بما قال لها رسول الله ﷺ " (27).

فمن خلال هذه الحادثة النبوية وغيرها كثير يتضح جليا مدى أحقية النساء في أن يجعلن من ينوب عنهن في أمور حياتهن، وهو ما يعرف الآن بعضوية البرلمان أو مجلس النواب فهي والرجل على حد سواء في هذه العضوية، وبخاصة أن مهمة المجلس النيابي هي التشريع والمراقبة، فأما التشريع فإن الإسلام لا يمنع المرأة من ذلك لأنه مبني على العلم وهذا الحق للمرأة والرجل على حد سواء، والتاريخ الإسلامي حافل بالعديد من العالمات والفتيات والمحدثات .

وأما المراقبة فإنها تدخل في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والرجل والمرأة في ذلك سواء في نظر الإسلام قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (28).

فهذا شكل آخر من أشكال أنشطة المرأة السياسية حيث أخذ شكلا منظما نلمح فيه جنين "جمعية نسائية" فهذه المندوبة "وافدة النساء" حملت المطالب التي اتفقت عليها النسوة المجتمعات إلى رسول الله ﷺ، وبهذا فإنه ليس في نصوص الإسلام الصريحة ما يسلب المرأة أهليتها للعمل النيابي كتشريع ومراقبة.

#### - المرأة وحق الانتخاب:

البيعة هي: ميثاق للنظام السياسي الإسلامي، أو الخلافة الإسلامية، والالتزام بجماعة المسلمين، والطاعة لإمامهم (29)، وبقراءة واقعية و متمعنة

لأحداث البيعة التي حدثت في عهد النبي ﷺ فإنه يمكن أن تنقسم البيعة إلى نوعين هما:

أ- بيعة عينية واجبة على كل مسلم ومسلمة: - وهي البيعة على العقيدة والأخلاق الاجتماعية الإسلامية، وقد أخذها الرسول ﷺ قبل وبعد تأسيس الدولة ولم تختلف صيغتها، وسميت اصطلاحاً ببيعة النساء، لورود نصها في القرآن في سورة الممتحنة في سياق الحديث عن مبايعة النساء لرسول الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (30)

ب- بيعة كفائية واجبة على البعض دون بقية المسلمين: وهي المرتبطة بالأمر الكفائية كالبيعة على الجهاد كما في بيعة الرضوان، وهي البيعة التي يدخل فيها في الخبرة الإسلامية أيضا البيعة على الولايات العامة (31)

ففي بيعة العقبة الأولى اختار ﷺ نص المعاهدة بينه وبينهم النص نفسه الذي بايع به النساء، فهذه البيعة وإن خلت من وجود النساء، حيث كانوا اثني عشر رجلاً اجتمعوا به ﷺ عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله ﷺ ببيعة النساء فعن عبادة بن الصامت ﷺ: (بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقون ولا تزنون ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن

أصاب من ذلك شيئاً، ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك).<sup>(32)</sup>

أما البيعة الثانية التي كانت تتويجا للعقبة الأولى، فقد كانت أقوى تمثيلاً لشرائح يثرب من الرجال والنساء، فكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً، اثنين وستين من الخزرج، وأحد عشر من الأوس، ومعهم امرأتان؛ وهي نسيبة بنت كعب من بني النجار، وأسماء بنت عمرو بن عدي من بني سلمة، فقد ذكر الحافظ ابن حجر قال كعب بن مالك: ( خرجنا حجاجاً مع مشركي قومنا، وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا ... قال: فاجتمعنا ثلاثة وسبعين رجلاً ومعنا امرأتان: أم عمارة بنت كعب إحدى نساء بني مازن، وأسماء بنت عمرو بن عدي إحدى نساء بني سلمة)<sup>(33)</sup>

فمشاركة هاتين المرأتين في هذا الأمر الخطير الذي يحمل في طياته بشائر انقلاب سياسي ضخم لا في الجزيرة العربية وحدها، بل في العالم بأسره، بل إنها تحمل في طياتها تحول عقدي واجتماعي من نظام القبيلة إلى نظام الأمة والدولة، ثم إن مبايعة النساء للنبي ﷺ لها عدة دلالات منها:

1- استقلال شخصية المرأة فهي ليست تابعا للرجل، بل هي تبايع كما يبايع الرجل.

2- بيعة النساء هي بيعة الإسلام والطاعة لرسول الله ﷺ وهذه يستوي فيها الرجال والنساء.

3- مبايعة النساء للنبي ﷺ تقوم على أساسين:

أ - باعتباره الرسول ﷺ المبلغ عن الله سبحانه وتعالى



ب - باعتباره ﷺ إمام المسلمين، ومما يؤكد وجود الاعتبار الثاني قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾<sup>(34)</sup>، وقوله ﷺ عن طاعة الأمير: (إنما الطاعة في المعروف)<sup>(35)</sup>

وهذا يؤكد على مكان المرأة السياسي في البيعة ويدحض كل المحاولات التي حاولت التمييز بين المرأة والرجل في البيعة، فهذه البيعة هي تماثل الحرية السياسية التي تنادي بها المرأة الآن مع حرية العقيدة، فقد كان من خلال هذا العهد الذي أخذته النساء على أنفسهن، وهو عدم الشرك بالله، وعدم السرقة أو قول الزور أو البهتان..... وغيرها من الأمور التي بايعت عليها النساء النبي ﷺ العهد والمبايعة السياسية من المرأة للقائد الأعلى للأمة الإسلامية في ذلك الحين وهو رسول الله ﷺ دينيا وسياسيا واجتماعيا<sup>(36)</sup>.

#### - المرأة والمساهمة في بناء الدولة:

فقد شاركت المرأة في بناء الدولة الإسلامية منذ تأسيسها الأول فأول من آمنت بالرسول ﷺ وصدقته كانت امرأة وهي السيدة خديجة ﷺ وأول شهيدة في الإسلام كانت امرأة وهي سمية بنت الخياط أم عمارة بن ياسر، ومن حمت الرسول ﷺ ونقلت له الطعام وهو في هجرته إلى المدينة كانت امرأة وهي أسماء بنت أبي بكر "ذات النطاقين" ﷺ... وغيرهن كثيرات من النساء اللاتي كانت لهن مساهمة فعالة في بناء الدولة الإسلامية سواء على المستوى الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي لا يمكن حصرهن في دراسة واحدة مستقلة، وإنما سنعرض لبعض المواقف السياسية التي كانت فيها مساهمة المرأة فعالة ولها حراك سياسي لأنها أحداث كبيرة أثرت في مسار الدعوة

ومن خلالها تكونت القاعدة الأساسية لبناء الدولة الإسلامية ومن هذه الأحداث والمواقف ما يأتي:-

### دور المرأة في الهجرة:

فقد كان للمرأة دور كبير في الهجرتين إلى الحبشة، وإلى المدينة، حيث لم تكن مشاركة المرأة في هذين الحدثين السياسيين الكبيرين مجرد التبعية لأزواجهن، وإنما من باب أن الهجرة واجبة على النساء، كما هي واجبة على الرجال من المسلمين.

فقد كانت الهجرة الأولى إلى الحبشة بتشجيع من الرسول ﷺ لقوله ﷺ: ( فيها ملك لا يظلم عنده أحد)، وقد كان اعتراف النجاشي بأحقية هذا الدين هو أول اعتراف سياسي بالوجود الإسلامي من خارج الجزيرة العربية، وهو مكسب سياسي لا حدود له في ذلك الوقت المبكر للدعوة فقد كان ثلث المهاجرين إلى الحبشة على الأقل من النساء، وكانت على رأسهم السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ، وكذلك من النساء المشاركات في هذه الهجرة واللاتي كان لهن نشاط ديني وسياسي في تاريخ الإسلام: أسماء بنت عميس، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وأم سلمة بنت أمية وغيرهن اللاتي تحملن وعتاء السفر عبر سفينة تجارية غير معدة لركوب المسافرين، وعلى الرغم من ذلك لم تنقل عنهن كتب التاريخ أي شكوى من الإسهام في هذا العمل التاريخي.

وقد عد هذا الاشتراك للمرأة في هذه الهجرة الأولى بوصفها عملاً سياسياً أفاد الدعوة والمجتمع الإسلامي مفخرة من مفاخر الإسلام والمشاركون فيها أقرب الناس إلى رسول الله ﷺ. (37)

أما الهجرة الثانية إلى المدينة فقد شاركت فيها العديد من النساء، كحفصة بنت عمر بن الخطاب، وأم سلمة بنت أبي أمية، وأم الفضل زوجة العباس، وسبيعة الأسلمية، وفاطمة بنت قيس... وغيرهن.

ففي هذه الحادثة العظيمة نجد أن للمرأة دوراً بارزاً منذ البداية، فعند هجرته ﷺ لم يعلم بها إلا أربعة منهم السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ — على حداثة سنها— وأختها السيدة أسماء ﷺ، فبالرغم من صغر سن السيدة عائشة ﷺ وحمل السيدة أسماء ﷺ إلا أنهما شاركتا في هذا الحدث الكبير الذي يعد من أهم أسباب قيام الدولة الإسلامية، وذلك بكتمان السر أولاً حيث لم يخبرا أحداً عن مسيرة ومكان رسول الله ﷺ وصاحبه على الرغم من تلقي أسماء الضرب والإهانة من قبل قريش، ثم بعد ذلك تتحمل أسماء مسئولية تأمين المؤونة اللازمة والزياد للنبي ﷺ ولصاحبه ﷺ حيث كانت تحمله يومياً من بيت أبيها إلى غار حراء، ولم تعدم الوسيلة أو الحيلة حين لا تجد ما تحمل به الزاد فشقت نطاقها إلى شقين لكي تتمكن من حمل الزاد، فلقت بذات النطاقين.

وهذه أم سلمة لم يدعها المشركون تهاجر مع أسرتها حيث منعوها من مرافقة زوجها، بل أنهم نزعوا منها ولدها حتى خلعت ذراعها، وهاجر زوجها فبقيت لا زوج ولا ولد، ومكثت سنة كاملة تقف على الأطلال تعاني ألم الفراق والابتعاد عن زوجها وولدها، إلى أن عطف عليها بعض قومها فسمحوا لها باللاحق بزوجها وردوا إليها ابنها، وارتحلت وحدها مع ابنها

تريد زوجها في المدينة حتى التقت بعثمان بن طلحة بالنتعيم فصحبها حتى أوصلها إلى زوجها بالمدينة.

قال ابن إسحاق: قالت أم سلمة: " والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط أكرم من عثمان بن طلحة" (38).

فهذه نماذج يسيرة جدا من المعانات والحوادث التي عاشتها الصحابيات اللاتي كن حريصات على المشاركة الفعالة بأنفسهن وأموالهن وأهلهن في إعلاء الدعوة وبناء الدولة ونصرة الحق بكل ما أوتين من قوة، فكرمهن الله في الدنيا والآخرة، كما كرمهن الرسول ﷺ حيث صارت السيدة عائشة رضي الله عنها والسيدة أم سلمة رضي الله عنها من أمهات المؤمنين، وأبدل الله أسماء نطقها بنطاقين في الجنة.

#### المرأة والجهاد:

إذا كان الله قد أذن للمظلومين والذين أخرجوا من ديارهم، وفتنوا في دينهم أن يقاتلوا، فإن الإذن بالقتال ثم كتابته وفرضه موجه لكل من الرجال والنساء على السواء، فلقد فتنت المرأة في دينها كما فتن الرجال، وأخرجت من ديارها كما أخرج الرجال، ولذلك أذن الله للجميع بالقتال مع تمييز إسهامات كل من النوعين في هذا الميدان.

فبعد أن فتح الإسلام للمرأة أبواب الحرية المنضبطة بقيم الإسلام دخلت المرأة في أبواب المشاركة الفعالة في مختلف مبادئ العمل العام؛ من عبادات ومعاملات... وحتى في مبادئ الشورى والسياسة والاجتماع، بل وأكثر من

ذلك فقد كان لها دور فعال في القتال بعد مشاركتها للرجال في الهجرة، وفي الحصار، وفي المبايعة على دخول الإسلام، وأيضا المبايعة على الحرب والقتال حيث مدحهم الله تعالى بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(39)</sup>، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(40)</sup>.

وقد حفلت الآثار النبوية بالعديد من الآثار التي تبين جليا الدور الفعال الذي قامت به المرأة في حركة الجهاد الإسلامي ضد المشركين حيث مارست المرأة كل أنواع الجهاد من جهاد النفس إلى جهاد المال إلى جهاد الكلمة والدعوة، ففي جهاد النفس لا نكاد نستطيع أن نحصي المواقف النسائية التي بذلت فيها المرأة نفسها من أجل إعلاء كلمة الله تعالى ومن بين هذه المواقف ما يأتي :-

فعن الربيع بنت المعوذ قالت: " كنا نغزو مع النبي ﷺ، فنسقي القوم، ونداوي الجرحى، ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة".<sup>(41)</sup>

وهذه أم عمارة نسيبة بنت كعب الأنصارية، التي حضرت بيعة الإسلام الأولى، وبيعة تأسيس الدولة الثانية، وبيعة الرضوان عام الحديبية تقابلت قتال الأبطال في غزوة أحد عندما هزم المسلمون ولم يبق مع رسول الله ﷺ إلا عدد قليل، فقد صمدت لحماية رسول الله ﷺ حتى أنها افتدته بنفسها عندما هجم عليه ابن قمنة يريد طعنه فتأقت الطعنة في كتفها فداء لرسول الله ﷺ،

كما أن رسول الله ﷺ عندما رأى شدة شجاعته، وصمودها كان يطلب من الفارين أن يتركوا لها دروعهم وأسلحتهم، ويطلب من ابنها أن يربط جراحها كي لا تتزف دماؤها، ويقول ﷺ إعجابا وتعجبا من شجاعته: (من يطيق ما تطيقين يا أم عمارة ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا وأنا أراها تقاتل دوني... لمقام نسيبة بنت كعب يوم أحد خير من مقام فلان وفلان من الرجال،" (42).

وهذه أم سليم فقد كانت توالي مع طائفة من نساء المسلمين الغزو مع الرسول ﷺ فعن أنس بن مالك قال: (كان رسول الله ﷺ يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار معه إذا غزا، فيسقين الماء، يداوين الجرحى). (43)

وقد كانت يوم حنين متسلحة بخنجر فذكر زوجها أبو طلحة ذلك لرسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ: (ما هذا الخنجر؟) قالت: " اتخذته، إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه فجعل رسول الله ﷺ يضحك مسرورا (44).

ولم تكن هذه الحالات الوحيدة والاستثنائية أو النادرة في مسار صدر الإسلام فالتاريخ الإسلامي مليء بالأحداث الجهادية التي تمثل جليا مدى دور المرأة في حركة الجهاد ومن بين الأمثلة الرائعة التي بذلت فيها المرأة جهدا عظيما في حركة الجهاد والسياسة في حياة الدولة الإسلامية، من ذلك الدور العظيم التي قامت به السيدة عائشة أم المؤمنين ﷺ، فقد كانت تخرج مع رسول الله ﷺ، وتساهم في الغزوات، فعن أنس بن مالك قال: ( لما كان يوم أحد، انهزم الناس عن النبي ﷺ ولقد رأيت عائشة بنت أبي بكر، وأم سليم " الغميصاء بنت ملحان" وإنهما لمشمرتان، أرى سوق خدمهما، تنقران القرب

على متونها تفرغانه في أفواه القوم ثم ترجعان فتملأنها ثم تجيئان فتفرغانه في أفواه القوم...)(45).

ومنهن من جاهدن بأموالهن في سبيل الله أمثال السيدة خديجة أم المؤمنين ﷺ فقد تصدرت نساء المؤمنين في هذا المجال، حيث تزوجت رسول الله ﷺ قبل البعثة، وجاهدت معه منذ الوهلة الأولى، فكانت أول من آمن به وصدقته، وأول من صلى معه، وأول من آزره وعضدته بنفسها ومالها وقلبها ولسانها، فقد كانت سندا قويا في الدعوة حتى أطلق على عام وفاتها عام الحزن، قال ﷺ ( ... أمنت بي - خديجة - إذ كفر بي الناس، وصدقني إذ كذبي الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس). (46)

وهذه أم شريك الأنصارية النجارية مجاهدة بأموالها في سبيل الله، فقد ذكرت بأنها امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل الله ﷺ . (47)

أما عن جهاد الكلمة والدعوة في سبيل الله الذي خاضته الصحابيات فإن التاريخ الإسلامي حافل به حيث ذكرت الآثار الواردة العديد من الحوادث التي تبين جليا قوة جهاد المرأة بالكلمة ومدى تأثيره في بناء الدولة من ذلك ؛ جهاد صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ التي دعت إلى الإسلام وهي في مكة ومنهم عم رسول الله ﷺ " أبو لهب " إلا أنه رفض إليها، كما شاركت في الهجرة إلى المدينة، وفي العديد من الغزوات النبوية. (48)

وهذه سبطة رسول الله ﷺ زينب بنت علي بن أبي طالب ﷺ فقد كانت لها مواقف مشهورة في كربلاء عندما استشهد الإمام الحسين ﷺ حيث وقفت

تدافع عن الإسلام، وعما وصل إليه حال أهل البيت، ولها خطب وردود جزلة على يزيد بن معاوية بن أبي سفيان أفحمتها بها تدحض بها الباطل.<sup>(49)</sup> وهكذا فقد جاهدت المرأة المسلمة في الصدر الأول للإسلام بكل أنواع الجهاد حتى وضعت مبادئ الإسلام في الحرية والتحرير في الممارسات والتطبيق، حيث شاركت الرجال في الكثير من ميادين العمل العام، وهذا نتيجة ما أفرزته المدرسة النبوية والتي مثلت المؤسسة التربوية الأولى للعمل الدعوي والاجتماعي العام من بين تعداد الأمة الذي بلغ عند وفاته ﷺ "124000" أعلى نسبة من الصفوة والنخبة عرفها مجتمع من المجتمعات الإنسانية، حيث وصلت إلى حوالي "8000"، وكان من بين هؤلاء الأعلام والصفوة أكثر من ألف من النساء المبرزات والتميزات، فقد كان من بين هذه الصفوة المقدمات في العلم الديني، والمقدمات في تبليغ الشريعة، والمقدمات في الاجتهاد الفقهي، بل واللاتي زاحمن الرجال في الخطابة والبلاغة وفي الجهاد وفي كافة ميادين الدعوة والعمل مع التحلي بآداب الإسلام .

فهذه الوقائع تمثل شهادة واقعية للدور الكبير الذي لعبته المرأة المسلمة في صدر الإسلام، والذي كان له الأثر الفعال في بناء الدولة الإسلامية كما أنه شهادة واقعية على أن المجتمع الإسلامي مجتمع الاشتراك بين الرجال والنساء في العمل العام من الصلاة في المسجد ... إلى الجهاد في سبيل الله وفق ضوابط الإسلام وقيمه.<sup>(50)</sup>



## الخاتمة وتحتوي على أهم النتائج والتوصيات:

### أولاً : النتائج.

— من خلال التعرف على وضع المرأة عبر تاريخ الإنسانية، يتبين أنها كانت تعيش رهينة عوامل التقدم والتأخر الحضاري الذي كان سائداً في تلك الفترات مع وجود بعض الإضاءات البسيطة التي توضح حركة المرأة السياسية عبر العصور كما في عصر الملكة بلقيس والعصر الفرعوني.

— أن المكانة الجليلة والأولى في التاريخ الإسلامي للسيدة خديجة عليها السلام هي بمثابة سند قوي يدعم إمكانية تحلي المرأة بهذا المنصب الوزاري الكبير إذا كانت تتمثل فيها الحكمة، والفتنة، وحسن الإدراك، والعبقرية، وهي سنة من رسول البشرية عليه السلام لإفساح المجال للمرأة في السماح لها بهذه المرتبة وفق الضوابط والمبادئ الشرعية السليمة

— أكدت الآثار النبوية حق المرأة السياسي في ما يعرف الآن بعضوية مجلس الشورى فقد تكون المرأة أقوى حجة ورأياً من أحنك الرجال وأصوبهم رأياً، وبذلك لا نحكم على المرأة بالحجر بحجة أنها مخزن العواطف التي تجعلها أسيرة لها وتحجب عنها الحكمة

— إنه ليس في نصوص الإسلام الصريحة ما يسلب المرأة أهليتها للعمل النيابي كتشريع ومراقبة، وهذا ما أكدته وافدة النساء التي حملت المطالب التي اتفقت عليها النسوة المجتمعات إلى رسول الله عليه السلام، والذي أخذ شكلاً آخر من أشكال أنشطة المرأة السياسية.

– إن بيعة النبي ﷺ للنساء تدحض كل المحاولات التي حاولت التمييز بين المرأة والرجل في البيعة، وهي تماثل الحرية السياسية التي تنادي بها المرأة الآن مع حرية العقيدة، فقد كان من خلال هذا العهد الذي أخذته النساء على أنفسهن في الأمور التي بايعت عليه النبي ﷺ العهد والمبايعة السياسية من المرأة للقائد الأعلى للأمة الإسلامية في ذلك الحين وهو رسول الله ﷺ دينيا وسياسيا واجتماعيا

– إن الوقائع والحوادث التي خاضتها الصحابيات كانت شهادة واقعية للدور الكبير الذي لعبته المرأة المسلمة في صدر الإسلام، والذي كان له الأثر الفعال في بناء الدولة الإسلامية كما أنه شهادة واقعية على أن المجتمع الإسلامي مجتمع الاشتراك بين الرجال والنساء في العمل العام من الصلاة في المسجد ... إلى الجهاد في سبيل الله وفق ضوابط الإسلام وقيمه.

– إن الحق السياسي للمرأة لم يمنح من قبل منظمات حقوق الإنسان المعاصرة، وإنما هو منذ انبلاج فجر الإسلام بدلالة الشواهد العديدة في عصر الرسالة التي بينت جليا مشاركة المرأة في العمل السياسي .

– إن الرسول ﷺ من خلال التشريع الإسلامي هو أول من أرسى قواعد هذا الحق، لأنه من خلال تتابع تاريخ المرأة عبر العصور لم تكن لها تلك المكانة الثابتة والمرموقة في هذا الجانب.

### ثانياً: التوصيات.

- يجب أن يكون هناك فقه سياسي صحيح وموثق من خلال النصوص القرآنية والآثار النبوية يوضح جلياً دور كل من الرجل والمرأة في هذا المجال.
- يجب تنقية التراث الإسلامي من الأقوال الغريبة والموضوعة حتى لا نتطرف في عدم استحقاق المرأة لهذه الوظائف لكي نقضي على هوة الخلاف في مدى استحقاق المرأة من عدمه.
- يجب أن تتضمن دساتير الدول الإسلامية الرأي الصحيح والراجح في الاستحقاق الشرعي لهذه الوظائف السياسية بالنسبة للمرأة.

### الهوامش

- 1 – إسلام بلا مذاهب، د. مصطفى الشكعة، ص19، مصطفى البابي الحلبي، ط14، 2000م.
- 2 – المرأة بين الجاهلية والإسلام، د. سعد صادق، ص:20، سلسلة دعوة الحق، العدد: 75، 1988م..
- 3 – انظر : النساء ولعبة السياسة، د حنفي المحلاوي، ص:22 — 23، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992م.
- 4 – نقلا عن النساء ولعبة السياسة، د حنفي المحلاوي، ص : 23 .
- 5 – سورة النمل الآية: 23.
- 6 – سورة النمل الآية: 29 — 33
- 7 – سورة النمل الآية : 34 — 35 .
- 8 – مقال بعنوان " مسافر مع الأيام، درويش الجميل " جريدة الأنباء الكويتية، 1989/3/9م
- 9 – النساء ولعبة السياسة، د . حنفي المحلاوي، ص: 32
- 10 – سورة النحل الآيتان : 58 — 59.
- 11 – الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي، ص : 30، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة، الكويت ط1، 1989م.
- 12 – سورة طه الآية : 29 — 31 .
- 13 – سورة العلق، الآية : 1 — 3

- 14 – صحيح البخاري، كتاب كيف بدء الوحي، رقم الحديث: 4، المكتبة العصرية، بيروت، 2003م، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، وبدء الوحي، رقم الحديث 160، تقديم: أ.د. وهبة الزحيلي، المكتبة العصرية، بيروت، 2009م..
- 15 – انظر المشاركة السياسية للمرأة في الإسلام، د. عبد المعطي بيومي، ص: 40 – 41، المجلس القومي للمرأة، مصر .
- 16 – السيرة النبوية، لابن هشام، 2 / 57، تحقيق محمد شحاته إبراهيم، دار المنار .
- 17 – نظام الحكم في الإسلام، د. عبد الحميد الأنصاري، ص45، دار قطر بن الفجأة، قطر، 1985م .
- 18 – سورة الشورى الآية: 38
- 19 – سورة آل عمران الآية: 159
- 20 – سنن الترمذي، الأدب عن رسول الله ﷺ، باب إن المستشار مؤتمن، رقم الحديث 3054، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، وهو حديث حسن
- 21 – سنن ابن ماجه، كتاب الأدب، باب المستشار مؤتمن، رقم الحديث 3747، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.
- 22 – صحيح البخاري، لا بن حجر، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة، رقم الحديث 2583.

- 23 – انظر المرأة بين الإسلام والشرائع والمنظمات الدولية الأخرى، د . سامية منيسي، ص: 115 — 116، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2012م.
- 24 – صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء مع الرجال، رقم الحديث: 1809.
- 25 – نقلا المرأة بين طغيان النظام الغربي ولطائف التشريع الإسلامي، د . محمد سعيد رمضان البوطي، ص: 76
- 26 – انظر مكانة المرأة في القرآن الكريم والسنة الصحيحة، د. محمد بلتاجي، ص: 278 — 279، دار السلام، القاهرة، ط1، 2000
- 27 – انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، 7 / 19، تحقيق: محمد إبراهيم البناء، ومحمد احمد عاشور، القاهرة، دار الشعب
- 28 – سورة التوبة الآية: 71
- 29 – البيعة في النظام السياسي الإسلامي وتطبيقاتها في الحياة السياسية المعاصرة، د. احمد صديق عبد الرحمن، ص: 35، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1988م..
- 30 – سورة الممتحنة الآية: 12
- 31 – انظر المرأة والعمل السياسي، رؤية إسلامية، د. هبة رؤوف عزت، ص: 122 — 123، القاهرة، ط1، 1995م.
- 32 – صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم الحديث: 18 .

- 33 – فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، 8 / 220.
- 34 – سورة الممتحنة الآية: 12
- 35 – صحيح البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام، رقم الحديث 7145 وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء، رقم الحديث 1840.
- 36 – انظر تحرير المرأة في عصر الرسالة، د. عبد الحلیم محمد أبو شقة، 2 / 425 — 426.
- 37 – انظر تحرير المرأة في عصر الرسالة، أبو شقة، 2 / 420 — 421، والسيرة النبوية لابن هشام، 1 / 164 — 165، دار القلم، الكويت، ط6، 2002م .
- 38 – السيرة النبوية، 2 / 249.
- 39 – سورة الفتح الآية: 18.
- 40 – سورة الفتح الآية: 10.
- 41 – صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب مداواة النساء الجرحى في الغزو، رقم الحديث: 2882.
- 42 – الطبقات الكبرى، لابن سعد 8 / 301 — 303، دار التحرير، القاهرة.
- 43 – صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الجهاد والسير، باب غزو النساء مع الرجال، رقم الحديث: 1810.
- 44 – المصدر السابق، رقم الحديث: 1809
-

- 45 — السيرة النبوية، لابن هشام، 1/ 302، 2/ 25، طبقات ابن سعد،  
7/8 وما بعدها
- 46 — نقلا عن فتح الباري، 8 / 137
- 47 — طبقات ابن سعد، 8 / 11، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر،  
4 / 445، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1993م..
- 48 — طبقات ابن سعد، 8 / 27، والسيرة النبوية لابن هشام 1 / 181
- 49 — المصدر السابق، 8 / 341، والإصابة، 4 / 314 — 315.
- 50 — انظر التحرير الإسلامي للمرأة، د. محمد عمارة، ص: 53 —  
56، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2002م.



## التداولية ( النظرية والنشأة )

د. جمعة العربي عمر الفرجاني  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### تمهيد:

تعد النظرية التداولية من مباحث الدراسات اللسانية الحديثة التي تطورت في فترة السبعينات من القرن العشرين، وهي تدرس كيفية فهم الناس بعضهم لبعض، وإنتاجهم لفعل كلامي توافي في إطار موقف ملموس ومحدد فهي دراسة مفصلة تتعامل مع المعاني التي قد يتغاضى عنها علم الدلالة، وتأتي أهمية التداولية الجوهرية في النص الأدبي المعاصر؛ لأنها تحاول الإحاطة بالعديد من الأسئلة، مثل: من يتكلم؟، وما هو مصدر الإيضاح والتشويش في الكلام؟، وكيف نتكلم بشيء ونريد قول شيء آخر؟.

وقد فتحت التداولية حقلاً ضخماً ضم تخصصات ونظريات وأفكاراً مختلفة ذات مشارب ومستويات متعددة، من بين هذه التخصصات، الفلسفة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، واللسانيات، والبلاغة، والسيمياء.

ولكن سمتها الغالبة تتجه إلى التوجه العلمي، ونتيجة لتداخلها بكثير من العلوم فقد عرضت لها كثير من الترجمات في اللغة العربية، منها: التبادلية، والاتصالية، والنفعية، والذرائعية، والمقصدية، والمقامية، إلى جانب التداولية، ولكن أفضل هذه الترجمات التداولية، إذ هي من تداول اللغة بين المتكلم والمخاطب، أي التفاعل القائم بينهما في استعمال اللغة<sup>(1)</sup>.

## التداولية ( النظرية والنشأة )

وقد تداخلت هذه النظريات وامتزجت بطريقة فوضوية، مما نتج عنها إشكالات عديدة يصعب حصرها وتنظيمها، وذلك جعل التداولية كيانا غامضا، يسود الإبهام والغموض معظم مصطلحاته ومفاهيمه، حتى أن بعض الباحثين يفضل مصطلح: تداوليات، بصيغة الجمع بدل التداولية بصيغة المفرد، ربما لأنهم أدركوا صعوبة توحيد التداولية ومناهجها ولا حتى أهدافها.

### تعريف التداولية:

التداولية لغة، مصدر تداول، يقال دال يدول دولا، انتقل من حال إلى حال، وأدل الشيء جعله متداولاً، وتداولت الأيدي الشيء: أخذته هذه مرة، وتلك مرة<sup>(2)</sup>.

ويقال أيضا: تداولنا الأمر: أخذناه بالذلل، ويقال دواليك أي مداولة على الأمر، قال سيبويه: وإن شئت حملته على أنه وقع في هذه الحال، ودالت الأيام أي دارت، والله يداوله بين الناس، قال تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾<sup>(3)</sup>، وتداولية الأيدي أخذته هذه مرة، وهذه مرة، وتداولنا العمل، والأمر بيننا بمعنى تعاوناه، فعمل هذه مرة، وهذه مرة<sup>(4)</sup>.

وقيل دول بمعنى: دالت له الدولة، ودالت الأيام كذلك، وأدال الله بني فلان من عدوهم: جعل الكثرة لهم عليه، قال الحجاج: إن الأرض ستدال منا كما أدلنا منها، وفي المثل يدال من القاع كما يدال من الرجال، وقيل: أديل المؤمنون على المشركين يوم بدر، وأديل المشركون من المسلمين يوم أحد،

والله يداول الأيام بين الناس مرة لهم و مرة عليهم، وتداولوا الشيء بينهم،  
والماشى يداول بين قدميه يراوح بينهما<sup>(5)</sup>.

وللتداولية معان كثيرة انصرف من المفهوم اللغوي لها منها: التناوب،  
والنزاع، والنصرة، والتنقل.... إلخ فيقال: تداولنا الأمر أخذناه بالتداول،  
وقالوا دواليك أي مداولة على الأمر، ودالت الأيام أي دارت والله يداولها  
بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة، وتداولنا العمل بيننا  
بمعنى تعاوننا عليه، فعمل هذا مرة وعمل هذا مرة.

#### التداولية اصطلاحاً:

هي دراسة اللغة قيد الاستعمال، أو الاستخدام، بمعنى دراسة اللغة في  
سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبيها النحوية، وهي دراسة  
الكلمات والعبارات والجمل كما نستعملها ونفهمها، ونقصد بها في ظروف  
ومواقف معينة<sup>(6)</sup>.

وهي اتجاه في الدراسات اللسانية، يُعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف  
الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية  
المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في  
السياق<sup>(7)</sup>.

#### ويقصد بدراسة كل المعطيات:

معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته، وتكوينه الثقافي، ومن يشارك في  
الحدث اللغوي.

## التداولية ( النظرية والنشأة )

الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية، والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.

والمعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيهما<sup>(8)</sup>.  
وهي اتجاه في الدراسات اللسانية يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل لدراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة باللفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها المدلول في السياق<sup>(9)</sup>، فمادام التركيب للخصائص التأليفية بين الكلمات، والدلالة بحث في المعنى وما يعكسه من أشياء ملموسة أو مجردة، فإن التداولية دراسة للاستعمال اللغوي الذي يقوم به أشخاص لهم معارف خاصة ووضعية اجتماعية معينة.

وهي دراسة للعلاقة بين اللغة والسياق، أو هي دراسة لكفاية مستعملي اللغة في ربطهم اللغة بسياقاتها المختلفة<sup>(10)</sup>.

وعرفها جيوفريليتش بقوله: التداولية هي دراسة المعنى في علاقته بظروف الكلام، وحيثيات استعماله حيث اللغة نسق تواصلية.  
وفي تعريف جيوفري نلاحظ أن مفهوم الكلام عنده يقوم على خمسة أسس، هي:

- أ - المرسلون.
- ب - سياق الملفوظ.
- ج - هدف أو أهداف الملفوظ.
- د - الملفوظ بعدّه شكلا من الفعل أو النشاط.

هـ الملفوظ بعدّه نشاطا شفهيًا.

و — المتكلم يمتلك نية مُبَيَّنَة للكلام، يعرف ما سيقوله، وما هو التأثير الذي سيحدثه بكلامه في المخاطب، ومن أي موقع يتكلم، ويعرف وضع المخاطب والسلوك المتوقع عنه.

وقيل التداولية هي: دراسة الرموز اللغوية بحسب الجوانب الآتية: الجانب النحوي الذي يعني بعلاقة الرموز اللغوية بعضها ببعض، والجانب الدلالي الذي يعني بالرموز اللغوية وعلاقتها بالأشياء التي تدل عليها، والجانب البراغماتي ويعنى بعلاقة الرموز اللغوية بالمتلقي وبالظواهر النفسية والحياتية، والاجتماعية، والمرافقة لاستعمال هذه الرموز وتوظيفها<sup>(11)</sup>.

ومنهم من يرى بأن التداولية ليست علما لغويا محضا، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره<sup>(12)</sup>.

فهي تلك النظرة التي تقوم على البحث في العلاقات التفاعلية بين النص وبين منتج من جهة، وبينه وبين متلقيه من جهة أخرى، مع مراعات مختلف العناصر المقامية المؤثرة في هذه العلاقات.

ويؤكد هذا الرأي الجيلاني دلاش، حين يساوي بين اللسانيات التداولية، ولسانيات الحوار معرفا إيّاها بقوله: "إنه تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم، كما يعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث<sup>(13)</sup>، وتأويل الخطاب يعني الخروج عن المعنى الحرفي إلى المعنى المقصود أو معنى المتكلم.

## التداولية ( النظرية والنشأة )

ومعنى هذا أن التداولية تهتم بدراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإن اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط<sup>(14)</sup>.

وكذلك تهتم بدراسة المعنى الكامن في تداول الكلمات بين متكلم ومتلق في سياق محدد، وليس المعنى الكامن في الكلمات وحدها، أو المرتبط بأحد مكونات الرسالة اللغوية.

وبمعنى آخر فإن الدراسة التداولية لا تكتفي بالوصف والتفسير عند حدود البنية اللغوية، أو المستوى الشكلي لها، بل تتجاوز ذلك إلى مستويات أعمق، وأكثر استيعاباً للظاهرة اللغوية بكل أبعادها التواصلية ذلك أنها تدرس اللغة وعلاقتها بمستعملها والمؤولين لها من جهة، كما تهتم بالبحث عن شروط نجاح هذه العلامات اللغوية في سياقاتها المختلفة مما يجعل منها نظرية استعمالية من جهة أخرى<sup>(15)</sup>.

وهكذا استطاعت التداولية أن تعيد النظر في مجموعة من القضايا التي كان يركز عليها البحث اللساني، وهي من بين هذه المناهج التي نبهت على ضرورة أخذ الاستعمال اللغوي بعين الاعتبار، وبعبارة أخرى أرادت تجاوز القدرة على الانجاز، أي تجاوز البنية الصورية إلى الكلام في كل حيويته وعفويته، وإلى المتكلم بكل ما له من اعتقادات، ونوايا معرفية، وإلى المخاطب بكل ما له من فهم وقدرة على التأويل.

### أهمية التداولية:

تتبع أهمية التداولية من خلال كونها تهتم بمختلف الأسئلة الهامة، والاشكالات الجوهرية في النص الأدبي المعاصر؛ لأنها تحاول الإحاطة بعدد من الأسئلة مثل :

1 – من يتكلم وإلى من يتكلم؟.

2 – ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟.

3 – ما هو مصدر التشويش والإيضاح؟.

4 – كيف نتكلم بشيء، ونريد قول شيء آخر؟.

من ثم تستدعينا التداولية للإجابة عن الأسئلة استحضار مقاصدنا وأفعال لغتنا، وسياق تبادلاتنا الرمزية، والبعد التداولي لهذه اللغة المستعملة لذلك وجد مفهوم الفعل، ومفهوم السياق، ومفهوم الإنجاز في التداولية بعدّها مقاييس ومؤشرات على اتجاهات النص الأدبي في النظرية النقدية المعاصرة.

### وظائف التداولية :

للتداولية أربع وظائف مهمة حددها العالم اللغوي ديك، هي :

1 – المبتدأ، وهو عنده ما يحدد مجال الخطاب.

2 – الذيل وهو يحمل معلومة توضح معلومة داخل الجملة أو تعدلها.

3 – المحور وهو المحدث عنه داخل الجملة.

4 – البؤرة وهي المكون الحامل للمعلومة الأكثر أهمية أو بروزا في الجملة.

## التداولية ( النظرية والنشأة )

فالمبتدأ والذيل وظيفتان تداوليتان تقعان خارج الحمل، أما المحور والبؤرة فتقعان داخله<sup>(16)</sup>، ويمكن تحديد هذه الوظائف في اللغة العربية، مثل: المبتدأ: ( معرفة المخاطب )، الخبر: ( محط فائدة السامع )، التمييز: ( تبيينه المخاطب على المراد بالنص على أحد محتملاته )، المنادى: ( طلب إقبال المخاطب بحرف ناب مناب الفعل )، التوكيد: ( تمكين المعنى في نفس المخاطب وإزالة الاحتمال في التأويل ) .

### مهام التداولية:

للتداولية مهام خاصة ومحددة يمكن تلخيصها في :

دراسة استعمال اللغة التي لا تدرس البنية اللغوية في حد ذاتها، ولكن تدرس اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، أي بعدها كلاما محددا صادرا من متكلم محدد، وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصلية محدد لتحقيق غرض تواصلية محدد<sup>(17)</sup> .

### الهدف من التداولية:

تهدف التداولية إلى تطوير نظرية لأفعال الكلام، أي الأنماط المجردة أو الأصناف التي تمثل الأفعال المحسوسة، والشخصية التي ننجزها أثناء الكلام، واضعة بذلك موضع السؤال التقابل بين اللغة والكلام، ورافضة اعتبار هذا الأخير موضوعا غير قابل للدراسة المنهجية.

أما المجال الأدبي فإن هدف التداولية يفترض أنه يتوجب على الشعرية (نظرية الأدب) أن لا تنحصر بوصف مجموعة محتملة من الأشكال لغة أو في مقابل الكلام، بل عليها أن تشمل على نظرية للأفعال الأدبية أيضا،



وينشأ هذا الاختيار من بين أمور أخرى عن ملاحظة أن دراسة مقصورة على الأشكال تؤدي غالبا إلى نظريات بالغة القوة، أي قابلة للتطبيق بالمثل على وقائع غير أدبية، أو نظريات بالغة الضعف بحيث لا تنطبق على كل الوقائع الأدبية<sup>(18)</sup>.

### فروع التداولية:

إن سعة الدراسات التداولية في اللغة فقد تفرعت عنها عدة نظريات، اهتم كل منها بجانب تداولي خاص ومعين، وتطورت أبحاثه في عدة مسارات، وهي:

- 1 – التداولية الاجتماعية: وهي تهتم بدراسة شرائط الاستعمال اللغوي المستنبطة من السياق الاجتماعي.
- 2 – التداولية اللغوية: وهي تدرس الاستعمال اللغوي من وجهة نظر تركيبية.
- 3 – التداولية التطبيقية: وهي تعنى بمشكلات التواصل في المواقف المختلفة.
- 4 – التداولية العامة: وهي التي تعنى بالأسس التي يقوم عليها استعمال اللغة استعمالا اتصاليا<sup>(19)</sup>.

فالتداولية ليست تخصصا منغلقا على ذاته، بل اقتحمت العديد من الموضوعات التي كانت تصنف ضمن موضوعات الفلسفة التقليدية، مثل: الاقتضاء والاستلزام الحوارية، والأفعال اللغوية إلى جانب ذلك تخوض الأولية اليوم في بعض الموضوعات التي مازالت تشغل بال الفلاسفة

## التداولية ( النظرية والنشأة )

والمناطق، كمسألة الفرق بين الألسنة الطبيعية، واللغات الاصطناعية المنطقية، وكذا الفرق بين الاستدلال المطبق في الألسنة الطبيعية، والبرهنة المنطقية المطبقة في مجال النطق والرياضيات مثلاً.

وهكذا استطاع التداولية في الوقت الحاضر أن تقدم الإطار النظري الملائم الذي يسمح بمعالجة العديد من القضايا أو الموضوعات في مقدمتها الأفعال اللغوية، والحجج، والاستدلال، والمبادئ التخاطبية أو الحوارية، إضافة إلى أنها استطاعت أن تجدد البحث وبطريقة مبتكرة في العديد من القضايا التي كانت تنتمي إلى المجال المرتبط بالدلالة.

### أسس التداولية في تحليل الخطاب:

تقوم أسس التداولية على مفاهيم ثلاثة يمثل تحديدها أسس الدرس التداولي لوجودها متضمنة القراءة التداولية لكل الخطابات، وهي :

1 – مفهوم الفعل: يتجاوز مفهوم الفعل في التداولية مفهوم تمثيل العالم وإنتاج ألفاظ دالة على المعاني إلى القيام بفعل وممارسة التأثير من خلال استعمال اللغة، هذا المفهوم الذي أسس لنظرية أفعال الكلام، وقد قسم أوست الأفعال إلى إنجازيه، ووصفية، بحيث يقترن في الأولى الإنجاز بالتلفظ مثل: بعت، اعتقدت، فالعمل هنا دلالة اللفظ، وفي الثانية تصف حالة عالم مستقل عن التلفظ، مثل: اقتربت الساعة إلى جانب ذلك فقد قسم سيرل الأفعال الإنجازية إلى خمسة أصناف: التأكيدات، الأوامر، الالتزامات، التصريحات، الادلاءات، وهو تقسيم يصب في خانة المفهوم التداولي للفعل، أو الممارسة الفعلية للغة التي ترتبط دلالتها الفعلية بالحال أو السياق.

2 – مفهوم السياق: يعني الموقف الفعلي الذي توظف فيه الملفوظات، والمتضمن بدوره كل ما نحتاجه لفهم وتقييم ما يقال.

3 – مفهوم الكفاءة: ويُعدُّ مفهوم الكفاءة إشارة اعتماد التداولية لاستعمال اللغة في السياق، وأهي حصيلة اسقاط محور الفعل على محور السياق وبناء على ذلك تتحد كفاءة وميزات المتكلمين<sup>(20)</sup>.

ولقد وُظف مفهوم الدور في تحليل الخطاب، للدلالة على تحديد السلوكات اللغوية للمتخاطبين، فهناك سلوكات تتم عن وضعيات الفاعلين الاجتماعيين ووظائفهم، وتحيل إلى النمط التلفظي الذي يتواجد فيه المتخاطبون، مثال على ذلك: إن الذي يطرح سؤالاً، يقوم بدور الذات السائلة، والأمر بدور الذات الأمرة، وبالتصور القديم لمفهوم المسرح، الذي يرى أن الحياة مجرد مسرح واسع، يلعب فيه كل إنسان دوره المنوط به، وهو مفهوم تجسد في التصور الذي يُعد اللغة سجلاً من العلاقات الإنسانية، ومجموعة لا حصر لها من الأدوار، يختار منها المتكلم ما يناسبه منها ليفرضه على الآخر في الوقت نفسه، وذلك في إطار منظومة من القواعد والأعراف الاجتماعية والمؤسسية.

ومفهوم المشهد التلفظي، الصورة التي يبنها الخطاب من المقام التلفظي، ويعده شارودو الفضاء الداخلي للتلفظ الذي يتجلى في الدور الذي يضيفه المتكلم على نفسه، ويفرضه في الوقت نفسه على المخاطب.

**عناصر التداولية:**

- 1 – عنصر ذاتي يتمثل في التعبير عن معتقدات المتكلم، ومقاصده واهتماماته، ورغباته.
- 2 – عنصر موضوعي يتمثل في الوقائع الخارجية، ومن ضمنها الظروف الزمانية والمكانية.
- 3 – عنصر يدل على المعرفة المشتركة بين المتكلم والمخاطب.  
وهذه العناصر تفسر بدورها عدة أشياء :  
أ – الأقوال المستعملة، مثل: الجمل الاسمية والفعلية، وكل الجمل التي يتركب منها الكلام المتداول بين المخاطب والسامع.  
ب – معرفة المحيط الخارجي الذي تم فيه الخطاب الصادر من المتكلم.  
ج – لغة الخطاب التي يكون أثرها بين المتحدث والسامع من خلال تراكيب الجمل، مثل: ضاحكا جاء زيد، فهذه العبارة هي قول مستعمل، وقدم ضاحكا لغاية في نفس المتكلم، وهي أي لفظة ضاحكا تحمل وظيفة تداولية، قد تكون للتخصيص، أو التفاؤل أغير ذلك، والمثال بين المحيط الخارجي الذي تم فيه الخطاب الصادر من المتكلم، بين أيضا الأثر بين المتحدث والسامع.  
وقد ميز أستن باعتبار التداولية عملا لغويا بين ثلاثة مكونات هي:  
1 – العمل القولي، أي: أن تقول شيئا ما، مثل: ضرب محمد خالدًا.  
2 – العمل المتضمن في القول، أي: العمل المتحقق المنجز نتيجة قولنا شيئا ما، أن عملية الضرب قد حصلت فعلاً بين محمد وخالد.

3 – عمل التأثير بالقول، أي: العمل المتحقق نتيجة قولنا شيئاً ما، وهو إيلاخ المخاطب أن محمد هو الذي قام بضرب محمداً.

#### مميزات التداولية:

تمتاز التداولية عن غيرها من المباحث اللغوية اللسانية الحديثة، وتبرزها عن غيرها من مجالات البحث اللغوي:

- 1 – إنها تقوم على دراسة الاستعمال اللغوي، وأنها توظف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي من حيث صيغة مركبة من السلوك الذي يولد المعنى.
- 2 – ليس للتداولية وحدات تحليل خاصة بها، ولا موضوعات مترابطة.
- 3 – تدرس التداولية اللغة دراسة وظيفية عامة ( معرفية، واجتماعية، وثقافية، وسياسية واقتصادية... ) .

4 – التداولية بحر تصب فيه مجالات عديدة من العلوم متصلة باللغة، كعلم الدلالة، وعلم اللغة الاجتماعي، وعلم اللغة النفسي، وتحليل الخطاب، وعلم التراكيب، والصيغ المتصل بالسياق<sup>(21)</sup>.

وللتداولية العديد من المنابع يمكن تحديدها في الآتي :

**المنبع الأول:** وهو منبع فلسفي منطقي، عرفت بداياته الأولى مع مؤسسين مباشرين للتداولية من أمثال: بيرس وموريس، وغير مباشرين من أمثال: فريج فينتنشتاين، إضافة إلى مؤسسين مجددين من أمثال: كارناب.

**المنبع الثاني:** وهو منبع فلسفي أيضاً ارتبط بالفلسفة التحليلية، وبخاصة داخل ما اصطلح على تسميته بفلسفة اللغة العادية، ويمثل هذا التيار الفلسفي أوستن من خلال نظريته أفعال اللغة.

## التداولية ( النظرية والنشأة )

**المنبع الثالث:** وهو منبع لساني أسسه اللساني الفرنسي بينفنيست داخل ما عرف بلسانيات التلفظ، ومن بعده ديكور، وأنسكومبر اللذان طورا هذا الاتجاه.

### النشأة:

عند الحديث عن نشأة التداولية يطالعنا الفيلسوف تشارلز سندرز بيرس 1839 - 1914م، بأرائه وأفكاره الذي أحدث تطورا في المجال اللساني الفلسفي، حيث ارتبطت عنده التداولية بالمنطق ثم بالسيموطيقا، وارتبطت عنده بميدان المعرفة والمنهج العلمي، ففي عام 1878م ظهرت ملامح التداولية مع ظهور مقالة: كيف نجعل أفكارنا واضحة؟، ويفسر ذلك بقوله " لكي نبليغ الوضوح التام في أفكارنا من موضوع ما، فإننا لا نحتاج إلا إلى اعتبار ما ترتب من آثار يمكن تصورها ذات طابع عملي قد يتضمنها الشيء الموضوع " <sup>(22)</sup> ، وقد تساءل بيرس: متى يكون للفكرة معنى؟، ودرس الدليل على إدراكه بواسطة التفاعل الذي يحدث بين الذوات والنشاط السيميائي، وقد حاول تطوير التجربة الانسانية من خلال الأدلة، وربطها بالواقعا اجتماعي، إن الواقع المدلول عليه يفترض تجربة انسانية مبنية لا على ما هو فردي بل على ما هو اجتماعي <sup>(23)</sup> .

ويعد تشارلز موريس من مؤسسي ومنظري التداولية الذي اعتبر التداولية جزءا من السيمائية عند تمييزه الثلاثة فروع لهذه الأخيرة، وهي علم التراكيب، وعلم الدلالة، والتداولية <sup>(24)</sup> ، ولقد نبه موريس إلى علاقة العلامة بمستعملها وطريقة توظيفها، وأثرها في المتلقين، ونبه أيضا إلى علاقة

العلامة بمستعملها، وطريقة توظيفها، وأثرها في المتلقين، ونبه إلى علاقة الرموز بمؤوليتها، وكل هذه الفروع مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، فالتداولية تدرس كيفية تفسير المتلقي للعلامة<sup>(25)</sup>.

ومن بين المؤسسين للتداولية بآرائهم الفلسفية أوستين، وتلميذه سيرل وفينجنشتاين، كل هؤلاء كانوا من السباقين الذين ساهموا في إرساء قواعد التداولية، ويركزون على أن موضوع التداولية هو دراسة الظواهر اللغوية أثناء الاستعمال، ويلحون إلى أنها موكل إليها دراسة القصد الإخباري، أو معنى الجملة، ودراسة القصد التواصلية، ومعنى المتكلم، وأما المقدرة على الإدراك وإنتاج فعل تواصلية ما فتدعى القدرة التداولية كما يسميها العالم كاسبر<sup>(26)</sup>.

وكان فكرُ فينجنشتاين متأثراً بالفلسفة والنطق، وقد حاول الاسهام في حقل اللغة، وإيجاد لغة مثالية تتطابق مع الفكر الفلسفي، لكنه سرعان ما عدل عن ذلك واتجه إلى دراسة اللغة العادية، ويرى أن اللغة ليست حساباً منطقياً، بل كل لفظة لها معنى معين، ولكل جملة معنى في سياق محدد، فالكلمة والجملة تكسب معناها من خلال استخداماتها، فالمعنى عنده هو الاستعمال<sup>(27)</sup>، وبهذا يكون قد ساهم مساهمة فاعلة في مجال التداولية.

هؤلاء هم من وضع الأسس الأولى للتداولية، واستمرت برهة من الزمن حتى وصلت إلى مرحلة النضج والكمال على يد العالم اللغوي أوستن الذي تأثر بمن سبقه مثل الفيلسوف فينجنشتاين الذي اعتبر اللغة إنما تستخدم لتصف العالم، وما هي إلا أداة رمزية تشير إلى الواقع، والوقائع الخارجية، ولكن

أوستن تصدى لهذه الأفكار، ونقدها وأنكر أن تكون الوظيفة الأساسية للغة هي الأخبار، وأنكر أيضا أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارات الإخبارية، هي وصف حال الوقائع وصفا إما أن يكون صادقا أو كاذبا، وأطلق عليه المغالطة الوصفية، ليميز بين نوعين من العبارات التي تكون أفعلاً منجزةً: **فالأولى:** تخبر عن وقائع العالم الخارجي، ويمكن الحكم عليها بالصدق أو الكذب.

**والثانية:** تنجز بها أفعال فهي لا تحتل الصدق والكذب <sup>(28)</sup>.

وحدثا كانت بداياتها الأولى إلى عصر الخمسينات من القرن العشرين وبالتحديد في سنة: 1955م عندما ألقى جون أوستن محاضراته في جامعة هارفرد ومحاضرات وليام جيمس لم تصبح مجالا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من نفس القرن، ذلك بعد تطويرها من قبل فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أوكسفورد وهم: سيرل، وجريس، وأوستن <sup>(29)</sup>، وقد ظهرت آثارها حديثا أيضا في مقالات تشومسكي، وماك كوك، سنة: 1956م <sup>(30)</sup>.

وبدأت التداولية بالظهور في فرنسا سنة: 1980م، بعدما تأسست التداولية على معرفة متشعبة ومسهبة أثرت على الدراسات اللسانية، فأدخلت في حقل الدراسات الأدبية والاجتماعية واللغوية.

بذلك أخذت تتطور وتتمو على يد مجموعة من العلماء، وأوجدوا لها تصورات وأشكالا كثيرة لأجل تطويرها، ومن الذين وضعوا لها تلك



التصورات، فرانسواز أرمينكو، وهانسون، وجانسر فوني، ويمكن تلخيص تصوراتهم فيما يأتي :

أولاً: تصورات العالم فرانسواز أرمينكو الذي صنف التداولية في اتجاهين في كتابه : المقاربة التداولية بقوله : تداولية اللغات الشكلية، وتداولية اللغات الطبيعية، ويرى أن التداولية تمثل شروطاً قبلية للتواصلية، وهي شروط دلالة تواصلية عامة ترتبط بكليات الاستعمال التواصلية العامة<sup>(31)</sup> .

ويرى أن التداولية الشكلية اهتمت بمعالجة العلاقة بين التلفظ وملفوظه، وبين الجمل وسياقاتها، واهتمت أيضاً بدراسة شروط الحقيقة، وقضايا الجمل، والحدس بين المتخاطبين، والاعتقادات المتقاسمة، وتداولية التلفظ تشمل تداولية صنعة التلفظ، وتدرسه من حيث هو صناعة أي كيفية صياغته، وتشكيله.

وتداولية صيغ الملفوظ التي تهتم بشكل الملفوظ وعباراته، تعالج العلاقة بينه وبين الدلالة، وتحدد السياق المناسب له.

بينما اهتمت تداولية اللغات الطبيعية بدراسة اللغة بوصفها وسيلة فريدة للتعبير عن مشكلات الفلسفة والمجتمع<sup>(32)</sup> .

ثانياً: تصور هانسون: في سنة: 1974م، وضع هانسون تصوراً جديداً لأقسام التداولية كان قصده توحيد أجزائها على أساس درجة تعقد السياق من جزء إلى آخر، فقد فرق بين:

## التداولية ( النظرية والنشأة )

تداولية الدرجة الأولى التي تدرس رموز التعبيرات المبهمة خلال ظروف استعمالها، وتقوم بتناول السياق ومعطيات الزمان والمكان والرمز والإشارة<sup>(33)</sup>.

تداولية الدرجة الثانية والتي تركز على دراسة مدى ارتباط الموضوع المعبر عنه بملفوظه، فتهتم بشروط التواصل، والتمييز بين المعاني بين الحرفي السياقي وبين الحرفي الموضوعي. تداولية الدرجة الثالثة، وهي تخص نظرية أقفال الكلام، مما قدمه أوستن، وطوره سورل.

ثالثاً: تصور جان سرفوني وقد ميز بين ثلاث وجهات نظر تتعلق بالتداولية بعد أوستين :

1 – وجهة نظر أوزوالديكرو، التي تدرس اللسان والعلاقات المتبادلة بين القول، والاقول، وتعرض أيضاً إلى دراسة المضمون، والحجاج.

2 – وجهة نظر آلانبيريندونييه، الذي فكرته تناقض فكرة أوستين : القول هو الفعل، فمفهومه للقول الفاعل هو مفهوم عالي الكلفة، والأفعال الإنجازية في نظره ليست مهمتها الإنجاز، بل عدم إنجاز فعل، فهي تستعمل لإحلال الكلام محل الفعل المادي.

3 – وجهة نظر رمارتان الذي يذهب أن مجال البراغماتية ليست الجملة، ولكنها تتداخل على مستوى الملفوظ، وهي نتيجة للآلية التي تشكل هذه الكلمة علامة لها<sup>(34)</sup>.

### التداولية عند سيرل:

أكمل الباحث سيرل آراء وأفكار أوستين حيث كانت له نقطة انطلاق لتأسيس نظرية أفعال حيث حدد مفهوم الفعل الإنجازي الذي غدا مفهوما محوريا في نظرية أفعال الكلام، وقد أحكم الأسس المنهجية التي تقوم عليها، لكن الفضل يرجع لأوستين بالرغم من أنه لم يستطع أن يحقق ما سعي إليه من وضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، وقد كان ما قدمه من أعمال حول الفعل الإنجازي كافيا لأن ينطلق سيرل من هذه الأرضية فتكون هناك مراحل تكميلية للجهود السابقة، واستفاد سيرل من دروس استاذة أوستين، حيث اقترح بعض التعديلات وطور نظرية الأفعال اللغوية<sup>(35)</sup>، ويمكن تلخيص جهود سيرل في النقاط الآتية :

#### أولاً :

- 1 – يرى سيرل أن الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي
- 2 – إن للقوة الإنجازية دليلا يسمى دليل القوة الإنجازية.
- 3 – بين أن الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم ينطقه لجملة معينة يكون باستعماله لصيغة معينة تدل على دلالة معينة مثل الأمر أو النهي أو التنغيم<sup>(36)</sup>.

ثانياً: الفعل الكلامي عنده مرتبط بالعرف اللغوي والاجتماعي، وهو أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم.

ثالثاً : طور سيرل شروط الملاءمة وجعلها في أربعة عناصر هي :

أ – شروط المحتوى القضوي – الشرط التمهيدي

ج - شرط الإخلاص.

د - الشرط الأساسي.

رابعاً : وقد قسم سيرل الأفعال الكلامية إلى أفعال مباشرة وغير المباشرة<sup>(37)</sup>.

**أهم النتائج:**

ترتكز أهمية هذا البحث في النتائج الآتية :

- 1 - ترتبط التداولية ارتباطاً كثيراً بالمدلول، وبالسياق في اللفظ اللغوي المتكامل، وكل ما له علاقة بالرموز اللغوية.
- 2 - وهي أي التداولية تهتم بالمتكلم والمخاطب، والكلام الملفوظ، وما يطرأ على اللفظ من غموض وأداء معانٍ غير ظاهرة في اللفظ.
- 3 - لم تقتصر التداولية على الجانب اللغوي البحث، بل هي علم يبحث في الجانب الاجتماعي اللغوي، والتطبيقي، واستعمال اللغة من حيث إنها وسيلة اتصال لا مجرد كلام ملفوظ.
- 4 - التداولية تدرس اللغة على اعتبار أنها وظيفة عامة تعتمد عدة جوانب منها: معرفية واجتماعية وثقافية، وسياسية واقتصادية، وصناعية وتجارية.... وغيرها بما يتعلق بالاستعمال اللغوي.
- 5 - ظهرت التداولية في العصر الحديث في القرن العشرين في حدود سنة: 1980م على يد العديد من العلماء الغربيين اللغويين من أمثال: بيرس، وأوستن، وفينجنش، وجريس، وسيرل، وغيرهم.
- 6 - أوجد علماء اللغة للتداولية تصورات وأشكال كثيرة، وذلك من أجل تطورها، والرفع من قيمتها في الاستعمال اللغوي.

7 – تطابقت أفكار العلماء اللغويين حول أهمية التداولية في الاستعمال اللغوي.

### الهوامش

- 1 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة، مصر الاسكندرية، سنة: 2002م، ص: 52.
- 2 – لسان العرب، لابن منظور، تحقيق عبدالرحمن قاسم النجدي، دار صادر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 1992م، مادة : دول.
- 3 – سورة آل عمران من الآية: 140.
- 4 – ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: دول، 11 / 252.
- 5 – ينظر: أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق محمد باسل عيون السودان، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنة: 1998م، الطبعة الأولى، 1 / 303.
- 6 – تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، الدكتور بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، سنة: 2010م، ص: 18.
- 7 – البراغمية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية، عثمان بن طالب، سلسلة اللسانيات، الجامعة التونسية، المطبعة العصرية تونس، سنة: 1986م، ص: 125.
- 8 – البحث اللساني والسميائي، عبدالرحمن طه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المغرب الرباط، سنة: 1981م، ص: 303.

- 9 – دراسات في اللسانيات العربية، عبد الحميد السيد، ص: 116.
- 10 – الأسس الأبنستمولوجية والتداولية، إدريس مقبول، ص 264.
- 11 – علم الدلالة السمانتيكية والبراغماتية في اللغة العربية، شاهر الحسن، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان الأردن، الطبعة الأولى، سنة: 2001م، ص: 157.
- 12 – ينظر: التداولية عند العرب، دراسة تداولية الظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 2005م، ص: 16.
- 13 – مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجلانيدلاش، ترجمة محمد بحياتن، ديوان المطبوعات الجزائرية، الجزائر سنة: 1992م، ص: 01.
- 14 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، سنة: 2006، ص: 17.
- 15 – ينظر: الوظائف التداولية في المسرح مسرحية" صاحب الجلالة " لتوفيق الحكيم نموذجا، ياسة ظريفة، رسالة ماجستير الجزائر سنة: 2010م، ص: 09.
- 16 – ينظر: التراكيب النحوية من الوجهة التداولية، عبد الحميد السيد، مؤتة للبحوث والدراسات المجلد السادس عشر، العدد الثاني، سنة : 2001م، كلية العلوم والآداب، الجامعة الهاشمية، الأردن، ص: 80.

- 17 – التداولية عند علماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، للدكتور مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 2005م، ص: 6.
- 18 – ينظر التداولية، بقلم فرناند هالين، ترجمة: د. زياد عز الدين العوف، مجلة الآداب العالمية، ص: 67.
- 19 – آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: 15.
- 20 – في تداولية الخطاب الأدبي، المبادئ والاجراءات، نواري سعودي أبوزيد، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف الجزائر، الطبعة الأولى، سنة: 2009م، ص: 26، 27.
- 21 – التداولية مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب، قسم الأدب العربي، جامعة بسكرة، سحالية عبد الحكيم، جامعة الطارف، ص: 09.
- 22 – التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة: الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، سنة: 2005م، ص: 05.
- 23 – المدارس اللسانية المعاصرة، نعمان أبو قرّة، ص: 198.
- 24 – ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجلانيدلاش، ص: 19.
- 25 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: 42.
- 26 – ينظر: دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، وسعد الباغي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الثالثة،



- سنة: 2000م، ص: 169.
- 27 – ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجلائدلاش، ص: 22.
- 28 – المصدر السابق نفس الصفحة.
- 29 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: 09.
- 30 – التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، آن روبول، وباك موشلار، ترجمة: سيف الدينزغفوس، ومحمد الشيباني مراجعة، ولطيف زيتوني، دار الصيغة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، سنة: 2003م، ص: 28.
- 31 – المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة الدكتور: سعيد علوش، طبعة مركز الإنماء القومي، الرباط المغرب، سنة: 1986م، ص: 84.
- 32 – ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: 19.
- 33 – ينظر: دليل الناقد الأدبي، ميجان الرويلي، وسعد الباغي، ص: 172.
- 34 – ينظر: مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجلائدلاش، ص: 26.
- 35 – آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص: 47.
- 36 – مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلاني دلاش، ص: 25.
- 37 – مدخل إلى اللسانيات التداولية، الجيلاني دلاش، ص: 29.

## المجاز قبل نهاية القرن الثالث الهجري

د. الطاهر محمد امبيه

كلية الآداب بصيراته - جامعة الزاوية

### مقدمة:

حظيت ظاهرة المجاز بعناية بالغة عند أهل اللغة والأدب منذ زمن بعيد، وليس شيء أدل على ذلك مما تركوه لنا من موروث فكري يؤرخ لتحسس تلك الظاهرة، ثم لا يبرح حتى يحولها عبر رده من الزمن إلى مسألة متكاملة الأركان والضوابط، بل إلى قضية تهيمن على ساحة التنظير الفكري عند المشتغلين بعلوم اللغة والأدب والتفسير وأصول الدين وغير ذلك، غير أنه لا يمكن إغفال من كان يتوجس خيفة من المجاز والقول به وما يترتب عليه، فذهب إلى التشكيك في وقوعه في سائر اللغات، ثم إلى إنكاره جملة، بل والإنكار على القائلين به ووصفهم أحياناً بما لا يستقيم معه حال العارفين، والمجاز ابتداءً هو لون بياني بديع يظن كثيرون أنه قسيم الحقيقة أو مرادف لها، وذلك غير دقيق، فالخبر الذي هو باب المجاز إما حقيقة وإما مجاز وإما كذب، عليه فلا يستقيم عدُّ المجاز قسماً للحقيقة فحسب، وكذلك فإن المجاز الذي هو: (استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة مع قرينة مانعة من المعنى الحقيقي) لا يرادف الحقيقة وإن اتفق معها في المعنى العام، ذلك أن للمجاز خصائص ومعاني إضافية لا تكون في الحقيقة التي يُظنُّ أنها ترادفه، ولو كان كذلك لما عدل أهل الفصاحة والبلاغة إلى المجاز الذي بابه التأويل، تاركين وراءهم ميسور الكلام الذي لا يرجو أيَّ تأويل، فانصرفوا عن

الحقيقة إلى المجاز غايته طلب قيمة دلالية يطلبها السياق لا توفرها الحقيقة على صورتها، بل وكيف ما كانت.

ولأن هذا البحث سيعتني بمرحلة تاريخية لنشأة المجاز-كما هو ظاهر من عنوانه- فليس المقام مقام توسع في تفاصيل المجاز ودقائقه، وأمّا فكرة البحث فقائمة على النظر في دعوى قديمة مازالت يجتريها-من غير ما بيان- بعض أفواه المحسوبين على أهل العلم والمنتمين إلى بعض التيارات الإسلامية خاصة، وتلك الدعوى هي أن ظهور قضية المجاز كان متأخراً عن ظهور الأزمنة الأولى للتقعيد في مسائل اللغة، وكذلك فإن أول من قالوا بالمجاز هم فرق إسلامية دون غيرهم، وكان قولهم به مطية لإثبات كثير مما يذهبون إليه متأولين في معتقداتهم.

#### المنكرون وقوع المجاز:

لعل من أوائل من ذهبوا مذهب إنكار المجاز وساقوا هذه - على قلتهم - الدعوى هو شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الدمشقي الحنبلي، المعروف بابن تيمية (ت728هـ)، فقد ذكر الشيخ في كتابه (الإيمان) كلاماً كثيراً مفاده أن علماء الأمة من السلف لم يقولوا بالمجاز؛ لذا فهو حادث ولا يمكن التسليم به، ومن ذلك قوله في تقسيم الكلام على حقيقة ومجاز: "وبكل حال فهذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة، لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك... وأبي حنيفة والشافعي"<sup>(1)</sup>، وقال في شأن المجاز أيضاً: "ولم يقل ذلك أحد من أهل اللغة ولا من سلف الأمة وعلمائها، وإنما هو اصطلاح

حادث<sup>(2)</sup> وكان ممن ذهبوا مذهب شيخ الإسلام في المسألة تلميذه العلامة محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي المعروف بابن القيم (ت751هـ)، وقد جاء كلامه في المسألة مفصلاً في كتابه (الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعتلة)، وكان موافقاً لكلام شيخه، غير أنه كان أكثر جدلاً وأدّ خصومة لمعارضيه الذين يثبتون وقوع المجاز، فقد حاول ابن القيم ردّ قول أولئك ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وقد أطال الشيخ الحديث مُدلاً على بطلان القول بالمجاز، وجعل وجوه الإنكار أكثر من خمسين وجهاً، غير أن المدقق في تلك الوجوه يجد أن كثيراً منها يتداخل مع بعضها الآخر، أو مكرر بأسلوب آخر<sup>(3)</sup>، كما يجد أن كثيراً من الوجوه قد أوردتها قبله شيخه ابن تيمية وليس له أي فضل في ذكرها سوى التكرار مرة أخرى، وقد عدّ ابن القيم المجاز طاغوتاً وصدّر الحديث في كسره بقوله: "هذا الطاغوت لهج به المتأخرون، وجعلوه جنة يترسون<sup>(4)</sup> بها من سهام الراشقين ويصدون عن حقائق الوحي المبين"<sup>(5)</sup> كما صدّر الشيخ وجوه إنكار المجاز بقوله عنه: "وهو اصطلاح حدث بعد القرون الثلاثة المفضلة بالنص، وكان منشؤه من جهة المعتزلة والجهمية ومن سلك طريقهم من المتكلمين"<sup>(6)</sup>.

لا ريب في أن ما ذهب إليه الشيخان في مسألة الحديث عن المجاز والقول به جليّ واضح، وهو أن ظهور المجاز كان متأخراً عن القرون المفضلة وهي الهجرية الثلاثة الأولى، والتي قال عنها سيد الخلق -صلى الله عليه وسلم-: "خير أمتي القرن الذين يلوني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم..."<sup>(7)</sup>، والظاهر أن في ذلك إشارة إلى أن المجاز الذي يزعم الشيخان

أنه متأخر عن تلك القرون هو بعيد عن الحق والصواب ما بعد عن مشكاة النبوة وفهم السلف، غير أن ذلك لا يستقيم من وجهين، أولهما: أن زمن النبوة وما تلاه بل وحتى بداية القرن الثاني الهجري لم يكن زمن تفعيد للظواهر اللغوية ونحوها بالمعنى الدقيق للكلمة، بل إن كثيراً من القواعد العلمية في اللغة وغيرها جاءت متأخرة زمنياً بعد قواعد سبقتها، وتأخرها لا يفيد بطلانها البتة.

وأما الوجه الآخر فهو: إن القول بتأخر ظهور المجاز قرونًا ثلاثة بعد زمن النبوة هو قول غير صحيح أصلاً، وفيما يلي عرض موجز للمراحل الأولى لنشأة المجاز من خلال أهم القائلين به.

#### المراحل الأولى لنشأة المجاز:

مرّ بنا حديث شيخ الإسلام ابن تيمية عن أئمة أهل السنة وقوله بأنهم لم يقولوا بالمجاز ولم ينحوا نحوه، فلو سلمنا بأن الإمام مالكا (ت179هـ) لم يصلنا عنه مصدر يقول فيه بالمجاز فإنّ الأمر ليس سواء عند الإمامين الآخرين، فالإمام أبو حنيفة (ت150هـ) الذي عاش في زمن مبكر لنشأة المجاز لم يترك لنا هو الآخر مصنفًا يعرض فيه لقضية المجاز إلاّ أنه قد نقل عنه إقراره بالمجاز في غير موضع من كتاب كشف الأسرار لعلاء الدين البخاري، ومن ذلك: "قال أبو حنيفة -رحمه الله-: المجاز خلف عن الحقيقة في التكلم، وهو خلف عنها في الحكم"<sup>(8)</sup>، ومن ذلك أيضاً: "وعند أبي حنيفة -رحمه الله- التكلم بقوله هذا أسد للشجاع خلف عن التكلم بقوله هذا أسد للهيكل المعلوم"<sup>(9)</sup>، ومن ذلك أيضاً: "ولأبي حنيفة -رحمه الله- أن الحقيقة والمجاز من

أوصاف اللفظ بإجماع أهل اللغة<sup>(10)</sup>، فهذه النقول وغيرها عن الإمام أبي حنيفة تدل دلالة صريحة لا ريب فيها على إدراكه المجاز والقول به لا بمعناه الذي كان عليه أول نشأته وإنما بمعناه الذي استقر عليه أهل اللغة والبيانون لاحقاً، لذا لاحظ للنقول بأن الإمام أبا حنيفة لم يقل بالمجاز.

وأما الإمام الشافعي (ت204هـ) فقد نفى شيخ الإسلام أن يكون ممن قال بالمجاز كما تقدم، وقال في موضع آخر: "وهذا الشافعي هو أول من جرد الكلام في أصول الفقه لم يقسم هذا التقسيم، ولا تكلم بلفظ الحقيقة والمجاز"<sup>(11)</sup>، والحقيقة أن هذا الكلام لا يمكن التسليم به على حاله، فصحيح أننا لم نظفر بتصريح بلفظ المجاز فيما خطه الإمام الشافعي بيده ولكننا وجدناه قد أدرك المجاز وذهب إلى التأويل المجازي في مواضع من كتابه (الرسالة)، ومن ذلك حديثه عن خطابه-سبحانه وتعالى- للعرب بلسانهم على ما يعرفون من المعاني، فذكر أصنافاً من الكلام الذي خاطبنا به تعالى مختلفة في الدلالة على المعاني، ومن بينها صنف قال فيه: "وظاهراً يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره"<sup>(12)</sup>، وقال الإمام الشافعي في بيان معنى قوله تعالى: ﴿وَاسْتَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾<sup>(13)</sup>: "دلّ على إنما أراد أهل القرية لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا في غيره"<sup>(14)</sup>، وقال في شأن قوله تعالى على لسان إخوة يوسف-عليه السلام- مخاطبين أباهم: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾<sup>(15)</sup>، قال الإمام الشافعي: "إنهم إنما يخاطبون أباهم بمسألة أهل القرية وأهل العير؛ لأن القرية والعير لا ينبئان عن صدقهم"<sup>(16)</sup>.

يظهر جلياً فيما تقدم من كلام الإمام الشافعي أنه لم يقتصر على إدراكه المجاز والقول به فحسب، وإنما تعدى ذلك إلى الإقرار بوقوعه في القرآن الكريم وإن لم يصرح بلفظه، ولا يمكن بحال توجيه كلامه إلى غير هذا النحو، فقد رأينا ابتداء كيف عدّ صنفاً من كلام العرب الذي خاطبنا به تعالى كلاماً يُراد به غير ظاهره ويعرف معناه من خلال السياق الذي وضع فيه، ولعمري ما ذاك وذلك إلا عين المجاز.

• أبو زيد القرشي (ت170هـ):

إذا ما تركنا كلام العلماء في المجاز الذي نقله عنهم غيرهم، وكذلك التأويلات المجازية الصريحة وغيرها، وذهبنا إلى التأريخ لظهور لفظ المجاز صريحاً فيما اختطه العلماء بأيديهم، وجب علينا حينها أن نقف عند محمد بن أبي الخطاب المعروف بأبي زيد القرشي، فقد ورد لفظ المجاز صريحاً في كتابه (جمهرة أشعار العرب)، وكان أول ذكر له في عنوان مقدمته، والتي أسماها: (اللفظ المختلف ومجاز المعاني)<sup>(17)</sup>، ثم ذكر القرشي المجاز مرة أخرى في مقدمة كتابه وذلك حين قال: "وقد يداني الشيء الشيء وليس من جنسه، ولا ينسب إليه، ليعلم العامة قرب ما بينهما، وفي القرآن مثل ما في كلام العرب من اللفظ المختلف ومجاز المعاني"<sup>(18)</sup>، وفيما يبدو من كلام القرشي وما تلاه من أمثلة وشرحها أن مراده من لفظ المجاز لم يكن بعيداً عن المعنى الاصطلاحي الذي استقر عليه اللفظ عند البيانيين لاحقاً، فقد استشهد القرشي لكلامه المتقدم بقول امرئ القيس<sup>(19)</sup>:

قَفَا فَاسْأَلَا الْأَطْلَالَ عَنْ أُمَّ مَالِكٍ وَهَلْ تُخْبِرُ الْأَطْلَالَ غَيْرَ التَّهَالُكِ.

ثم عقب أبو زيد بقوله: "فقد علم أن الأطلال لا تجيب إذا سئلت، وإنما معناها قفا فاسألا أهل الأطلال وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾<sup>(20)</sup> يعني أهل القرية<sup>(21)</sup>، وكان أيضاً من الشواهد الكثيرة التي ساقها القرشي على كلامه المتقدم قول الأعشى<sup>(22)</sup>:

بِكَاسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرَتْ خَدَّهَا      بَفَتَيَانِ صِدْقٍ، وَالنَّوْاقِيسُ تُضْرَبُ.  
ثم قال القرشي: "الكأس: الخمر، وهو قوله تعالى: ﴿بِكَاسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾<sup>(23)</sup>،<sup>(24)</sup>.

لا ريب في أن ما لحظه القرشي وذهب إليه من توجيهات فيما تقدم لا يخرج عن دائرة المجاز المرسل والعلاقة المحلية، والذي يُذكر فيه المحلُّ ويُرادُّ الحالُّ فيه، وأمّا عدم تفصيله في شأن شواهد على المجاز فلا ضير فيه، فحسب الرجل أن يلحظ تلك الصور فضلاً عن أن يدخلها تحت مسمى أجمع عليه البيانين من بعده.

#### • سيبويه (ت180هـ):

كان من الذين تحسّسوا المجاز وذهبوا إلى التأويلات المجازية في زمن مبكر أيضاً: إمام العربية أبو بشر عمرو بن عثمان، المعروف بسيبويه، فقد وردت إشارات كثيرة في كتابه (الكتاب) تشير بوضوح لا لبس فيه إلى أنه كان واعياً متنبهاً لوقوع المجاز في كلام العرب والقرآن الكريم وإن لم يسمه باسمه، وكان يعبر عن الأساليب المجازية بألفاظ مثل: (السعة) و(الاتساع) و(التوسع) ونحو ذلك، وكان ذلك ضمن ما لحظه من ظواهر وأساليب لغوية



فيها خروج عن الوضع الأصلي للكلام، ومن ذلك قول سيبويه: "ومثل ما أجرى مجرى هذا في سعة الكلام والاستخفاف قوله عز وجل: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ﴾ (25) فالليل والنهار لا يمكران، ولكن المكر فيهما" (26).

ومن شواهد سيبويه المجازية أيضاً قول الخنساء (27):

تَرْتَعُ مَا رَتَعَتْ حَتَّى إِذَا اذْكَرْتُ      فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارُ

قال سيبويه: "فجعلها (28) الإقبال والإدبار، فجاز ذلك على سعة الكلام، كقولك: نهارك صائم وليك قائم" (29).

هذه الأمثلة ونحوها مما ساقها سيبويه شواهد على سعة الكلام إنما هي من قبيل المجاز الحكمي أو العقلي، وهذا ما أدركه إمام البلاغة عبدالقاهر الجرجاني فيما بعد وفصل القول فيه، حيث قال: "أنت ترى مجازاً في هذا كله، ولكن لا في نوات الكلم وأنفس الألفاظ، ولكن في أحكام أجريت عليها، أفلا ترى أنك لم تتجاوز في قولك: نهارك صائم وليك قائم، في نفس (صائم) و(قائم)، ولكن في أن أجريتهما خبرين على الليل والنهار" (30)، وقال عبدالقاهر أيضاً في قول الخنساء المتقدم: "إنما تجوزت في أن جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر، ولغلبة ذلك عليها واتصالها منها، وأنه لم يكن لها حال غيرهما، فكأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار (31)، يتبين مما سبق أن سيبويه الذي عاش في زمن مبكر لنشأة المجاز كان من أوائل العارفين به بل والمتكلمين فيه وإن لم يسمه باسمه، وإشاراته في ذلك خطوة لا يمكن إغفالها، وجزء من مراحل نشأة المجاز.

• أبو عبيدة (ت209هـ):

مع نهاية القرن الثاني الهجري وبداية الثالث أصبح الخوض في المجاز يأخذ طريقه للتداول بصورة واضحة في كتب العلماء، سواء أكان ذلك تحت مسمى المجاز أم غير ذلك، وكان من دلائل ذلك ما خطّه بيده العلامة اللغوي: مَعْمَرُ بن المثنى البصري، فهو لم يقتصر على إشارات للمسألة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك فكان بأن جعل كلمة المجاز مفردة في عنوان كتابه (مجاز القرآن)، ومع أن أبا عبيدة لم يكن مراده دائماً من كلمة (المجاز) موافقاً لمعناها الاصطلاحي عند البلاغيين فيما بعد، غير أننا لا يمكن أن نغفل عن كثير من تخريجاته المجازية في كتابه المذكور، وقد قيل أن سائلاً سأل أبا عبيدة عن قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾<sup>(32)</sup> فقال: إنما يقع الوعيد والإبعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فأجابه أبو عبيدة بأن الله تعالى كلم العرب على قدر كلامهم، واستشهد على ذلك بقول امرئ القيس<sup>(33)</sup>:

أَيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقٌ كَأَنْيَابِ أَعْوَالِ

ثم قال أبو عبيدة: وهم لم يروا الغول، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، ثم قرر إثر ذلك أن يضع كتاباً في القرآن الكريم ليبيّن فيه هذه المسائل وما يشابهها، فوضع كتابه (مجاز القرآن)<sup>(34)</sup>.

وكان من تخريجات أبي عبيدة المجازية تفسيره للسماء على أنها المطر في قوله تعالى ﴿وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا﴾<sup>(35)</sup>، قال أبو عبيدة: "مجاز

السماء هاهنا مجاز المطر، يقال: مازلنا في سماء، أي في مطر، ومازلنا نطأ السماء، أي أثر المطر<sup>(36)</sup>.

وكان من تخريجات أبي عبيدة المجازية أيضاً قوله في شأن قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾<sup>(37)</sup>: "إن العرب وضعوا أشياء من كلامهم في موضع الفاعل والمعنى: أنه مفعول؛ لأنه يفعل فيه غيره؛ لأن النهار لا يبصر ولكنه يُبصر فيه الذي ينظر"<sup>(38)</sup>، كما ذهب أبو عبيدة إلى أن المراد بالقرية في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾<sup>(39)</sup> إنما هم أهلها<sup>(40)</sup>، وذهب إلى أن المراد بالنادي في قوله تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾<sup>(41)</sup>، إنما هو المجلس الذي يجتمع فيه رواده<sup>(42)</sup>.

لا ريب في أن هذه التأويلات ونحوها مما ذهب إليها أبو عبيدة تدل دلالة واضحة لا لبس فيها بأن الرجل كان متبصراً مدركاً لوقوع المجاز في كل ذلك، ولكن لما لم يكن المجاز في زمن أبي عبيدة قد استقل بمفهومه ومصطلحه فقد جاءت إشارته له ضمن دائرة أوسع منه وهي التفسير.

#### • أبو عثمان الجاحظ (ت255هـ):

مرّ بنا فيما مضى قول ابن القيم: إن المجاز كان منشؤه من جهة المعتزلة ومن سلك طريقهم من المتكلمين، كما مرّ بنا ردّ هذا القول من خلال تتبع وعرض أوائل القائلين بالمجاز ومقالاتهم في المسألة، وكما هو ظاهر فكل أولئك لم يكونوا من المعتزلة ولا من الذين سلكوا سبيلهم من المتكلمين، ومادام البحث يسلك سبيل التتبع والعرض التاريخي لنشأة المجاز فقد اقتضت الأمانة العلمية أن يذكر في المقام قطب البلاغة والأدب المعتزلي أبو عثمان

بحر بن محبوب الجاحظ، والذي كان ظهوره يؤرخ لمرحلة من الثراء الفكري لهذه الأمة، وقد كان من آثار هذا الرجل أن وضع المجاز في مقابل الحقيقة ليستقر بذلك مصطلح المجاز عند مفهوم محدد لا يجاوزه - كما في السابق -، وكذلك ليدفع العلماء إلى دراسة الحقيقة حيثما درسوا المجاز، وذلك لما بينهما من علاقة تقابلية<sup>(43)</sup>، وقد جاء حديث الجاحظ عن المجاز في كتابيه (البيان والتبيين) و(الحيوان)، وقد أورد فيهما كثيراً من الشواهد التي عقب عليها بقوله: هذا كله مجاز أو نحو ذلك، ومن ذلك قوله في شأن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾<sup>(44)</sup>: "وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل وركبوا الدواب ولم ينفقوا منها درهما واحداً في سبيل الأكل، وقد قال عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾<sup>(45)</sup> وهذا مجاز آخره"<sup>(46)</sup>.

ولم يقف الجاحظ عند حدود التلميح أو التصريح بالمجاز، بل ذهب إلى أبعد من ذلك بإدخاله بعض الصور المجازية تحت مسمى الاستعارة والتي ما برح حتى حد مفهومها بوضع تعريف لها، فقد قال الجاحظ في قول الشاعر<sup>(47)</sup>:

وَطَفَفَتْ سَحَابَةٌ تَغْشَاهَا      تَبْكِي عَلَى عِرَاصِهَا عَيْنَاهَا

: "طففت يعني ظلت تبكي على عراسها عيناها، عيناها هاهنا للسحاب، وجعل المطر بكاء من السحاب على طريق الاستعارة، وتسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه"<sup>(48)</sup>.

وكما أدرك الجاحظ المجاز فإنه كذلك أدرك جماله وروعته وأن ما فيه من إحياءات وإشارات هي فضيلة من فضائل هذه اللغة، وقد وصف الجاحظ من يحمل لغة العرب على ظاهرها مطلقاً بعدم الفهم، ومن إشاراتِهِ إلى ذلك حديثه في شأن قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا﴾<sup>(49)</sup>، حيث إن بعض الملحدين أنكروا أن يكون الشراب مما يخرج من بطون النحل فرد عليهم الجاحظ بأن ما يخرج من بطون النحل يحول بالماء شراباً فسماه شراباً إذ كان الشراب يجيء منه، واستدل الجاحظ على ذلك بأن العرب تقول جاءت السماء بأمر عظيم وهي لم تأت بشيء على الحقيقة ثم ساق قول الشاعر<sup>(50)</sup>:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وَإِنْ كَانُوا غَضَاباً

وعلق الجاحظ على ذلك بأن السماء لا تسقط وليست محلاً للرعي وكذا الشراب المعلوم في النص لا يخرج من بطون النحل<sup>(51)</sup>، ثم قال: "ومن حمل اللغة على هذا المركب يريد الظاهر لم يفهم عن العرب قليلاً ولا كثيراً، وهذا الباب هو مفخر العرب في لغتهم، وبه وبأشباهه اتسعت"<sup>(52)</sup>.

مما تقدم وغيره يمكن القول بأن المجاز قد بلغ على يدي أبي عثمان الجاحظ مرحلة غير مسبوقه على طريقة الاستقلال والنضج، فقد تحدث الشيخ عن المجاز في صراحة ووضوح لا لبس فيه، وليس لأي منصف متبصر أن يجحد فضل الشيخ في المسألة، كما ليس له أن يجعل منشأ المجاز وغايته خدمة مذهب الاعتزال أو غيره، فقد رأينا أن أهل السنة كانوا الأسبق

تبصراً بالمجاز من غيرهم، ذلك أن المجاز قيمة دلالية وفنية لا يزيغ عنها إلا مخطئ أو جاحد.

• ابن قتيبة الدينوري (ت274هـ):

لم ينصرم القرن الثالث الهجري حتى ظهر فيه العالم السني القائل بالمجاز والمتحمس له عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقد تتلمذ ابن قتيبة على يدي شيخه الجاحظ مع أنه كان يخالفه في المذهب، وكان ابن قتيبة أديباً، بل وركنا من أركان الأدب في عصره، حتى إنه ليصدق عليه القول بأنه فقيه الأدياء وأديب الفقهاء<sup>(53)</sup>، وقد تناول ابن قتيبة المجاز في غير مصنف من مصنفاته الكثيرة، ولعل أبرزها كتابه (تأويل مشكل القرآن) الذي بين أن سبب تأليفه إياه هو الردّ على من اعترض على كتاب الله تعالى بالطعن ولغى فيه، قال عبد الله بن مسلم: "ألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة في الشرح والإيضاح، وحاملاً ما لم أعلم فيه مقالاً لإمام مطلع على لغات العرب؛ لأري به المعاند موضع المجاز، وطريق الإمكان، من غير أن أحكم فيه برأي، أو أقضي عليه بتأويل"<sup>(54)</sup>، وقد عقد ابن قتيبة في كتابه المذكور باباً سماه: (باب القول بالمجاز)، كما نوه إلى أهمية المجاز في الدفاع عن كتاب الله تعالى، حيث رأى أن النصارى ومن قبلهم اليهود وقعوا في الغلط وفساد العقيدة من جهة المجاز، ذلك أنهم حملوا كثيراً من نصوص الكتاب المقدس عند كل منهم على ظاهرها، فوقعوا في الزيغ والضلال<sup>(55)</sup>، وقد ذهب ابن قتيبة في كتابه يخلص كثيراً من المسائل التي حصل فيها خلط متخذاً من المجاز معينا في ذلك، ومن ذلك

تأويله لكلمة (أب) المنسوبة لغير الوالد على أنها بمعنى الشبيه للأب في العطف والرحمة، واستشهد لذلك بقوله تعالى ﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾<sup>(56)</sup>، وقال: "لما كانت الأم كافلة الولد وغاذيته ومأواه ومربيته، وكانت النار للكافر كذلك جعلها أمه، وقال تعالى في أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - : ﴿ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾<sup>(57)</sup> أي: كأمهاتهم في الحرمات"<sup>(58)</sup>.

لا ريب أن المقاربة التي جعلها ابن قتيبة بين الأم والهاوية، وكذلك بين أزواجه - صلى الله عليه وسلم - والأمهات الحقيقيات لاتعدو أن تكون تشبيها مؤكدا والذي يقع في منتصف طريق الاستعارة، ولكن سوقه إياها أسهم في تقريب صورة التأويل الحاصل في كلمة (أب) عندما تستعار لغير الوالد الحقيقي، أما في شأن الاستعارة نفسها فقد عقد لها ابن قتيبة بابا سماه (باب الاستعارة)، وقد كشف فيه عن مفهومها حيث قال: "العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة، إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى، أو مجاورا لها، أو مشاكلا"<sup>(59)</sup>، وقد ساق ابن قتيبة العديد من الشواهد في باب الاستعارة، غير أنه لم يكن موفقا في كثير من تلك الشواهد، والذي يظهر أنه كان يخلط بين الاستعارة والمجاز المرسل تارة، وبين الاستعارة وأصناف البيان الأخرى تارة أخرى، ومع ذلك فقد أصاب الشيخ في كثير من شواهده على الاستعارة، ومن ذلك قوله: "ويقولون: ضحكت الأرض: إذا أنبتت؛ لأنها تبدي عن حسن النبات وتنفق عن الزهر كما يفتقر<sup>(60)</sup> الضاحك عن الثغر"<sup>(61)</sup>، ولا ريب أن هاهنا استعارة مكنية، إذ قد شبهت الأرض حين تنبت بالإنسان الذي يضحك وحذف المشبه به وبقي لازم له وهو الضحك، ومن

شواهد ابن قتيبة على الاستعارة أيضا قوله في شأن قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(62)</sup>: "أي لا تعيبوا المسلمين؛ لأنهم كأنفسكم"<sup>(63)</sup>، والاستعارة حاصلة في كلمة (أنفس)، ذلك أن الأصل في الإنسان أن لا يلمز نفسه بذكر عيوبه للناس، والحاصل أن الإنسان يلمز غيره عادة، والنهي في الآية عن لمرز المسلم أخاه المسلم، ولكنه تعالى نزل بعض الملموزين منزلة نفس اللامز، وذلك تقريرا لمعنى الأخوة في الإسلام<sup>(64)</sup>، وبذلك استعير لفظ النفس للأخ في الإسلام وصرح به.

مما تقدم يظهر جليا أن ابن قتيبة كان من المثبتين وقوع المجاز في اللغة والقرآن الكريم، بل إنه من المتحمسين لذلك الإثبات في القرآن الكريم خاصة، وليس شيء أدل على ذلك من قوله وتأويلاته المتقدمة، وكذلك قوله: "وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب؛ لأن الجدار لا يريد والقرية لا تسأل، وهذا من أشنع جهالاتهم وأدللها على سوء نظرهم وقلة أفهامهم، ولو كان المجاز كذبا، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً كان كلامنا فاسداً"<sup>(65)</sup>.

**في خاتمة البحث يمكن أن نخلص إلى بعض النتائج من أهمها:**

\_ ذكر بعض أهل العلم أن القول بالمجاز حادث بعد انقضاء القرون المفضلة الثلاثة الأولى للهجرة النبوية، ولم يتكلم به السابقون من أهل العلم، والذي بدا جليا من خلال البحث أن ذلك غير صحيح، فقد نالت ظاهرة المجاز نصيبها من العناية والبحث والتدقيق منذ أن بدأ أهل العربية يضعون قواعد للغتهم



صونا لها، وقد مرّ التقعيد لقضية المجاز عبر مراحل حتى كاد أن يستوي على سوقه، وكل ذلك لم يجاوز القرن الثالث للهجرة المباركة. \_ قرر بعض مشائخ أهل السنة أن الحديث في المجاز جاء من طريق المعتزلة ومن سلك سبيلهم، وكان قولهم به لإثبات صحة عقائدهم القائمة على تأويل كثير من نصوص القرآن الكريم والحديث النبوي، والذي ثبت من خلال البحث أن ذلك غير دقيق، ذلك أن أهل السنة كانوا الأسبق تبصراً وتكلماً في قضية المجاز، وإذا كان للمعتزلة دور في التنظير لقضية المجاز فهو لا يعدو أن يكون حلقة أو حلقات في سلسلة تمتد منذ منتصف القرن الثاني الهجري ولا تكاد تنتهي.

## الهوامش

- (1) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، علق عليه وشرحه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2001م، ص 80.
- (2) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
- (3) يراجع مثلاً الوجه: 1، 2، 3، 32، 35، 48 من وجوه الإنكار عند ابن القيم فهي كلها تتحدث عن مسألة الوضع الأول للكلام ونفيه، ينظر: مختصر الصواعق المرسله على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، اختصره: الشيخ علي بن الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 233، 234، 255، 256، 271.
- (4) أي: يتوقّفون بها ويستترون.
- (5) مختصر الصواعق المرسله لابن قيم الجوزية، ص 231.
- (6) المصدر السابق، ص 233.
- (7) صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الحديث رقم 210.
- (8) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي لعبد العزيز بن أحمد البخاري، تحقيق: عبدالله محمود محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1997م، ج 2 ص 113، 114.
- (9) المصدر السابق، ج 2 ص 114.
- (10) المصدر السابق، الصفحة نفسها.

- (11) كتاب الإيمان لشيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، ص80.
- (12) الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة، مصر، 1939م، ص52.
- (13) من الآية (163) من سورة الأعراف.
- (14) الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي، ص62.
- (15) من الآية (82) من سورة يوسف-عليه السلام-.
- (16) الرسالة لمحمد بن إدريس الشافعي، ص64.
- (17) ينظر: جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، المطبعة الرحمانية، القاهرة، ص10.
- (18) المصدر السابق، الصفحة نفسها.
- (19) هذا البيت لامرئ القيس بن حجر كما نسبه إليه صاحب الجمهرة، ص11، وهو غير موجود في ديوان الشاعر ولا في غير الجمهرة من دواوين الأدب فيما اطلعت.
- (20) من الآية (82) من سورة يوسف -عليه السلام-.
- (21) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، ص11.
- (22) المصدر السابق، ص17.
- (23) من الآية (45) من سورة الصافات.
- (24) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، ص17.
- (25) من الآية (33) من سورة سبأ.

- (26) كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط1، ج 1، ص 176.
- (27) ديوان الخنساء، شرحه وضبط نصوصه: عمر فاروق الطَّبَّاع، دار الأرقم، بيروت، ص42.
- (28) كذا في متن الكتاب ولعل الصواب هو: فجعلتها.
- (29) كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان، ج1، ص337.
- (30) دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط3، 1992، ص294.
- (31) المصدر السابق، ص300، 301.
- (32) الآية(65) من سورة الصافات.
- (33) ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد رضا مروة، الدار العالمية، بيروت، ط1، 1993م، ص61.
- (34) ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، ج5، ص511، 512.
- (35) من الآية (6) من سورة الأنعام.
- (36) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 1، ص186.
- (37) من الآية (67) من سورة يونس — عليه السلام —.
- (38) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج1، ص279.
- (39) من الآية (82) من سورة يوسف — عليه السلام —.

- (40) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج1، ص9.
- (41) من الآية (17) من سورة العلق.
- (42) مجاز القرآن لأبي عبيدة، ج2، ص403.
- (43) ينظر: المجاز عند المعتزلة لحسين خليفة صالح، دار المنتدى، ط1  
1997م، ص85، 86.
- (44) من الآية (10) من سورة النساء.
- (45) من الآية (10) من سورة النساء.
- (46) الحيوان لعمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، دار  
الجيل، بيروت، 1996م، ج5، ص25.
- (47) هذا البيت ذكره عمرو بن محبوب الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)،  
تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ج1، ص152، ولم  
ينسبه الجاحظ إلى قائل، وهو غير موجود في دواوين الأدب فيما اطلعت.
- (48) المصدر السابق، ج1، ص153.
- (49) من الآية (69) من سورة النحل.
- (50) هذا البيت لمعاوية بن مالك، ينظر خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي،  
تحقيق: محمد نبيل، أميل بديع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م،  
ج4، ص145.
- (51) ينظر: الحيوان لعمر بن بحر الجاحظ، ج5، ص424، 425.
- (52) المصدر السابق، ج5، ص426.

- (53) ينظر: معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة، مكتبة المثلى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج6، ص150.
- (54) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، ص23.
- (55) المصدر السابق، ص103.
- (56) من الآية (9) من سورة الفارعة.
- (57) من الآية (6) من سورة الأحزاب.
- (58) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص104.
- (59) المصدر السابق، ص135.
- (60) يقال: افتتر عن ثغره إذا كثر ضاحكا، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد الزبيدي، دار الهداية، مادة: فرر.
- (61) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص136، 135.
- (62) من الآية (11) من سورة الحجرات.
- (63) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص151.
- (64) ينظر: التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ج26، ص248.
- (65) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ص132.

## دلالة بعض أسماء الآلة القياسية في القرآن الكريم

د. محمود سالم محمد الذيب  
كلية الآداب بصيراته - جامعة الزاوية

مقدمة :

تملك اللغة العربية تراثا خصيبا من الألفاظ ذات الدلالات المختلفة، فقد تحتمل اللفظة الواحدة منها معاني عدة، الأمر الذي دفع بعض اللغويين إلى دراسة هذه الظاهرة، وتتبع أسبابها؛ للوصول للمعنى الحقيقي للفظ، فسعوا إلى تصنيف المعاجم اللغوية، والأدبية ومعاجم المصطلحات العلمية، والفنية، وغير ذلك.

ومن تلك المعاجم ما اختص بلفظ القرآن الكريم، فرتبت ألفاظه، وضبطت أوزانه، وفسرت معانيه لفهم مدلولاتها الحقيقية والمجازية، وهذا البحث يسعى إلى بيان المفهوم اللغوي لاسم الآلة عند أهل اللغة القدامى والمحدثين، وجمع ودراسة بعض ألفاظ من القرآن الكريم، دلت على الوسيلة التي يتوصل بها المرء لإنجاز عمل ما، وجاءت على أوزان اسم الآلة القياسية (مِفْعَل، ومِفْعَال، ومِفْعَلَةٌ)، والتي كانت محل اتفاق بين أغلب علماء اللغة على الرغم من غموض دلالتها، وعدم تفصيلهم لمسائلها، واقتصارهم على ذكر نوع الآلة المستعملة في حياتهم، وكذلك ما جاءت على الأوزان الأربعة التي عدها علماء عصرنا الحديث أوزانا قياسية أيضا، وهي (فِعَالَةٌ)، و(فِعَال)، و(فاعلة)، و(فَاعُول)؛ لسدِّ فراغ المتعلمين في مجال المصطلح العلمي من

الابتكارات الحديثة، والمدنية المعاصرة؛ كي لا يضطر الناطقون باللغة العربية إلى استعمال اللفظ الأجنبي، وقد قسمت البحث:

#### أولاً- مفهوم اسم الآلة لغة واصطلاحاً:

يكاد أهل اللغة يتفقون على أن اسم الآلة يرادف الأداة في المعنى، فقد نص ابن منظور (ت711هـ) على ذلك فقال: "الآلة: الأداة، والجمع الآلات، والآلة ما اعتَمَلَتْ به من الأداة"<sup>(1)</sup>، وقال الفيروز آبادي (ت817هـ) إن: "الآلة ما اعتَمَلَتْ به من أداة يكونُ واحداً وجمعاً، أو هي جمعٌ بلا واحد، أو واحدٌ جمعه آلات"<sup>(2)</sup>، وأكد الزبيدي (ت1205هـ)، على ذلك فقال: "لكلّ ذي حرفَةٍ أداة، وهي آلتُهُ التي تُقيمُ حرفَتَهُ"<sup>(3)</sup>.

فالآلة هي الأداة لذلك تفسر إحداهما بالأخرى، وكل منهما يدل على الوسيلة التي يتوصل بها المرء لإنجاز عمل ما.

أما في الاصطلاح فقد جاءت أحاديث متقدمي النحاة يشوبها شيء من الاقتضاب والغموض في تحديد مفهوم اسم الآلة الاصطلاحي، فسيبويه (ت185هـ) مثلاً، عقد لذلك باباً سماه (هذا باب ما عالجت به) قال فيه: "أما المِقْصُ فالذي يقص به،... وكل شيء يُعالج به فهو مكسورٌ الأول، كانت فيه هاء التانيث، أو لم تكن، وذلك قولك: مُحَلَّبٌ (وهو ما يُحَلَّبُ فيه)، ومنجَلٌ (وهو آلة يدوية لحش الكلاء، أو لحصد الزرع)، ومِكْسَحَةٌ (وهي ما يُكَنَّسُ به التَّلْجُ وغيره)، ومِسْلَةٌ (وهي الإبرة الكبيرة، والجمع: المَسَالُ)..."<sup>(4)</sup>، وفي موضع آخر قال: "وأما المسجد فإنه اسم للبيت، ولست تريد به موضع السجود،... ونظير ذلك المُكْحَلَةُ والمُحَلَّبُ لم ترد موضع الفعل ولكنه اسم



لوعاء الكحل وكذلك المدق صار اسماً له<sup>(5)</sup>، وقال أيضاً: "ويكون على مُفْعَلٍ نحو: مُنْخَلٍ، ومُسْعَطٍ، ومُدَقٍّ، ومُنْصَلٍ، ولا نعلمه صفة"<sup>(6)</sup>، وهو ما نقف عليه أيضاً لدى ابن السراج (ت316هـ)<sup>(7)</sup>.

ويبدو لي من كلام سيبويه السابق أنه فرّق بين الأداة التي يتوصل بها لإنجاز عمل ما، وبين اسم الآلة بالمفهوم الصرفي حيث رفض سيبويه جعل كلمات من أسماء الآلة مع دلالتها في الواقع على الأدوات التي يتوصل بها لإنجاز عمل ما، من مثل: (مُنْخَلٍ) (بضم الميم) وهو ما ينخل به الدقيق ونحوه، (مُسْعَطٍ) (بضم الميم، وفتح العين)، وهو ما يجعل فيه السعوط من دواء، أو دهن، فيسعط به العليل، أو الصبي في أنفه، أي: يجعل فيه، (ومُدَقٍّ)، وهو ما يدقّ به القماش وغيره، وجمعه: مُدَقٌّ، يؤيد ذلك ما نسبه الزمخشري (ت538هـ) إلى سيبويه أيضاً فقال: "وما جاء مضموم الميم والعين من نحو: المُسْعَطُ، والمُنْخَلُ، والمُدَقُّ، والمُدْهَنُ، (وهي أداة يوضع فيها الدهن)، والمُكْحَلَةُ، (وهي التي يجعل فيها الكحل من زجاج، وغيره)،... فقد قال سيبويه: لم يذهبوا بها مذهب الفعل، ولكنها جعلت أسماء لهذه الأوعية"<sup>(8)</sup>.

فسيبويه إنما أخرج هذه الكلمات من المفهوم الصرفي الخاص لمصطلح اسم الآلة؛ لأنها ليست على ما حدده من أوزان صرفية لاسم الآلة، فقد جاءت مُشْتَقَّةً من الفعل مضمومة العين، مخالفة لصيغها شذوذاً، مقصورة على السماع، شأنها في ذلك شأن الاسم الجامد، تحفظ ولا يقاس عليها.

أما أهل اللغة المتأخرون والمحدثون، فقد كانوا أكثر وضوحاً، في تعريف اسم الآلة، حيث عرفه المناوي (ت1031هـ): "هو ما يعالج الفاعل المفعول بوصول الأثر إليه"<sup>(9)</sup>، وقال الغلاييني (ت1364هـ) بأنه "اسمٌ يؤخذ غالباً من الفعل الثلاثي المجرد المتعدّي للدلالة على أداة يكونُ بها الفعل كـمِرَدٍ ومِنشَارٍ ومِكنَسَةٍ"<sup>(10)</sup>، وذكر عباس حسن أن اسم الآلة هو اسم يصاغ قياساً من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي المتصرف لازماً أو متعدياً بقصد الدلالة على الأداة التي تستخدم في إيجاد معنى ذلك المصدر، وتحقيق مدلوله بلفظة منفردة<sup>(11)</sup>.

وللجمع بين آراء العلماء يمكن القول بأن اسم الآلة هو كل اسم مشتق من فعل ثلاثي مبدوء بميم زائدة مكسورة؛ للدلالة على الأداة التي يكون بها الفعل.

#### ثانياً- أوزان اسم الآلة القياسية:

أشار أغلب علماء العربية إلى أن لاسم الآلة ضوابط قياسية ثلاثة، وهي كل ما جاء على وزن (مِفْعَل، ومِفْعَلَةٌ، ومِفْعَال)، نذكر منهم: عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ)، الذي قال: إن "اسم الآلة على (مِفْعَل) بكسر الميم، كمِحْلَب، و(مِفْعَال)، كمِفْتَاح، و(مِفْعَلَةٌ) كمِكْسَحَةٌ"<sup>(12)</sup>، وابن الحاجب (ت751هـ) الذي قال: "الآلة على مِفْعَل، ومِفْعَال، ومِفْعَلَةٌ، كـ(المِحْلَب والمِفْتَاح، والمِكْسَحَةُ)"<sup>(13)</sup>؛ غير أنهم اختلفوا في ضوابط الفعل الذي يشتق منه اسم الآلة، الذي يستعان به على إنجاز هذا الفعل أو علاجه، من حيث

كونه ثلاثياً مجرداً، أو من الثلاثي المزيد أو المتعدي، ويبدو أن سبب الخلاف في ذلك، يعود إلى أمرين هما:

أ- أمثلة سيبويه السابقة الذكر في باب اسم الآلة، فهي أمثلة كلها يستعان بها على معالجة أحداث أفعال ثلاثية جلها متعد ومجرد، وبعضها مزيد كـ(مصباح، ومصفاة)<sup>(14)</sup>، وقد نقل ابن السراج ذلك أيضاً عنه فقال: "وكلُّ شيء يُعالجُ به مكسور الأولِ كانت فيه هاءُ التانيثِ أو لم تكنْ وذلكَ : مِخْلَبٌ وَمِنْجَلٌ وَمِكْسَحَةٌ وَمِسْلَةٌ وَالْمِصْفَى وَالْمِخْرَزُ وَالْمِخْبِطُ وَيَجِيءُ عَلَى مِفْعَالٍ نحو: مِقْرَاضٍ وَمِفْتَاحٍ وَمِصْبَاحٍ"<sup>(15)</sup>.

ب- غموض أحاديث متقدمي النحاة على الأوزان التي يشتق منها اسم الآلة قياساً وتحديدها، بل اكتفت بالإشارة إلى ما جاء عليه هذا الاسم من أوزان فقط.

فكلام سيبويه وابن السراج لا يدلان على المقيس من الأوزان في اسم الآلة نصاً بل تمثيلاً، ولولا الأمثلة التي ساقها سيبويه؛ لأمكن أن يفهم من كلامه أن كل اسم مشتق مكسور الأول سواء أكان أوله ميماً كأمثته، أم لم تكن كـ(سراج، وركاب)، ولكنها قيدت هذا المكسور الأول بأن يكون أوله ميماً.

وهو ما صرح به الكسائي(ت189هـ) أيضاً فقال: "وما كان من الآلات مما يرفع، ويوضع، مما في أوله ميم، فاكسر الميم أبداً، إذا كان على (مفعَل، ومفعلة)، تقول في ذلك: هذا مِشْمَلٌ، وهو (كساءٌ له خَمَلٌ متفرِّقٌ يُلتَحَفُ به دونَ القطيفة) ومِثْقَبٌ، وهو (كل حديدة تَقَبَّتْ بها)، ومَقْودٌ، (معروف)،

ومصدَّغَةً، وهي (الحَشِيَّةُ تُعْظَمُ بها المرأةُ بدنَها، أو عَجِزَتَها؛ لِتُظَنَّ مُبَدَّنَةً، أو عَجْزَاءً) ومَجْمَرَةٌ، وهي (المبخرَة والمدخنة)، ومِسْرَجَةٌ، ومِخْدَةٌ، ومِحْسَةٌ، وهي (آلة من حديد ذات أضرار يزال بها الغبار عن الدابة)، فهذا كله مكسور الأول أبدأً<sup>(16)</sup> غير أن هذا نص لا يحصر أوزان اسم الآلة الثلاثة المقيسة في العربية، بقدر ما يضبط ما جاء عليه من أوزان تمييزاً لها عن غيرها.

ولعل بعض أئمة اللغة الآخرين، كانوا أكثر وضوحاً في النص على المقيس على اسم الآلة، فقد ذكر ابن الحاجب ذلك فقال: "الآلة على (مَفْعَل، ومُفْعَل، ومَفْعَلَةٌ)، كالمَحْلَب والمَفْتاح، والمِكْسَحَة"<sup>(17)</sup>، كما نص السيوطي صراحة على ذلك حين قال: "بناء الآلة مطرد على مَفْعَل (بكسر الميم وفتح العين)، ومُفْعَل، ومَفْعَلَةٌ، كذلك كَمِشْفَر، ومِجْدَح، ومِفْتاح"<sup>(18)</sup>.

ويبدو من خلال ما سبق أن أئمة اللغة سعوا إلى ضبط أوزان المقيس الذي يشتق منها اسم الآلة في العربية، بحيث لا يصاغ إلا من الفعل الثلاثي المجرد على وزن (مِفْعَال) (بكسر الميم)، مثل: مفتاح، منقاش، وعلى وزن (مَفْعَل) (بكسر الميم): مثل: منجل من نجل، وميرد من برد، ومغزل من غزل، ومغول من وعل، ومقص من قص، ومصعد من سعد، وعلى وزن (مَفْعَلَةٌ) كممسحة ومعبرة ومشربة، ومصفاة.

وحين انتشرت المسميات الجديدة لبعض الآلات المستخدمة حديثاً للدلالة على الأداة التي يكون بها الفعل، أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في دورته التاسعة والعشرين في عام (1962-1963م) إضافة أوزان أخرى إلى أوزان

اسم الآلة القياسية الثلاثة- السابقة الذكر-، حيث أصدر قراراً عن المجمع ينص على أن يصاغ من الثلاثي المتعدي كل اسم آلة على وزن (فَعَّالَة) مثل : ثلاجَة، وهي صيغة شائعة بين المحدثين، وكانت نادرة الاستعمال عند العرب، وعلى وزن (فَعَال) مثل: إراث، وهي آلة تأريث النار أي: إضرامها، وعلى وزن (فَاعِلَة) مثل: ساقية، وعلى وزن (فَاعُول) مثل: ساطور، وبهذا تصبح الصيغ القياسية لاسم الآلة سبعة<sup>(19)</sup>.

غير أن آراء بعض أهل اللغة المحدثين تباينت في هذه الأوزان من حيث الأصل والفرع، فذكر أحمد علم الدين الجندي أن الأصل في اسم الآلة أن يكون على وزن (مِفْعَال)، وما عداه فرع منه كـ (مِفْعَلَة ومِفْعَل)، وبنى رأيه هذا على أن الحركات في العربية كانت في القديم أحرف مد، ثم اختفت وحل مكانها أحرف صغيرة، ولهذا كان الخليل يسمي الضمة واواً صغيرة، والكسرة ياء صغيرة، والفتحة ألفاً صغيرة، فالحركات فرع، وأحرف المد الساقطة هي الأصل<sup>(20)</sup>.

وذهب عمارة إلى أن أسماء الآلة ارتقى بعضها إلى مستوى القياس، وظلت في معظمها غير منضبطة بقياس محدد، أي: أن بعضها لا يكون أصيلاً، كأن يكون منقولاً من لغة أخرى، كلفظة سكين، وكأس، أو أن كثرة الآلات والأدوات كانت سبباً من أسباب تقلتها من القياس المطرد<sup>(21)</sup>.

ويبدو لي أن ما ذكره الأستاذ سمير لعويسات حول اختزال أوزان اسم الآلة القياسية الثلاثة عند علماء اللغة المتقدمين في أصل واحد وهو وزن (مِفْعَل) هو الأرجح لقوة حجته، إذ يرى أن وزن (مِفْعَلَة) لا يختلف عن

وزن (مفعل) إلا بعلامة التأنيث، وأن كل ما جاء على وزن (مفعال) يمكن أن يكون على وزن (مفعل) وليس العكس<sup>(22)</sup>.

ويمكن التنبيه إلى أن هناك أوزاناً لا تحكمها قاعدة ثابتة، ويغلب على صياغتها السماع، وهي أوزان غير قياسية، حاول علماء اللغة أن يضعوا لها بعض الضوابط؛ لكي تنطبق على أنواع معينة من الأفعال فجاءت مخالفة للقياس غير مطردة، ومقصورة على السماع، فقد أجازوا أن يكون اسم الآلة من الأنواع الآتية:

أ- الفعل الجامد، غير مأخوذ من الفعل، ولا على وزن الصيغ المتقدمة المتفق عليها قديماً وهي (مفعل، ومفعلة، ومفعال)، نحو: القُدوم، والفأس، والسكين والجرس والساطور، وهي (أداة يقطع بها اللحم) ومغسلة، ومغصرة، وملعقة، ومسطرة، أو من مثل: (المصباح) فليس له فعل ثلاثي من معناه، بل المستعمل منه (استصبح) أي: أشعل السراج، وكذلك (المسرجة)، فإن فعلها أسرج.

ب- بعض أسماء الآلات المأخوذة من أسماء الأجناس، من ذلك: (مخدة)، أخذوها من الخد، و(الملحفة)، من اللحاف.

ج- المشتق من الأسماء الجامدة كـ (المحبرة) من الحبر، و(المقلمة) من القلم، وهي وعاء الأقلام، و(الممطر) و(الممطرة) من المطر، وهو الثوب يُنقى به المطر، و(المملحة) من الملح، و(المبئر) من الإبرة، و(المزود) من الزاد، وهو وعاء.

د- الفعل غير الثلاثي المجرد، كـ(المِئزِرِ والمِئزِرة والمِئزَار) من ائْتَزَرَ، و(المِيضَاة)، من تَوَضَّأَ، و(المِحْرَاك) من حَرَكَ، وهو العُود الذي تُحْرَكُ به النارُ، و(المِعْلَاق) من عَلَّقَ وهو اسمٌ لما يُعْلَقُ به الشيءُ، و(المَمْلَسَة) من مَلَسَ الأرضَ إذا سَوَّاهَا، وهي خشبةٌ تُسَوَّى بها الأرضُ.

هـ- الفعل الثلاثي المجرد اللازم، كـ(المِرْقَاة)، وهي(الدرجة) من (رَقِيَ) إذا صَعِدَ، و(المِعْرَج والمِعْرَاج)، وهو السُّلَّم، من عَرَجَ يَعْرُجُ إذا ارتقى، و(المِصْبَاح) من صَبَحَ الوجهَ إذا أَشْرَقَ وأنارَ، و(المِدْخَنَة) من دَخَنَتِ النارُ تَدَخُنُ وتَدَخُنُ إذا خَرَجَ دُخَانُهَا، أو ارتفع، و(المِزْرَب) من زَرَبَ الماءُ يَزْرِبُ إذا سَالَ، و(المِعْرَف والمِعْرَافَة) وهي أداة اللُّهُو كالعُود والطُّنْبُور ونحوهما، والجمع(مَعَارِف)، من عَرَفَ يَعْرِفُ إذا غَنَى، وكذلك إذا ضَرَبَ بالمعازِف و(المِلْهَى) وهو آلة اللُّهُو، وجمعه(مَلَاهٍ) من(لَهَا يَلْهُو)<sup>(23)</sup>.

ثالثاً- بعض ما جاء من أسماء الآلة في القرآن الكريم:

وردت ألفاظ في القرآن الكريم، على أوزان اسم الآلة القياسية المتفق عليها بين أهل اللغة، والأوزان التي أضافها مجمع اللغة العربية، نذكر بعضها منها، ونبين قياسه ومدلوله عند أهل اللغة والمفسرين، وهي على النحو الآتي:

- ما جاء على وزن (مِفْعَال)، مثل:

1- مثقال:

تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم في سبعة مواضع منها<sup>(24)</sup>: قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾<sup>(25)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا﴾<sup>(26)</sup>.

(المتقال) جاء على وزن (مفعال) القياسي، وجمعه (مفاعيل)، وهو مشتق من (تَقَلَّ) على زنة (فعل)، ومتقال الشيء: وزنه، أو ميزانه، والجمع (مثاقيل)، وهو اسم لما يوزن به، ويتخذ قياساً، أو ما يوزن به ثقيلًا كان، أو كثيرًا، أو هو وحدة وزن صغيرة، توزن بها الأشياء النفيسة، كالذهب، والفضة، واللؤلؤ والعطور، والعنبر، والمسك<sup>(27)</sup>.

والمتقال عرفا: يساوي درهما ونصف درهم، وربما زاد على ذلك، أو نقص شيئا، قال أبو جعفر النحاس: "ومتقال (مفعال) من التقل"<sup>(28)</sup>، وقال ابن عادل الدمشقي (880هـ): "المتقال: اسم لا صفة، والمعنيُّ به الوزن، ومتقال الشيء: ما يساويه في التقل"<sup>(29)</sup>، وقال ابن عاشور: "المِثْقَالُ: اسم آلة لما يعرف به مقدار تَقَلَّ الشيء، أو ما يظهر به التقل، صيغ على وزن اسم الآلة القياسي (مفعال)"<sup>(30)</sup>، وعلى ذلك فالمتقال جاء على وزن (مفعال) اسم آلة التقل التي توزن بها الأشياء المادية، وتطلق أيضا على ما يعادله مجازاً.

#### - ميثاق:

تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم في سبعة مواضع، منها<sup>(31)</sup>: قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾<sup>(32)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَثَقْتُمْ بِهِ﴾<sup>(33)</sup>.

(الميثاق) وزنه (مفعال) بـ (كسر الميم)، وهو كل ما أوثقت به شيئا، والجمع (موثيق)، و(ميثاق) في اللفظ إعلال بالقلب، أصله (موثاق)، جاءت الواو ساكنة بعد كسر، ثم قلبت ياء، وله معانٍ آخر منها: أن (ميثاق) من الوثوق، إذ به يكون الوثوق، والطمأنينة، أو هو من الوثاق، كأن الذي يعطي



العهد بشيء يوثق نفسه، ويلزمها ما في العهد، فيقال: العقد الأوثق والعروة الوثقى، ويقال: المتمسك بالدين متمسك بالعروة الوثقى، أي: متمسك بحبل متين يعصمه من الزلل وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس<sup>(34)</sup>، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾<sup>(35)</sup>، وقال أيضاً: ﴿قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِي مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾<sup>(36)</sup>.

وقد صرح الألوسي (ت1270هـ) بأن (الميثاق) هو ما يوثق به الشيء، ويكون اسم آلة كمحراث<sup>(37)</sup>، أما ابن عاشور فعده "اسم العهد وتحقيق الوعد، وهو مشتق من وثق، إذا أيقن وتحقق، فهو منقول من اسم آلة مجازاً، غلب على المصدر"<sup>(38)</sup>.

### 3- (مكيال وميزان):

- (المكيال):

تكرر هذا الاسم مرتين في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾<sup>(39)</sup>.

(المكيال) وزنه (مفعال) بكسر الميم اسم آلة، تقول: (الكَيْلُ والمِكْيَالُ والمِكْيَالُ والمِكْيَالَةُ): ما كيل به، وكال الدراهم: وزنها<sup>(40)</sup>، ويجمع (المِكْيَالُ) على (مكاييل)<sup>(41)</sup>، وقال الأزهرى (ت370هـ): "المِكْيَالُ: ما يكال به، حديداً كان أو خشباً، واكْتَلْتُ من فلان، واكْتَلْتُ عليه"<sup>(42)</sup>، و(المِكْيَالُ) مصدر كال الطعام من باب باع والاسم الكيلة بالكسر<sup>(43)</sup>.

وقد يسمى المكيال القَفِير<sup>(44)</sup>، و(الصواع)<sup>(45)</sup>، وإن كان المكيال ضَخْمًا سُمِيَ: القَنْقَلُ<sup>(46)</sup>، كما يسمى المكيال مقياساً من حيث كان يحمل عليه ما يراد كيانه<sup>(47)</sup>، قال أبو حيان الأندلسي (ت745هـ): "الكيل: مصدر كال، وكال معروف، ثم يطلق على الآلة التي يكال بها كالمكيال"<sup>(48)</sup>، وقال ابن عادل الدمشقي: "أراد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال"<sup>(49)</sup>.

#### ب- الميزان:

تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم، في تسعة مواضع، منها<sup>(50)</sup>: قوله تعالى: ﴿لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾<sup>(51)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾<sup>(52)</sup>، حيث كرر لفظ الميزان في السورة ثلاث مرات في، كل مرة بمعنى فالأول هو (الآلة)، والثاني بمعنى (المصدر) أي: (الوزن) والثالث للمفعول أي: (الموزون)، وذكر الكل بلفظ (الميزان)؛ لأنه اشتمل للفائدة .

(الميزان) وزنه (مفعال) من الفعل (وَزَنَ، يَزِنُ، زِنٌ) من باب (فَعَلَ يَفْعَلُ) مثلاً واوياً مكسور العين في المضارع، تحذف واوه في المضارع، والأمر اطراداً، وفي (وزن) إعلال بالقلب أصله (موزان)، جاءت الواو ساكنة بعد كسر فقلبت ياء، ومن الفعل الثلاثي المجرد (وَزَنَ) جاء المصدر (الوزن)، ثم نقل إلى اسم الآلة، فصار وزنه: (مفعال) (بكسر الميم)، كالميعاد والميلاد

بمعنى المصدر إذ يقال للآلة التي يوزن بها الأشياء ميزان، وجمعه أوزان<sup>(53)</sup>، وهو أقدم آلة عرفها الإنسان لقياس الثقل.

وقد نص الزمخشري على قياسية (مِيزَان)، وأنه اسم آلة فقال: "والميزان: (مِفْعَال) من الوزن وهو آلة الوزن، كالمِنْقَاش، والمِضْرَاب، والمِصْبَاح، وتختلف أشكاله باختلاف الأقاليم كالمكيال"<sup>(54)</sup>.

كما عبّر القرآن الكريم بلفظ (الموازن) على صيغة جمع التكسير على وزن (مَفَاعِيل)، وهذا الوزن، جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم، على غير أقيسة اسم الآلة، وعلى أساس تعدد الأعمال الموزونة فيه، وفي الحقيقة هو ميزان واحد، منها: قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾<sup>(55)</sup>، وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾<sup>(56)</sup>.

ب- ما جاء على وزن (مِفْعَلَةٌ)، وهو مثال واحد، مثل:  
- (مِنْسَاءَةٌ):

وردت هذا الاسم في موضع واحد في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا قُضِيَنا عَلَيْهِ الْمَوْتُ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ اأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَاءَةً ﴾<sup>(57)</sup>.

(المِنْسَاءَةُ): على وزن (مِفْعَلَةٌ)، (بكسر الميم وسكون الفاء)، وجمعها (مَنَاسِي) من الثلاثي (نَسَأَ) على زنة (فعل)، بمعنى طرد وزجر، اسم آلة، على وزن (مِفْعَلَةٌ)، وجمعها (مناسي)، وهي بمعنى العصا بالزنجية، وقيل: العصاة بلسان الحبشة؛ كالمِكنَسَة والمِكنَسَة<sup>(58)</sup>، وذكر أبو عبيدة (ت210هـ) أنها هي العصا

التي ينسأ بها الغنم، وأصلها من (نَسِأتُ تَنَسَأُ) بها الغنم أي: تسوقها (59)، أو هي عصا غليظة، يحملها الرُّعاة، أو الجنود، وتُستخدم في الضرب، ودفع الدواب، والحثّ على السَّير والتَّوكُّؤ ونحوه، وقال شمس الدين الشربيني (977هـ): "الْمِنْسَاءُ: العصا اسم آلة من (نَسَأَهُ) آخره، كالمِكْسَحَةِ والمكنسة من نسأت الغنم أي: زجرتها وسقتها" (60)، وقال ابن عادل المشقي: "والمِنْسَاءُ اسم آلة من نَسَأَهُ أي: آخره، كالمِكْسَحَةِ والمِكْنَسَةِ من نَسَأَتُ الغنم أي زجرتها وسقتها" (61)، وقال ابن عاشور: "المِنْسَاءُ بلغة أهل الحجاز، والمِيسَنَاءُ بوزن (مِفْعَلَةٌ) التي هي اسم الآلة مشتق من سَنَيْتُ بمعنى سَقَيْتُ، ومنه سميت الساقية سانية، وهي الدلو المستقى به" (62).

وقد اختلف القراء في همز مِيسَنَاءُهُ، فقرأ نافع وأبو عمرو (مِنْسَاءُهُ)، غير مهموز، وقرأ الباقون: (مِنْسَاءُهُ) مهموزاً مفتوح الهزمة إلا بن ذكوان، فسكّن الهزمة، (مِنْسَاءُهُ)، والقياس إذا خُفِّفَت الهزمة منها أن تجعل بين بين (63)، قال سيبويه: "واعلم أن الهزمة التي يحقق أمثالها أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز، وتجعل في لغة أهل التخفيف بين بين، وتبدل مكانها الألف إذا كان ما قبلها مفتوحاً، والياء إذا كان ما قبلها مكسوراً، والواو إذا كان ما قبلها مضموماً، وليس ذا بقياس مُتَلْتَب،... وإنما يحفظ عن العرب... فمن ذلك قولهم: مِيسَنَاءٌ وإنما أصلها (مِنْسَاءٌ)" (64).

والأرجح أن تكون (المِنْسَاءُ) اسم آلة-وهي العصا- من أصل مهموز، وأصلها (المِيسَنَاءُ) بالهمز من (نَسَأُ)، وتخفف فكأنها-حينئذ- من المعتل: (نَسَو) أو (نَسِي).

- ما جاء على وزن (فِعال) مثل:

### 1- لِسَانٌ:

تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً<sup>(65)</sup>، منها: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾<sup>(66)</sup>، وقوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(67)</sup>.

لم تختلف دلالة (اللسان) عند أهل اللغة في كونها آلة القول، فقد ذكر الزبيدي أن (اللسان)، بالكسر: (المَقُولُ)، أي: آلةُ القَوْلِ الجارحة، على زنة (فِعال)<sup>(68)</sup>، وصرح ابن عادل الدمشقي بذلك عند تفسير قوله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾<sup>(69)</sup>، " المرادُ باللسانِ الجارحةُ، لا اللُغةُ"<sup>(70)</sup>، وورد ذلك المعنى أيضاً في شعر العرب فقال: حسان بن ثابت:

لساني وسيفي صارمان كلاهما \*\*\* وللسيف أشوى وقعةً من لسانيا<sup>(71)</sup>  
وذكر ابن يعيش (ت643هـ) أن اللسان: يُذَكَّرُ وَيؤنَّثُ، ويجمع على (اللسنة)، فيمن ذكراً مثل: حمار، وأحمرّة، ويجمع على (اللسن)، فيمن أنث مثل ذراع وأذرع؛ لأن ذلك قياس ما جاء على فعال من المذكر والمؤنث<sup>(72)</sup>، ومنه قول العجاج: أو تلحج الألسن فينا ملحجا<sup>(73)</sup>  
ويجمع (اللسان) أيضاً على (لسن)، بالضم مخففاً عن لسنٍ بـ (ضمّتين) ككتاب وكتب<sup>(74)</sup>،

وللسان دلالات متعددة منها: قول ابن سيده " للسان: المَقُولُ، والمِدْوَدُ والمِسْحَلُ واللقلق"<sup>(75)</sup>، وقول ابن منظور: " اللسانُ جارحة الكلام، وقد يُكنى

بها عن الكلمة فيؤنث<sup>(76)</sup>، وقال ابن فارس (ت395هـ): هو "أصلٌ صحيح واحد، يدلُّ على طول لطيفٍ غير بائن، في عضوٍ أو غيره"<sup>(77)</sup>. واللسان مجاز مرسل من إطلاق آلة الكلام، وإرادة ما ينشأ عنها، أو هو آلية كون الشيء واسطة، لإيصال أثر شيءٍ إلى آخر، وذلك فيما إذا ذكر اسم الآلة، وأريد الأثر الذي ينتج عنه، نحو قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾<sup>(78)</sup>، أي ذكراً حسناً، (فلساناً) بمعنى ذكر حسن مجازاً مرسل، علاقته (الآلية)؛ لأنَّ اللسان آلة في الذكر الحسن<sup>(79)</sup>، قال سعد الدين التفتازاني (ت793هـ): إن اللسان "تسمية الشيء باسم آله"<sup>(80)</sup>.

وقد استخدم لفظ اللسان جمعاً في القرآن الكريم في عشرة مواضع، ودل أيضاً على آلة القول، منها:<sup>(81)</sup>، قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْقُضُوكُمْ كَلِمَاتٍ كَلِمَةً مِنْ آيَاتِنَا وَلَكُمْ عِدَاةٌ وَيَسْتُظَوُّوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتُهُمْ بِالسُّوءِ﴾<sup>(82)</sup>، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾<sup>(83)</sup>.

## 2- وثاق:

تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم في موضعين، هما: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾<sup>(84)</sup>، وقوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلَا يُوثِقُ وَتَاقَهُ أَحَدٌ﴾<sup>(85)</sup>.

الوثاق من (وثق) على زنة (فعل) والوثاق: على قراءة من قرأ بكسر الواو، وهو نافع في رواية، وأبو جعفر وشيبة، وقرأ الجمهور بفتحها<sup>(86)</sup>، وقال الطاهر الزاوي: "الوثاقُ بكسر الواو لغةً فيه"<sup>(87)</sup>، وقال

الخليل (ت170هـ): إن معنى: "الوثاقُ : الحَبْلُ، ويُجَمَعُ على (وُثُق)، مثل: رِبَاطٍ وَرُبُطٍ"<sup>(88)</sup>، وقال الصاحب بن عباد (ت385هـ): "الحَبْلُ الذي يُوثَقُ به: الوثاقُ، والجميع الوُثُقُ"<sup>(89)</sup>، وقال الزبيدي: "الوثاق القيد والحبل ونحوه (بفتح الواو وكسرهما) والجمع الوُثُقُ مثل: رِبَاطٍ وَرُبُطٍ، عَنَاقٌ وَعُنُقٌ، تقول: أوثَقَه فيه أي: شدّه ، ووَثَقَه توثيقاً فهو موثَقٌ: أَحْكَمَه"<sup>(90)</sup>، وذكر الآلوسي أن الوثاق قرئ (الوثاق) بالكسر، وهو على هذه القراءة اسم آلة ما يُشَدُّ به في الآلات، كالحَبْلِ و(الحزام)، والركاب<sup>(91)</sup>، وقال الواحدي (ت468هـ) "والوثاق بالكسر اسم الشيء الذي يوثق به كالرباط، قال المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿ إِذَا أُخْتِمْهُمْ فَشَدُّوا الوثاق ﴾، أي الكفار؛ أمر الله تعالى بشد وثاق الأسارى منهم كيلا يقتلوا ويهربوا"<sup>(92)</sup>.

وذكر الزبيدي أن (الوثاق) يأتي بمعنى (الكَرْدَسَة)؛ أي إذا أردت أن توثق أسيراً عند ضجعه، فقد روى الزبيدي حكاية عن المُفَضَّل: "يُقَال: فَرَدَسَه وَكَرَدَسَه، إذا أوثَقَه، وأنشد لامرئ القيس :

فَبَاتَ عَلَى خَدِّ أَحَمِّ وَمَنْكَبٍ \* \* \* وَضَجَعْتَهُ مِثْلَ الْأَسِيرِ الْمُكَرَّدَسِ (93)

أراد: مثل ضجعة الأسير، ونسب إلى الأزهرى قوله: أَخَذَهُ فَعَرَدَسَه ثُمَّ كَرَدَسَه، فأما عَرَدَسَه : فَصَرَعَهُ، وَأَمَّا كَرَدَسَه: فَأَوْثَقَهُ<sup>(94)</sup>، أما إذا أشتد الوثاق يسمى (الجَرَفَسَة)، ويسمى أيضا القَعَطْرَة<sup>(95)</sup>.

وعلى ذلك تكون مادة (الواو والثاء والقاف) كلمة تدلُّ على عَقْدٍ وإحكام، لما يوثق به الأسرى، إذا قرئ بكسر واوها، أو أنها لغة، جاءت على

وزن (فَعَال) الذي عده مجمع اللغة العربية قياسي، فهو اسم آلة يُشَدُّ به، كالحَبْلِ و(الحزام)، والركاب، والجميع الوُتُقُ.

### 3- صَوَاعُ:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضع واحد، هو: قوله تعالى: ﴿ قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ ﴾<sup>(96)</sup>.

الصاع، و(الصَوَاع)، بالكسْر، وبالضَمِّ، والصَوَّع، بـ(الْفَتْحِ وَيُضَمُّ)، كُلُّهُنَّ لغاتٌ في الصاع الذي يُكَالُ به، قال أبو الفتح ابن جني (392هـ-): "الصَّاعُ والصُّوَاعُ والصَّوَّعُ والصُّوَعُ واحد، وكلها مكيال، وقيل: الصُّوَاعُ: إناء للملك يشرب فيه، وأما الصَّوَّعُ فمصدرٌ وُضِعَ موضع اسم المفعول؛ يراد به المَصَّوَعُ، كالخلق في معنى المخلوق، والصيد في معنى المَصِيدِ"<sup>(97)</sup>، وقُرئَ بهنَّ، حيث قرأ أبو هريرة - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، ومُجَاهِدٌ، (صَاعٌ)، وقرأ الجمهور، والحسنُ البَصْرِيُّ، وأبو رَجَاءٍ، وَعَوْنُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ ذَكْوَانَ: صَوَاعٌ (بضم الصاد)، والعين مهملة بزنة: غَرَابٌ، وقرأ ابن جبير (صَوَاعٌ) بالغين المُعْجَمَةَ، وقرأ يحيى بن يعمر، (صَوَّعٌ) بتسكين السواو، وقرأ أبو رَجَاءٍ، أيضاً (صَوَّعٌ) بالفتح، بزنة (قوس)، فيما قرأ أبو حيوة، وابن قُطَيْبٍ (صَوَاعٌ) بكسْر الصاد، بزنة (فَعَال)<sup>(98)</sup>.

وقال الزَّجَّاجُ (ت311هـ-): (الصَّوَاعُ) يُذَكَّرُ وَيُؤنَّثُ"<sup>(99)</sup>، وقيل: "ذُكَّرَ؛ لِأَنَّهُ صَاعٌ، وَأُنْثَى؛ لِأَنَّهُ سِقَايَةٌ"<sup>(100)</sup>، وقال الجوهرى هو: "أَرْبَعَةُ أَمْدَادٍ"<sup>(101)</sup>، وفي الحديث الشريف، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "كَانَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ، إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ"<sup>(102)</sup>.



وذكر الزبيدي أن أهل الكوفة يقولون: عيارُ الصاع عندهم أربعةُ أمان، والمنُّ: رُبْعُه، وصاعُهم هذا هو القفيزُ الحجازيُّ، ولا يعرفه أهلُ المدينة جمع: أصوُغٌ، وإن شئتَ أبدلتَ من الواوِ المضمومةِ همزةً، وقلتَ: أصوُغٌ، هذا على رأيٍ من أنته، ومن ذكره قال: صاعٌ وأصوَاغٌ مثل: بابٍ وأبوابٍ، أو ثوبٍ وأثوابٍ، وصوُغٌ بالضمِّ، كأنه جمعُ صِوَاغٍ، بالكسرِ، يُجمعُ أيضاً على صيعانٍ، مثل قاعٍ وقيعانٍ، أو هذا جمعُ صِوَاغٍ، كغرابٍ وغربانٍ، وهو الجامُ الذي كان الملكُ يشربُ فيه أو منه، والصِوَاغُ (مِكْيَالٌ مَعْرُوفٌ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ)، وهو إناءٌ مُسْتَطِيلٌ، من وِرْقٍ، كان يُكَالُ به، وربما شربوا به، وكان مصوغاً من الذهب، وكان يُشْرَبُ به في الجاهليَّةِ، ويسمى عند أهلِ الفرسِ بـ(المكوك) (103)، وقال ابن عادل: "الصِوَاغُ: إناءٌ له رأسان في وسطه مقبض، كان الملكُ يشربُ منه من الرأسِ الواحدة، ويكالُ الطَّعامُ بالرَّأسِ الآخرِ" (104).

- ما جاء على وزن (فاعلة)، وهو مثال واحد، مثل:

- (أنيّة):

تكرر هذا الاسم في القرآن الكريم في موضعين هما: قوله تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِأَنْيَةِ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ (105)، و قوله تعالى: ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ أَنْيَةِ﴾ (106).

(أنيّة)، وزنه فاعلة، وهو جمع إناء، اسم للوعاء، ووزنه (فعال) بكسر الفاء، والهمزة فيه منقلبة عن ياء لتطرفها بعد ألف ساكنة، قال الزبيدي: "الإناء، (بالكسر) والمدّ، جمع أنيَّة، كرداءٍ وأردية، (وأوان) جمعُ الجَمْعِ كسقاءِ

وَأَسْقِيَّةٍ وَأَسَاقٍ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ الْإِنَاءُ إِنَاءً؛ لِأَنَّهُ قَدْ بَلَغَ أَنْ يُعْتَمَلَ بِمَا يُعَانَى بِهِ مِنْ طَبْخٍ أَوْ خَرْزٍ أَوْ نِجَارَةٍ، وَالْأَلْفُ فِي آنِيَةٍ مُبْدَلَةٌ مِنَ الْهَمْزَةِ وَلَيْسَتْ بِمُخَفَّفَةٍ عَنْهَا لِإِنْقِلَابِهَا فِي التَّكْسِيرِ وَأَوَّاءَ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَحُكِمَ عَلَيْهِ دُونَ الْبَدَلِ لِأَنَّ الْقَلْبَ قِيَاسِيٌّ وَالْبَدَلَ مَوْقُوفٌ<sup>(107)</sup>، أَمَا السَّمِينُ الْحَلْبِيُّ (ت756هـ) فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ (الْآنِيَةَ) جَمْعُ إِنَاءٍ، وَوَزْنُهَا فَاعِلَةٌ، وَأَصْلُهَا (الْأَنْيَةُ) بِهَمْزَتَيْنِ الْأُولَى مَزِيدَةٌ لِلْجَمْعِ، وَالثَّانِيَةُ فَاءُ الْكَلِمَةِ، فَقَلِبْتَ الثَّانِيَةَ أَلْفًا وَجُوبًا، وَهَذَا نَظِيرٌ: كِسَاءٍ وَأَكْسِيَّةٍ وَغِطَاءٍ وَأَعْطِيَّةٍ، وَقَدْ اتَّحَدَّ فِيهَا اللَّفْظُ وَاخْتَلَفَ التَّصْرِيفُ مَعَ لَفْظِ (آنٍ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾<sup>(108)</sup>، حِينَ أَمَالَهَا هِشَامٌ؛ لِأَنَّ الْأَلْفَ فِيهَا غَيْرُ مُنْقَلَبَةٍ عَنْ غَيْرِهَا، بَلْ هِيَ أَصْلٌ بِنَفْسِهَا، فَوَزْنُهَا (أَفْعَلَةٌ)، وَهَذَا بِخِلَافِ (آنِيَةٍ)، فَإِنَّ الْأَلْفَ بَدَلَ مِنْ هَمْزَةٍ، وَهَذَا يَعمَدُ مِنْ مَحَاسِنِ عِلْمِ التَّصْرِيفِ<sup>(109)</sup>.

وقد يطلق لفظ الآنية على مسميات أخرى، منها: الصُّرَاحِيَّةُ آنِيَةٌ لِلْخَمْرِ<sup>(110)</sup>، وَالْهِيْطَلَةُ آنِيَةٌ مِنْ صُفْرِ يَطْبُخُ فِيهَا<sup>(111)</sup>، وَالْعَكَّةُ بِالضَّمِّ آنِيَةٌ السَّمْنِ وَجَمْعُهَا عُكَاكٌ وَعُكَاكٌ<sup>(112)</sup>.

وعلى ذلك فإن (الآنية) اسم آلة على وزن (فاعلة)، تطلق على كل ما يستعمل في الأكل والشرب، وغيرهما كالقدر والمغرفة والصحن، وقد جاءت بمعنى (الوعاء) في سورة الإنسان، وبمعنى (المتناهية في شدة الحر) في سورة الغاشية .

- ما جاء على وزن (فَاعُول) مثل:

1- التَّابُوتُ:

تكرر هذا الاسم مرتين في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ ﴾<sup>(113)</sup>،

وقوله تعالى: ﴿ أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾<sup>(114)</sup>.

(التَّابُوتُ)، من حيث الوزن فهو محل خلاف بين أهل اللغة في اشتقاقه

وعدمه على قولين:

أحدهما: أنه على وزن (فَاعُول)، وهذا لا يعرف له اشتقاق؛ لأنَّ المعنى لا يساعد على ذلك، إذ يمنع أن يكون وزنه فعلوتاً مشتقاً من تاب يتوب، كملكوت من الملك ورهبوت من الرُّهب.

الثاني: أن وزنه فعلوت كملكوت، وجعله مشتقاً من التَّوب وهو الرُّجوع، وجعل معناه صحيحاً فيه؛ لأنَّ التَّابُوت هو الصُّندوق الذي توضع فيه الأشياء، فيرجع إليه صاحبه عند احتياجه.

وقد ذكر ذلك ابن جني واحتج له فقال: "ومن ذلك: (التَّابُوت) بالتاء، قراءة الناس جميعاً، ولغة للأنصار (التَّابُوه) بالهاء، أما ظاهر الأمر، فأن يكون هذان الحرفان من أصلين؛ أحدهما: (تَبَّ ت)، والآخر: (تَبَّ هـ)، ثم من بعد هذا، فالقول أن الهاء في (التَّابُوه) بدل من التاء في (التَّابُوت)، وجاز ذلك لما أذكره: وهو أن كل واحد من التاء والهاء حرف مهموس، ومن حروف الزيادة في غير هذا الموضع، وأيضاً فقد أبدلوا الهاء من التاء التي للتأنيث

في الوقف، فقالوا: حمزه، وطلحه، وقائمه، وجالسه، وذلك منقاد مطرد في هذه التاء عند الوقف، ويؤكد هذا أن عامة عقيل، فيما لا نزال نتلقاه من أفواهها، تقول في الفرات: الفراه، بالهاء في الوصل والوقف<sup>(115)</sup>.

وقد نقل ذلك ابن عادل عن الزمخشري، فقال في وزن التابوت: "لا يخلو أن يكون فعولتاً، أو فاعولاً، فلا يكون فاعولاً لقلته نحو: سلس وقلق يعني: في الأوزان العربيّة، ولا يجوز ترك المعروف، فهو إذاً (فعلوت) من التّوب، وهو الرجوع؛ لأنه ظرفٌ تودع فيه الأشياء، فيرجع إليه كل وقت، وأمّا من قرنماً بالهاء فهو (فاعول) عنده، إلا من يجعل هاءه بدلاً من التّاء لاجتماعهما في الهمس، ولأنّهما من حروف الزيادة، ولذلك أبدلت من تاء التّأنيث"<sup>(116)</sup>.

وما نسب للزمخشري نقله أيضاً العكبري (ت616هـ) فقال: "(التابوت) أصل ووزنه فاعول ولا يعرف له اشتقاق، وفيه لغة أخرى التابوه بالهاء، وقد قرئ به شاذاً، فيجوز أن يكونا لغتين، وأن تكون الهاء بدلاً من التّاء. فإن قيل: لم لا يكون فعلوتاً من تاب يتوب؟ قيل المعنى لا يساعده، وإنما يشتق إذا صح المعنى"<sup>(117)</sup>.

والمشهور عند القراء أن يوقف على تائه بتاءٍ من غير إبدالها هاءً على لغة قريش؛ لأنّها إمّا أصل، إن كان وزنه فاعولاً، وإمّا زائدةٌ لغير التّأنيث كملكوت، ومنهم من يقلبها هاءً، على لغة الأنصار، وقرأ بها شذوذاً أبيّ، وزيد بن ثابت<sup>(118)</sup>، قال القاسم بن معين (ت175هـ) قاضي الكوفة: "لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التّابوت، فلغة قريش بالتّاء، ولغة الأنصار بالهاء"<sup>(119)</sup>.

وقال ابن عاشور: " والتابوت اسم أعجمي معرب فوزنه فاعُول، وهذا الوزن قليل في الأسماء العربية ، فيدل على أن ما كان على وزنه إنما هو معرب مثل ناقوس وناموس" (120)،

و(التابوت) من حيث المعنى هو الصندوق من خشب، توضع فيه الأشياء، فيحرزها ويحفظها فيه فصارت وعاء تثبت له، ولذلك فهو اسم آلة، قال ابن عاشور: " التابوت بمعنى الصندوق المستطيل: وهو صندوق، أمر موسى - عليه السلام - بصنعه،...، فصُنِعَ من خشب السنط، وهو شجرة من صنف القرظ، وهو شجر عظام لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز (121)، وجعل طوله ذراعين ونصفاً، وعرضه ذراعاً ونصفاً، وارتفاعه ذراعاً ونصفاً، وغشاه بذهب من داخل ومن خارج، وصنع له إكليلاً من ذهب، وسبك له أربع حلق من ذهب، على قوائمه الأربع، وجعل له عصوين من خشب مغشأتين بذهب؛ لتدخل في الحلقات لحمل التابوت، وجعل غطاءه من ذهب، وجعل على طريق الغطاء صورة، تخيل بها اثنين من الملائكة من ذهب، باسطين أجنحتهما فوق الغطاء، وأمر الله موسى أن يضع في هذا التابوت لوحى الشهادة اللذين أعطاه الله إياهما، وهى الألواح التي ذكرها الله في قوله تعالى (122): ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾ (123).

وللتابوت مسميات أخرى، منها: التَّبُوتُ (124)، والإران الذى يحمل فيه الموتى (125)، لقول طرفة بن العبد:

أَمُونٌ كَأَلْوَحِ الْإِرَانِ نَسَاتُهَا \*\*\* عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجِدٍ (126).

حيث شبه الشاعر عرض عظام الناقة بألواح التابوت.

وأرى أن لفظ (التابوت) في الآيتين السابقتين، دلَّ على الصندوق المصنوع من الخشب، الذي هو اسم فاعل مبالغة بمعنى آلة، تحرز فيه الأشياء وتحفظه، وشاع استعماله ليضم رفات الموتى، وجاء على وزن (فَاعُول)، الذي أضافه مجمع اللغة العربية بالقاهرة للأوزان القياسية لأسماء الآلة.

## 2- الناقور:

ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضع واحد: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾<sup>(127)</sup>.

الناقور، من نَقَرَ يَنْقُرُ، جمعه: نواقيرُ؛ اسم آلة، على وزن (فَاعُول)، كالأهاضوم من الهضم، (وهو كل دواء يهضم الطعام)<sup>(128)</sup>، والنقر: التصويت باللسان، و(الناقور): بمعنى الصور، وهو البوق الذي ينفخ فيه، كندبوع بإعلان حرب، أو وقوع غارة، ونحو هذا، عند أهل اللغة، قال ابن منظور: "الناقور: الصُّورُ الَّذِي يَنْقَرُ فِيهِ الْمَلَكُ (ملك الموت) أَي يَنْفُخُ فِيهِ"<sup>(129)</sup>، وقال الحميري اليمني (ت573هـ): "الناقور: الذي يُنْفَخُ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(130)</sup>، وهو قول أهل التفسير أيضاً، فقد قال ابن عطية الأندلسي (ت542هـ): "الناقور: الذي ينفخ فيه وهو الصور"<sup>(131)</sup>، وقال الألويسي: "الناقور، وهو (فَاعُول) من النقر بمعنى التصويت، وأصله القرع، وأريد به النفخ؛ لأنه نوع منه"<sup>(132)</sup>، وسمى الصور ناقوراً؛ لأنه ينقر فيه حتى يحدث صوتاً... فهو اسم آلة، مثل ساطور، وقادوم...<sup>(133)</sup>، وقال ابن عاشور: "الناقور: البوق الذي ينادى به الجيش، ويسمى الصُّور وهو قرن كبير، أو شبهه ينفخ فيه النافخ لنداء ناس

يجتمعون إليه من جيش ونحوه،... ووزنه فاعُول، وهو زنة لما يقع به الفعل من النقر<sup>(134)</sup>.

وقد عزا الأزهرِيُّ إلى ابنِ الأعرابيِّ (ت231هـ)، قولاً مغايرةً للمعاني السابقة، وهو أن (الناقور) هو القلب، ومن ثم وصف الأزهرِيُّ هذا القول بالغريب جداً، وعده من الأقوال التي انفرد بها ابن العربي، وذكر أن الوارد عن السلفِ أنَّ النَّاقُورَ: البُوقُ الذي يَنْفُخُ فيه للحشر<sup>(135)</sup>، وقد احتمل الماوردي (ت450هـ) تاويلاً آخر وهو: أن يكون (الناقور) صحف الأعمال إذا نشرت للعرض<sup>(136)</sup>، وقال محمد طنطاوي: "الناقور، بزنة فاعُول : من النَّقْر، وهو اسم لما ينقر فيه، أي : لما ينادى فيه بصوت مرتفع، والمراد به في الآية : الصور أو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل بأمر الله - تعالى - النفخة الثانية التي يكون بعدها الحساب والجزاء"<sup>(137)</sup>.

وهكذا نلاحظ أن هناك توافق في الآراء بين أهل اللغة وأهل التفسير في دلالة اسم الآلة على أن لفظ (الناقور) من نقر، الوارد في الآية السابقة، جاء على وزن (فاعُول)، وهو الصور الذي ينفخ فيه للحشر عند قيام الساعة وهو شيء كهياة البوق ينفخ فيه مثل القرن وغيره.

### 3- الماعُون:

ورد هذه الاسم في القرآن الكريم في موضع واحد، قوله تعالى:

﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾<sup>(138)</sup>.

ذكر قطرب (ت206هـ) أن (الماعُون) على وزن فاعُول من المعن، الشيء القليل، يقال: مالٌ معِينٌ أي قليل، فهو مصدر ميمي من أعان يعين،

بزنّة (أفعل) الرباعي، وقد حكى الجوهرى عن بعض الناس أن (المَاعُون) أصله (معونة)، والألف عوض من الهاء، على وزن (فَاعُول) (139).

وقد تباينت آراء أهل اللغة في تفسير معنى (المَاعُون) فعند بعض أهل اللغة دل على معنى الآلة التي يستعان بها؛ كالإبرة، والفأس، والقدر، ونحو ذلك، قال الفراء (ت207هـ): "المَاعُون: المعروف كله حتى ذكر: القصعة، والقدر، والفأس" (140)، وهو قول الأزهرى أيضا (141)، وقال ثعلب (ت291هـ): "المَاعُون" كل ما يُستعار من قدوم وسفرة وسفرة (142)، وقال الزجاج وأبو عبيد والمبرد (ت285هـ) "المَاعُون كل ما فيه منفعة حتى الفأس والدلو والقدر والقادحة، وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير" (143)، وقال ابن خالويه (ت370هـ): "المَاعُون: ... الدلو والقادحة والفأس...، وما أشبه ذلك من المحلات، وإنما سميت المحلات ماعونا؛ لأن المسافر إذا كانت معه هذه الأشياء حلّ حيث شاء" (144)، وقال الرازى (ت666هـ): "المَاعُون) اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما" (145).

كما وردت بعض الأحاديث النبوية التي تؤيد ما ذكره أهل اللغة من ذلك: ما روي عن ابن مسعود قوله: " كُنَّا نَعُدُّ المَاعُونَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَارِيَةَ الدَّلْوِ وَالْقَدْرِ" (146)، وعنه أيضا روى أنه قال: " هو ما تعاون الناس بينهم: الفأس، والقدر، والدلو، وأشباهه" (147).

وللفظ (المَاعُون) معانٍ أخرى، منها: أن المَاعُون بمعنى الطاعة والزكاة، وقال الفراء: "سمعت بعض العرب يقول المَاعُون: الماء" (148)، وقال أبو عبيدة



المَاعُون: "هو الحق على العبد على العموم، وقيل: هو المستقل من منافع الأموال، مأخوذ من المعن، وهو القليل" (149).

ومجمل القول يمكن أن أخصه في الآتي:

- اتفاق أغلب أهل اللغة القدماء على أن اسم الآلة مرادف للأداة في المعنى، وقد استعمل للدلالة على مضمونها، وأن أجهزة قياسها، انحصرت في ثلاثة أوزان هي: وزن (مِفْعَال) و (مِفْعَل) و (مِفْعَلَة)، مصوغة من مصدر ثلاثي لآلة الفعل،

- قرر مجمع اللغة العربية بالقاهرة إضافة أربعة أوزان للقياس على اسم الآلة، وهي: (فَعَالَة)، و (فِعَال) و (فَاعِلَة)، و (فَاعُول)؛ نظراً لأن حركة التصنيع الحديثة والمدنيّة المعاصرة، تطلّب مزيداً من أسماء الآلة.

- أجاز بعض أهل اللغة القدامى أوزاناً غير قياسية من الفعل الجامد، والمشتق منه، والمأخوذة من أسماء الأجناس، ومن غير الثلاثي المجرد، ومن المجرد اللازم، و من أسماء اللآلات المُشتقّة بضبطٍ محدّد، وبعض كلام العرب الشاذ.

- اختلاط اسم الآلة ببعض الألوان الصرفيّة الأخرى، كمجيئه من المبالغة والمصدر الميمي، وأحياناً باسم الفاعل والصفة المشبّهة.

- توافق المعنى الدلالي لبعض الألفاظ القرآنية المقيسة على أوزان اسم الآلة قديماً، وحديثاً، بين أهل اللغة والمفسرين.

## الهوامش

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.
- (1) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفرريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط1، مادة(أول).
- (2) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مكتبة مصطفى البابلي الحلبي، القاهرة، ط2، 1317هـ/1925م، مادة(أل).
- (3) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1306هـ، مادة(أدو).
- (4) الكتاب لسبويه، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ/1988م، ج4، ص94.
- (5) المصدر السابق: ج4، ص91.
- (6) المصدر نفسه: ج3، ص273.
- (7) ينظر: الأصول في النحو، لابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1408هـ 1988م، ج3، ص151.
- (8) المفصل لجار الله الزمخشري، تح: علي بوملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1993م، ص112.
- (9) التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر، بيروت ط1، 1410هـ، ص64.
- (10) جامع الدروس العربية لمصطفى الغلايني، دار الشّرق العربي، ط1، 1427هـ/2006م، ج1، ص153.

- (11) ينظر: النحو الوافي، لعباس حسن، دار المعارف، القاهرة ط8، د.ت، ج3 ص272.
- (12) المفتاح في الصرف، لعبد القاهر الجرجاني، تح: علي توفيق الحمّد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ص61.
- (13) الشافية في علم التصريف، لجمال الدين أبي عمرو عثمان الدويني، تح: حسن أحمد العثمان، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط1، 1995م، ص31.
- (14) ينظر: الكتاب: ج4، ص94.
- (15) الأصول في النحو: ج3، ص151.
- (16) ما تلحن فيه العامة للكسائي، تح: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1402هـ، ص/114، ولسان العرب: مادة(شمل، ثقب، صدغ)، وينظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم أنيس ورفاقه، دار الفكر، بيروت، د. ط، ت، مادة(حسن) .
- (17) شرح شافية ابن الحاجب للرضي النحوي، تح: محمد نور الحسن، وزميلييه، دار الكتب العلمية، بيروت، 1402 هـ/1982 م، ج1، ص186.
- (18) همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للسيوطي، تح: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، بيروت، د- ط، 1421هـ/2001م، ج3، ص327.
- (19) ينظر: مجمع اللغة العربية م46، ج3/ص599.

- (20) بين الأصول والفروع في التغير الصوتي الصرفي، لأحمد الجندي، مجلة البحث العلمي، وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، العدد(4)، 1981م، ص: 125.
- (21) ينظر: المشتقات نظرة مقارنة، لإسماعيل أحمد عميرة، دار وائل النشر، عمان، د.ط، 2003، ص61.
- (22) البنية الصرفية لأسماء الآلة المستحدثة دراسة تحليلية تقويمية، منشورات مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر، 2011، ص157.
- (23) ينظر: تاج العروس، مادة(قلم)، وجامع الدروس العربية، ج، ص153، 154.
- (24) وتكرر أيضا في سورة يونس(الآية61)، وسورة لقمان(الآية16)، وسورة سبأ(الآية22، 3)، وسورة الزلزلة(الآية8،7).
- (25) النساء، (الآية40).
- (26) الأنبياء، (الآية47).
- (27) ينظر: القاموس المحيط، مادة(ثقل).
- (28) معاني القرآن الكريم لأبي جعفر النحاس، تح: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1، 1409هـ/1988م، ج2، ص88.
- (29) اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الدمشقي الحنبلي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ج10، ص364، وج13، ص584.

- (30) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، د. ط، 1997م، ج5، ص55، وج11، ص214.
- (31) وتكررت أيضا في: سورة البقرة، (الآيات 27، 63، 83، 84)، وسورة الرعد، (الآية 25)، وسورة الحديد (الآية 8).
- (32) النساء، (الآية 21).
- (33) المائدة، (الآية 7).
- (34) ينظر: جمهرة اللغة، لابن دريد، تح: رمزي منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م، مادة (وثق).
- (35) البقرة، (الآية 256).
- (36) يوسف، (الآية 66).
- (37) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لمحمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط4، 1405هـ/1985م، ج1، ص182، 211، 286.
- (38) التحرير والتنوير، ج21، ص274.
- (39) هود (الآية 84، 85).
- (40) ينظر: القاموس المحيط: (مادة وكل) .
- (41) ينظر: والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي، تح: عبد العظيم الشناوي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط، 1398هـ/1987م، مادة (كلت).

- (42) تهذيب اللغة لأزهري، تح: عبد السلام هارون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1384 هـ/1964م، مادة(كلى).
- (43) ينظر: مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، 1967م، مادة(كيل).
- (44) ينظر: المحيط في اللغة للصاحب بن عبّاد، تح: محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، د. ط، 1414هـ/1994م، مادة(ماد) .
- (45) ينظر: المعجم الوسيط، مادة(صَوَع) .
- (46) ينظر: القاموس المحيط، مادة(قنقل) .
- (47) ينظر: الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري، تح: حسام الدين القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ت، ص: 428 .
- (48) تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، تح: عادل عبدالموجود، وعلي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1413هـ/1993م، ج4، ص238.
- (49) اللباب في علوم الكتاب، ج9، ص211.
- (50) وتكررت أيضا في: سورة الأعراف، (الآية85)، وسورة هود، (الآية84، 85، والشورى، (الآية17)، وسورة الحديد، (الآية25).
- (51) الأنعام، (الآية152).
- (52) الرحمن، (الآية9،7).
- (53) ينظر: جمهرة اللغة، مادة(وزن)، واللسان مادة(وزن).
- (54) تفسير البحر المحيط: ج4، ص238 .

- (55) الأنبياء، (الآية 21).
- (56) القارعة، (الآية 6،8).
- (57) سبأ، (الآية 14).
- (58) ينظر: المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب، للسيوطي، تح: التهامي الراجي الهاشمي، مطبعة المحمدية، المغرب، د. ط، ت، ص 8.
- (59) ينظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تح: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج 2، ص 145.
- (60) تفسير السراج المنير، لمحمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط، ت، ج 3، ص 242.
- (61) اللباب في علوم الكتاب، ج 16، ص 31.
- (62) التحرير والتنوير، ج 22، ص 286.
- (63) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالويه، تح: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط 3، 1399هـ/1979م، ج 6، ص 11.
- (64) الكتاب، ج 3، ص 554.
- (65) وتكررت لفظة (لسان) أيضا في سورة المائدة، (الآية 78)، وسورة النحل، (الآية 103)، و(بِلِسَانٍ) في سورة إبراهيم، (الآية 4)، وسورة الشعراء، (الآية 195)، و(بِلِسَانِكَ) في سورة مريم، (الآية 97)، وسورة الدخان، (الآية 58)، و(لِسَانًا) في سورة القصص، (الآية 34)، وسورة الأحقاف، (الآية 12)، و(لِسَانِكَ) في سورة القيامة، (الآية 16)، و(لِسَانِي)

- في سورة طه، (الآية 27)، وسورة الشعراء، (الآية 13)، و(ولِسَانًا) في سورة البلد، (الآية 9).
- (66) مريم، (الآية 50).
- (67) الشعراء، (الآية 84).
- (68) ينظر: تاج العروس، مادة(قلم)، وجامع الدروس العربية، ج1، ص153، 154.
- (69) المائة، (الآية 78).
- (70) اللباب في علوم الكتاب، ج7، ص468.
- (71) ديوان حسان بن ثابت، تح: وليد عرفات، دار صادر، بيروت، د. ط، ص60.
- (72) ينظر: شرح المفصل للزمخشري، تح: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، ج1، ص45.
- (73) ديوان العجاج برواية الأصمعي، شرح عزة حسن، مكتبة دار الشرق، بيروت، د.ط، ت، ج2، ص41، ولسان العرب: مادة (لسن)، وتاج العروس (لسن).
- (74) تاج العروس(مادة لسن) .
- (75) المخصص، لابن سيده، تح: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م، ج1، ص132.
- (76) لسان العرب مادة:(لسن).



- (77) معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، مادة(لسن).
- (78) الشعراء، (الآية84).
- (79) ينظر: الخلاصة في علوم البلاغة لعلي بن نايف الشحود، د. ط، ت، ص40.
- (80) مختصر المعاني، لسعدالدين التفتازاني، دار الفكر، ط1، 1411هـ، ص209.
- (81) وتكرر أيضا بصيغة الجمع: (أَلْسِنَتُهُمْ) في سورة آل عمران، (الآية78)، و(أَلْسِنَتُكُمْ) في سورة النحل، (الآية 116)، و(أَلْسِنَتُهُمْ) في سورة النور، (الآية 24)، و(أَلْسِنَتُهُمْ)، وسورة النحل، (الآية62)، و(أَلْسِنَتِكُمْ) في سورة الروم، (الآية22)، و(بِأَلْسِنَتِكُمْ) في سورة النور، (الآية15)، و(بِأَلْسِنَتِهِمْ)، وسورة الفتح، (الآية 11)، و(أَلْسِنَتُهُمْ) في سورة الممتحنة، (الآية2).
- (82) النساء، (الآية46).
- (83) الأحزاب، (الآية19).
- (84) محمد، (الآية4).
- (85) الفجر، (الآية26،25).
- (86) ينظر: تفسير البحر المحيط: ج8، ص467، واللباب في علوم الكتاب: ج20، ص334.
- (87) مختار الصحاح: مادة(وثق).

- (88) كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي وآخرون، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، د. ط، 1982م، ج5، ص202.
- (89) المحيط في اللغة: مادة(وثق).
- (90) تاج العروس، مادة(وثق).
- (91) ينظر: روح المعاني:ج26، ص273.
- (92) التفسير البسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، 1430هـ، ج20، ص216.
- (93) ديوان امرئ القيس، تح: عبد الرحمن المصطوي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1425هـ/2004م، ص110.
- (94) تاج العروس، مادة(كر د س).
- (95) ينظر: المحيط في اللغة: مادة(قطر).
- (96) يوسف، (الآية72).
- (97) المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د. ط، 1420هـ/1999م، ج1، ص345.
- (98) ينظر: ينظر: إملاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات للعكبري، تح: إبراهيم عطوه عوض، المكتبة العلمية، لاهور، باكستان،

- د. ط، ت، ج2، ص56، واللباب في علوم الكتاب: ج11، ج162، وتاج العروس: مادة(صوع).
- (99) معاني القرآن وإعرابه، لأبي إسحاق الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408 هـ/1988م، ج3، ص120.
- (100) اللباب في علوم الكتاب: ج11، ص162.
- (101) الصحاح للجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط2، 1402هـ، مادة(صَوَع).
- (102) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- تح: أبو الحسن القشيري النيسابوري، ومحمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، ج1، ص258.
- (103) ينظر: تاج العروس، مادة(صوغ).
- (104) اللباب في علوم الكتاب: ج11، ص162.
- (105) الإنسان، (الآية15).
- (106) الغاشية، (الآية5).
- (107) تاج العروس: مادة(أنى).
- (108) الرحمن، (الآية44).
- (109) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي، تح: أحمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط1، 1406هـ، ج10، ص766.
- (110) ينظر: لسان العرب: مادة(صرح).
- (111) ينظر: المصدر نفسه: مادة(هطل).

- (112) ينظر: مختار الصحاح: مادة(عكك).
- (113)البقرة، (الآية248).
- (114) طه، (الآية39).
- (115) المحتسب:ج1، ص128، 129.
- (116) اللباب في علوم الكتاب:ج4، ص247.
- (117) إملاء ما من به الرحمن:ج1، ص104.
- (118) ينظر: اللباب في علوم الكتاب:ج4، ص247.
- (119) تاج العروس(مادة: تيب).
- (120) التحرير والتنوير:ج2، ص493 .
- (121) ينظر: المعجم الوسيط: ج2، ص728.
- (122) الأعراف، (الآية154).
- (123) التحرير والتنوير:ج2، ص493.
- (124) ينظر: المحيط في اللغة: مادة(تبّ).
- (125) ينظر: تهذيب اللغة(مادة ران).
- (126) ديوان طرفة بن العبد، تح: فوزي عطوي، ونشرته الشركة اللبنانية للكتاب، ط1969، 1م، ص:10، وجمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي، تح: علي البجاوي، دار صادر، بيروت، ت. ط، ت، ص: 14.
- (127)المدثر، (الآية8).
- (128) ينظر: المخصص: ج1، ص483.
- (129) لسان العرب: مادة: (نقر).

- (130) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان بن سعيد الحميري اليمني، تح: حسين بن عبد الله العمري، وآخران، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1، 1420 هـ/1999م، ج10، ص6720.
- (131) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1413 هـ/1993م، 5/364.
- (132) روح المعاني: ج29، ص187.
- (133) ينظر: التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، د. ط، ت، ج15، ص1287.
- (134) التحرير والتنوير: ج29، ص300، 301.
- (135) ينظر: تهذيب اللغة: مادة(نقر).
- (136) ينظر: النكت والعيون للماوردي، تح: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، ط1، 1412 هـ، ج6، ص138.
- (137) ينظر: التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمحمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، مكتبة الفجالة، القاهرة، ج15، ص176.
- (138) الماعون، (الآية5).
- (139) ينظر: الصحاح: مادة: (معن).
- (140) معاني القرآن للفراء: ج3، ص295.
- (141) ينظر: تهذيب اللغة: مادة(منع).
- (142) المصدر نفسه ومادته.

- (143) الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد الثعلبي  
النيسابوري، تح: أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي،  
بيروت، ط1، 1422هـ/2002م، ج10، ص305.
- (144) كتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، لابن خالويه، دار الكتب  
المصرية، د.ط، 1360هـ/1941م، ص/208.
- (145) مختار الصحاح (مادة: معن) .
- (146) السنن الكبرى، للنسائي، تح: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة،  
بيروت، ط1، 1421هـ/2001م، ج10، ص345.
- (147) شرح سنن أبي داود، لأبي محمد بدر الدين العيني، تح: خالد بن  
إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420هـ/1999م،  
ج6، ص411.
- (148) معاني القرآن للفراء: ج3، ص295.
- (149) مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى، تح: محمد فؤاد سزكين،  
مكتبة الخانجي، د.ط، 1988م، ج2، ص313.

## الأنا والآخر المفهوم والتأصيل

د. عبد الباسط المبروك الشبلي  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### مقدمة :

تشكل العلاقة بين الأنا والآخر جدلية قائمة في الحياة فليس هناك ( أنا ) من دون (آخر) وليس هناك آخر من دون أنا، فالإنسان بطبيعته كائن اجتماعي لا يمكنه أن يحيا من دون الآخر، وللآخر حضور دائم عند الأنا في جميع مراحل الحياة، ويؤكد علماء النفس ذلك، فإن حضور الآخر ليس شيئاً عارضاً، إلا أن الآخر في الوقت نفسه ليس شيئاً ثابتاً باستمرار، بل تتغير خصائصه بتغير الظروف والواقع والآخر مفهوم كلي يتسع مدلوله لغوياً لكل ما هو غير الذات، وغير الذات يشمل كل من له وجود باستثناء الذات المعينة، وعليه فإن الآخر بالنسبة إلى الإسلام هو كل الكون بمن فيه، بدءاً من الإنسان الذي يخالف الإسلام مروراً بسائر المخلوقات .

غير أن معنى الاستعمال الشائع للفظ الآخر يميل حصره في الآخر البشري لشخص معين أو مجتمع بشري معين أو ينتج مثل هذا المعنى الاستعمالي الشائع تحديد المعنى بعبارة أدق، يتكون الآخر هو الآخر من مختلف فئات البشر، وربما اختزله البعض في أكثر إلى الآخر غير المسلم، ومن خلال ذلك نجد أن تعريف الآخر وحصره في نطاق موحد قد يصعب، وذلك لأن مشارب الناس متفاوتة في النظر إلى الآخر فكل أمة تنظر إلى الآخر من زاوية ثقافتها وعاداتها الإشكالية المطروحة التي أردنا معالجتها

ما هو مفهوم الأنا والآخر لغة واصطلاحاً؟ وهل وجود الآخر ضروري للأنا؟ وما طبيعة الآخر؟ وما هي علاقة الأنا بالآخر؟ هل هي علاقة إيجابية أم سلبية؟ وهل علاقة الأنا بالآخر قائمة على أساس المودة والصادقة أم على أساس التغريب والإقصاء؟ هذه الأسئلة التي سنحاول الإجابة عنها في بحثنا .

وقد اتبعنا في معالجة هذه الإشكالية التاريخية المنهج التحليلي النقدي من خلال جدلية الأنا والآخر، وفي جميع الأحوال أنه يستحيل وجود الأنا من دون وجود الآخر، أو معرفة الواحد منها من دون معرفة الآخر حتى أصبح كل من هذه الثنائية عاملاً لمعرفة الآخر، فهما ذاتان منفصلتان ومتصلتان في الوقت نفسه .

أولاً- الأنا والآخر بين المفهومين اللغوي والاصطلاحي:

### 1- الأنا في اللغة:

ورد في لسان العرب إن كلمة (أنا) اسم مكنى وهو للمتكلم وحده، وإنما بني على الفتح فرقاً بينه وبين إن التي هي حرف ناصب للفعل أما الألف الأخيرة إنما هي لبيان الحركة في الوقف<sup>(1)</sup>، كما جاء في منجد اللغة والأدب والعلوم إن (أنا) ضمير رفع للمتكلم و الأناثة قولك أنا<sup>(2)</sup> .

أما الآخر فقد جاء في لسان العرب بمعنى غير، كقولك رجل آخر وثوب آخر أما في منجد اللغة و الأدب والعلوم فقد جاء بمعنى غير، آخر وأخریات ومن الكناية "أبعد الله الآخر" أي من غاب عنا وليس منا<sup>(3)</sup> .



## 2- مفهوم الأنا والآخر اصطلاحاً:

سوف نحاول أن نعرض لمفهوم هذين المصطلحين حتى نتمكن من صياغة حكم منهجي بشأنهما وبالرجوع إلى الدراسات الأولى التي اهتمت بهذين المصطلحين تحيلنا إلى العصر اليوناني فقد شغلت الذات الإنسانية بما فيه من غموض تنوع عدداً من المفكرين والفلاسفة اليونان<sup>(4)</sup>، وحتى حكماء الصين والهند في القرون الأولى<sup>(5)</sup> كما اهتمت الفلسفة العربية بالأنا فبدت كأنها تمفصل انطولوجي - ابستمولوجي معاً<sup>(6)</sup>، وهذا التبادل لها بين الوجودي والمعرفي يعود إلى طبيعة الثقافة العربية الإسلامية التي ما انفكت تبحث عن الأنا وتتعرف عليها وعلى طبيعتها من خلال وجودها وإدراكها المستمر لكونها حلقة في تطور الذات الإنسانية بوجه عام، بالإضافة إلى رؤاها حول طبيعة النفس كمفهوم مقابل للأنا في الاصطلاح الفلسفي، وفي العصر الحديث لقيت اهتماماً موسعاً في نطاق الفلسفة بصفة عامة ففي نظرية المعرفة ترجم مصطلح الذات بالماهية وهي الخصائص الذاتية لموضوع معين وتقابل الوجود ومنه التعبير الشائع الوجود والماهية<sup>(7)</sup>، باعتبار أن الكشف عن الأنا لا يأتي من خلال الآخر الحاضر باستمرار معها وفيها وهي علاقة من شأنها أن تنهض على افتراض الغيرية التي يتألف منها الوجود الإنساني المتضمن دوماً قطبين مختلفين، بل إن القضية ما فتئت تتوالد وتتعدد حتى صار من العسير تحديد صفة الآخريّة، في عصر يهدف إلى إلغاء الحدود الفاصلة بين الأنا والآخر واختزالها ضمن نطاق واحد هو الأنا الجمعية، بعد العمل على تدوير مقومات الأنا لصالح قيم الآخر الأمر

الذي يطرح العديد من مفارقات الهوية والانتماء بالنسبة إلى الأنا نتيجة شعورها الحاد بفقدان خصوصيتها في علاقتها الجدلية مع الآخر، كما أسهمت الفلسفة الوجودية بنصيب وافر في مناقشة هذا المصطلح انطلاقاً من قناعتها بأن السؤال عن الأنا هو سؤال عن الوجود، ويترتب عن ذلك القول بأن الوجود هو أولاً وجودي أنا، أنا الذات المتفردة<sup>(8)</sup>، أما ديكارت "1596م-1650م"، فقد حاول أن يجعل الأنا مجال المعرفة الجوهري فربط بين الأنا فكراً، والأنا موجوداً<sup>(9)</sup>، أما فيشته "1762م-1814م"، فقد ضمنها إلى فلسفة العلم حيث لا معرفة فوق إمكانية العقل أو خارجها معرفياً ووجودياً، وأصبحت الأنا المطلقة عنده هي مركز نظرية العلم<sup>(10)</sup> فكل هذه المقولات عكست مفهوم الأنا من منظور معرفي وآخر وجودي لكن وجودها هذا هو وجود في عالم ليس إياها، أي إنها موجودة، وقد ترتب عن هذا الوجود في أن صار من صفاتها الجوهرية إنها محاطة أو في حالة تعين مع الغير فليس ثمة ذات مفردة معطاة وحدها<sup>(11)</sup>.

ومنه نستنتج أن الآخر يأتي بمعنى صفة كل ما هو غير أنا، وفكرة الآخر بمعنى غير الأنا مقولة ابستمولوجية ملخصها الإقرار بوجود خارج الذات العارفة، أي كينونات موضوعية<sup>(12)</sup>.

أما الآخر عند هيدجر "1889م-1976م"، فهو مرتبط بالسقوط فهذا الآخر قد رمى به في هذا العالم، غير أنه لا يملك سوى التسليم به، وهذا السقوط قد يؤخذ على معنيين أحدهما إيجابي والآخر سلبي، أما كونه إيجابياً فلأن بغيره ما كان يمكن لوجودي أن يكتشف نفسه، ولولاه لظل وجودي في

إمكانات الوجود لا نهاية لها، أي أن سقوطي هو الذي حددني وبتحديدي تحقق وجودي العيني<sup>(13)</sup>.

فهيدجر يعنى بالسقوط هنا تواجده في هذا العالم مع الآخر الذي أدى إلى تحقيق كينونته ومعرفتها التي لا تتم بمعزل عن معرفة الآخر، فالآخر يدخل عنصراً مقوماً في صميم وجود الأنا وماهيتها، والأنا بذلك لا تكون إلا من خلال توقفها على الآخر، واستقلالها عنه في وقت واحد<sup>(14)</sup>.

غير أن ذلك الوجود هو وجود مع الآخر الذي قد يقلل من فرصها في ممارسة حياتها كما قد يحصر دائرة تميزها الفردي، ومن يفهم السقوط من جانبه السلبي، فإذا كان الآخر ضرورة حتمية فإنه في الوقت نفسه يمثل الخطر الذي يهددني، بل والموت المستور لإمكاناتي<sup>(15)</sup>، على اعتبار إن من شأن حرته أن تحد من درجة حررتي إلا أنه لا مناص من الوجود مع الناس<sup>(16)</sup>، كما يرى جان بول سارتر "1905م - 1980م".

وبالانتقال إلى المصطلح في الفكر العربي لا نستطيع أن نجد تعريفاً دقيقاً للأنا أو الآخر في الفكر العربي الإسلامي نظراً لاتساع دائرتيهما وغموض دلالتيهما، فالأنا قد تعني بلاد الشرق أو الإسلام أو بلدان العالم الثالث أو الفقير والمتخلف إلى آخر هذه التسميات سابقة الذكر، فهي دوائر متداخلة يصعب الفصل بينها أو حصرها ضمن مجال محدد، ولا تتم معرفة أنا آخر من دون اختزالهما، أي إن إحدى الإشكاليات التي تمنح القطبية الحادة لأنا ما ولآخر هي أن هذا الذي تطلق عليه الأنا آخر، غير واضح مثلها تماماً، ولا يوجد في سمة محددة بل يستحيل تحديده إلا بتشويبه

واختزاله (17)، وإذا اختزلنا دائرة الأنا فإننا نجدتها تصب في الاستخدام الشائع وهو الشرق في مقابل الغرب، فالآخر اعتبر الشرق مفهوماً يمثل نقيض الغرب وليس له حدود، بل يجوز أن يعني كل العالم الذي لا يدخل في دائرة الغرب، وداخل امتداده المباشر ولكنه اقتصر على الشرق الأكثر قرباً الذي كان ولا يزال يحتك به، وهذا الشرق يضم العالم العربي و إيران وتركيا (18) وإذا أردنا أن نضبط مصطلح الشرق فإن التاريخ يعود بنا إلى جذوره الأولى فقد كان مدلول هذا المصطلح يشمل سوريا ومصر وبلاد الرافدين، واتسع ليشمل بالإضافة إلى ما سبق الجزيرة العربية وفارس وتركيا، ثم امتد في مراحل لاحقة ليشمل الهند والصين واليابان وما إليها من بلدان آسيا، فلقد جعل الآخر لدى الغرب يأتي في مقابل الإسلام (19)، وهذه التسمية ليست ناتجة من خصائص اجتماعية أو بشرية أو اقتصادية بل هي سياسية غريبة رأسمالية تستقطب دولاً غير عربية وتستبعد دولاً عربية (20)، فتسمية الشرق انطلقت من معطيات جغرافية، وأريد بها غير ذلك، وقد يكون السبب في ذلك أن الذاكرة الأوروبية لا تريد أن تتخلى عن فكرة كون الوطن العربي ولاسيما شمال أفريقيا ومصر والشام، كانت في يوم من الأيام جزءاً من الامبرطورية الرومانية الشرقية (21)، وإذا كان إطار الأنا تكتشفه هذه الميوعة فإن الشأن نفسه بالنسبة إلى الآخر، فالغرب نفهم دلالاته من السياق، ويمكن أن يتحدد باعتباره البعد السياسي أو الجغرافي أو الاقتصادي، وهو قد يكون أوروبا أو الدولة المتقدمة عموماً، أو الآخر المختلف دينياً أو حضرياً، وهو كل هذا معاً، فالخلط شائع ولم يقع تحديد الحقول الدلالية لهذا المصطلح، وإنما وقع

التعامل مع الغرب باعتباره مسلمة لا تثير السؤال، وهو عادة نقيض للعرب ومقابل له<sup>(22)</sup>، وقد أكد ذلك الغربيون أنفسهم على لسان أحد باحثيهم بقوله: اعتدنا نحن الأوروبيون منذ مدة أن نطلق على مجموعة البلاد التي تنتمي إليها اسم الغرب ولم يعد هذا التغيير يعني وصفاً جغرافياً خالصاً، بقدر ما يعني كياناً ثقافياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً<sup>(23)</sup>.

وبذلك يكون الآخر مختلف عن الذات وهو غيرها ولاشك إن لفظة الآخر ليست جديدة على المعجم العربي، ولا على المعاجم الأخرى، بل هي قديمة قدم الوعي الإنساني باختلافه عن غيره، غير إن هذه اللفظة قد جرى عليها تغير وتطور دلالي حولها من مجرد لفظة إلى مصطلح في العلوم الإنسانية له دلالات خاصة ومحددة، وذلك ما حدث لكثير من المصطلحات و الألفاظ غير إن هذا التطور الدلالي لمعنى "الآخر" لم يحدث جراء تطور فكري في الثقافة العربية، وإنما الذي حدث إن مصطلح "آخر" في العربية هو ترجمة لمصطلح تنامي في بعض اللغات الأوروبية لاسيما الانجليزية والفرنسية<sup>(24)</sup>، وأصبح يراد بوصفه بنية لغوية رمزية ولا شعورية تساعد الذات على تحقيق وجودها ضمن علاقة جدلية بين الذات ومقابل لها هو من يطلق عليه "الآخر"<sup>(25)</sup> عند كثير من المفكرين والفلاسفة وعلماء النفس، والاجتماع وبالعودة إلى التعريف السابق وجدنا من الصعوبة بمكان فصل الآخر كمفهوم في تعريفه عن مفهوم الذات، وذلك إنهما دائرتان متداخلتان، وهذا التداخل راجع في أساسه إلى أن المفهومين يسهمان في تكوين بعضهما البعض، أي إن التداخل ناتج من طبيعة التخلق لكل منها، إنما يتوالدان لبعضهما البعض،

إذ إن هناك تلازم بين مفهوم صورة الذات ومفهوم صورة الآخر فاستخدام أي منهما يستدعي تلقائياً حضور الآخر، ويبدو أن هذا التلازم على المستوى المفاهيمي هو تعبير عن طبيعة الآلية التي يتم وفقاً لها تشكل كل منهما فصورتنا عن ذاتنا لا تكون بمعزل عن صورة الآخر لدينا، وكما إن كل صورة للآخر تعكس بمعنى ما صورة للذات<sup>(26)</sup> أي إن هناك انشفاقاً في صميم تلك الوحدة المتوهمة، إن "الأنا" ليست وحدة إلا ظاهرياً، إنها عميقاً تمزق وانشقاق، الآخر نفسه مقيم سلباً أو إيجابياً في قرارة الأنا لهذا الأفضل من دون وصل الأنا دون الآخر<sup>(27)</sup>.

ومما سبق يتضح إن مفهوم الآخر يبدأ بالتشكل تدريجياً لدى الإنسان سواء على مستوى الوعي أو اللاوعي منذ أن يبدأ الإنسان بالتعرف على ذاته، ويرى لا كان إن المرء لا يشكل كفرد من دون علاقة تربطه بالآخر، فالطفل حين يرى صوراً في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر بنوع من الأنا لكنه تدريجياً يدرك إن الصورة محض صورة خارجية بالنسبة إلى الذات ومن هنا يصبحان معاً فرداً مدركاً ومادة يدركها<sup>(28)</sup>، وهذه ما يسميها لاكان مرحلة المرآة، والآخر ليس مفهوماً فردياً فقط، إنه مفهوم جمعي أيضاً يبين صورة "الأنا" وصورة "الآخر" على المستوى الجمعي كما هو على المستوى الفردي، وأن هذا التلازم بين الصورتين قد أبرزته أعمال الفلاسفة وعلماء الاجتماع والنفس الذين اهتموا بالقضايا المتصلة بالأنا والآخر، وكانت أعمال "وليام جيمس" هي الأولى في هذا المجال حيث أسست في القرن التاسع عشر أول نظرة سيكولوجية للذات ثم طور جيمس مارك بعد

ذلك رؤية تفاعلية اهتم فيها بعلاقة الذات بالآخر، حيث شدد على إن الأنا والآخر مولودان معاً، وقد أسهم كل من تشالز كولي وهربرت في تأسيس النظرة الاجتماعية لمفهوم الأنا ومفهوم الآخر، فذهب كولي إلى أن الذات أو الأنا هي مركز شخصيتنا، و إنها لا تنمو ولا تفصح عن قدراتها إلا من خلال البيئة الاجتماعية، وأن الشعور بالأنا لا يبرز من دون أن يكون مصحوباً بذوات الآخرين<sup>(29)</sup>. إذن فالآخر هو الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي متحرك، ذلك أن الآخر لا يتحدد إلا بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات، وهذه النقطة المركزية ليست ثابتة بصورة مطلقة، فقد يتحدد الآخر بالقياس إلى كفرد أو إلى جماعة معينة قد تكون داخلية كالنساء بالقياس إلى الرجال والفقراء بالقياس إلى الأغنياء أو خارجية بالقياس إلى مجتمع بصورة أعم<sup>(30)</sup> كالبياض بالقياس إلى السواد أو العرب بالقياس إلى الغرب.

#### ثانياً- صورة الأنا والآخر في تعريف الواقع الإنساني:

قبل عرض صورة الأنا لدى الآخر يجدر بنا أن نشير إلى إن مفهومنا لمصطلح الآخر، هو الأرضية التي انطلقنا منها في تأسيسنا لهذه الصورة فقد ارتبط من يسمى آخر بمصطلح الغير الذي يدور حول المختلف كما يشير إلى علاقة ذات بذات أخرى، ويتماس مع فكرة ميشيل فوكو (1926-1984م) عن موقع الذات الخارجي أو الهامشي الذي لا سبيل أمامه لبلوغ مراكز السلطة، حيث يمثل المركز نقطة الأصل بمعايير ثابتة وقادرة على التحديد، فنكون واحدة من نتائجه قدرته على تبرير الإقصاء وعزل الآخرين، بسبب الانتماء العرقي أو العقيدي أو الديني أو الاجتماعي<sup>(31)</sup>.

ولعلها الأسباب نفسها التي قام عليها الفكر الغربي في إقصائه للآخر نتيجة فكرة مفادها: إن كل ما عدا الغرب عيب، وتعود بداية هذه الصورة التي رسمها الآخر إلى العصر اليوناني، ففي الأسطورة الإغريقية نجد أسطورة (نرسييس)<sup>(32)</sup> تكشف لنا إن الآخر هو الصورة التي تبحث فيها الأنا عن نفسها، ليس فقط كموضوع عشق وهيام، بل كذلك كمعلم للأنا من أجل بناء ذاتها و إعادة الثقة بها، إن الآخر يمثل دوماً هاجس الأنا فهو المختلف الذي تسعى نحوه الأنا للاستحواذ عليه ونفيه، فالآخر هو الطرف المركزي في لعبة المرايا التي استهوت نرسييس إلى أن أودت به فالآخر إذن بقدر ما يكون موضوع حب يكون أصلاً للسقوط.

إن آلية النفي هي الأساس الانطولوجي والمحرك الداخلي لتاريخ الفكر الأوروبي منذ بدايته، ففي الفلسفة اليونانية لم يستطع "بارمنيدس" الكلام عن الوجود إلا من خلال طرح اللاوجود ولا الحديث عن المنتاهي إلا من خلال اللا منتاهي، ثم أتى تلميذه "زينون الأيلي" "490 ق م - 430 ق م" ليؤكد أن كل نفي أثبات تحديداً، حيث قسم (أرسطو) "384 ق م - 322 ق م" العالم إلى إغريق وبرابرة، أو بعبارة أخرى إلى أحرار بالطبيعة وعبيد بالطبيعة<sup>(33)</sup>، هذا التصنيف الذي يحرر الذات في حين يجعل من الآخر عبداً بالفطرة أدى إلى الحط من قيمة الآخر وإشعاره بالدونية من دون التمييز بين جنس وآخر، فلقد كان اليونانيون يزدرون الأجانب ولكنهم كانوا يزدرون كل الأجانب بالتساوي وبصرف النظر عن الجنس، إذ كانوا يشعرون بأن الأجانب ينقصهم الاستقلال والحيوية اللذان تقدمهما الثقافة اليونانية، ومن ثم



فهم يضعون الصينيين واليابانيين والشرقيين في مستوى دون الإنسانية<sup>(34)</sup>، وإذا كان التعصب العرقي اليوناني أساس الصورة التي رسمها الآخر للأنا، فإن التعصب الثقافي ساهم هو كذلك في تأكيد التفوق الإغريقي وفضله على الحضارة الغربية الحديثة، مقابل عجز الآخر عن الارتقاء إلى مستوى العلم والفلسفة والسبب في ذلك يرجع إلى افتقار العبقورية لدى شعوب المنطقة أو إلى أوضاع اجتماعية، ولعل العاملين معاً لهما دورهما بلا شك<sup>(35)</sup>.

وبذلك تأثر أرسطو بالمفاهيم السائدة في عصره ألا وهي إن الآلهة قد خلقت اليونانيين من مادة نورانية خاصة، في حين خلقت غيرهم من مواد خسيصة، لذلك فقد اعتبر بأن غير اليوناني يعاني القصور العقلي والعضلي، على خلاف اليوناني الذي يتمتع بالكمال في الجانبين، ناهيك على مناخ وجغرافية اليونان بموقعها الممتاز الذي يساعد على الإبداع في مختلف العلوم والفنون، علماً إن هذه الفكرة ظهرت في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث وضع مفكر يوناني قديم تابع للمدرسة الايبوقراطية مقالة عن تأثير الجو والمناخ والموقع الجغرافي إلى جانب تنوع التضاريس والتربة والنبات في طبائع السكان ونشاطهم، كما ربط بين حركة السكان وتأثير العوامل الطبيعية المذكورة في تكوين خصائص الشعوب الأجنبية المعروفة لدى الإغريق في ذلك الوقت، فقد اعتقد هذا المفكر أن تربة اليونان وهواءها وموقعها المتميز لهم أثر إيجابي على الشعب اليوناني، وانعكس على إنتاجه الفكري والاقتصادي وتقدمه الحضاري، لذلك فقد شاع استخدام مصطلح الآخر الذي أطلق في بداية الأمر على غير اليونان بهدف التمييز بين

اليوناني المتحضر وغيره المتخلف، فحتى إن كانت الأنا هي الأصل ونقطة بدء الفكر باعتبارها الأنا المفكرة، كما يقول ديكرت نجد إن الآخر يقف دائماً أمام هذه الأنا، ويعترض حريتها، فهو موضوعها وهاجسها الوحيد، بل شرط تعرفها على ذاتها، أن الآخر هو المرجع الأصلي للأنا المفكرة لأنه رجعها وصداهها، فالأنا تلقي بأضوائها الفكر على الآخر وفي اعتراض الآخر على هذه الأضواء تنشأ الظلال الخفية للمعرفة، وهنا تبدأ كل أسئلة الفلسفة: هل المعرفة مجرد ظل للحقيقة كما تساءل أفلاطون (427-347)، وهل الآخر شرط ظهور الأنا أم بالعكس لا وجود لأحدهما، من دون الآخر ومن ثم يكون كل واقع هو واقع جدلي.

إن هذا الواقع الانطولوجي للآخر، باعتباره يشخص الواقع تشخيصاً جدلياً هو ما جعل مشكلة الآخر ترتبط جوهرياً بتاريخ الفكر الديني والفلسفي، فالخطاب العلمي لم يبدأ في اليونان إلا مع إشكالية الوجود الذي قام به أفلاطون حينما أقر اللاوجود الفراغ، وخلص الوجود من خطاب الواحدية في فلسفة "بارمينيدس" الذي يمتنع معه قيام أي خطاب، فالآخر هو قوة السلب التي تحرك الصيرورة في الوجود وتمكن الفكر من إقامة كل خطاب حول الوجود، ومن ثم تحريك عجلة التاريخ، مثلما أن قصة السقوط التي تدور حول فكرة الآخر هي بداية التاريخ في منظور الخطاب الديني.

وفي العصور الوسطى المسيحية لم تتعرف إلى نفسها إلا من خلال وضعها الإسلام كخصم وعدو وبانتشار الدين الإسلامي على الإمبراطورية الرومانية التي أصبحت تهدد الغرب المسيحي بالانقراض والتقصم والبقاء في

حدوده الضيقة، وهذا الواقع الجديد يكرس بقوة الشرخ الثقافي بين الشرق والغرب لدرجة إن اللاوعي الأوروبي لم يتحرر في يوم من الأيام، من خلال التحدي الحضاري الذي فرضه العرب على أوروبا في العصر الوسيط<sup>(36)</sup>، وقبل المواجهة كان من الطبيعي أن تكون هناك حملة فكرية تحريضية ضد الإسلام وأن يكون لهذا الدين المناوئون الذين يشوهون مبادئه ويحملون عليه كي تسهل مهمة الغزو الأوروبي للشرق<sup>(37)</sup>، مما لاشك فيه إن كل فيلسوف لديه تصور معين لمسار التاريخ والحضارة وهو تصور مرتبط بنظريته، سواء أكان هذا التصور دينياً أم فلسفياً، وفي حقيقة الأمر بدأ خطاب نهاية التاريخ مع أفلاطون الذي يرى إن الحقيقة هي تنكر للأصل "العالم المعقول" وبالتالي التاريخ هو عودة الإنسان إلى هذا العالم عن طريق تحقيق الجمهورية المثالية، كما إن التصور المسيحي للتاريخ والذي نظر له القديس أوغسطين "354-450م" لا يختلف عنه في شي إلا إذا استبدل مدينة الله بالجمهورية المثالية، وداخل هذا التصور الجدلي للتاريخ تتحدد علاقة الأنا بالآخر باعتبار إن الآخر هو دائماً من سكان المدن الناقصة في مقابل المدينة المثالية، أو مدينة الله، وبهذا يكون شرط العودة إلى الكمال هو محاربة هذه المدن وإلغاء الآخر من أجل القضاء على النقص والشر في العالم. إن إلغاء الآخر بمحو اختلافه هو النتيجة الحتمية لكل تصور ديني أو ميتافيزيقي هو التاريخ<sup>(38)</sup>، فكل خطاب الغيرية في فلسفة التاريخ والحضارة لا يأخذ في حساباته حق الاختلاف الانطولوجي يسقط في نوعية من المانوية الثقافية لأنه يقسم العالم إلى عالم النور وعالم الظلام، عالم الخير وعالم الشر .

إن صورة الآخر في خيال الأنا يصبح من المنظور هو المعيار النقدي للحكم على مدى التمرکز الذاتي (المركزية)، والحق إن الميتافيزيقا الغربية من أفلاطون إلى هيجل "1770-1831م" هي كلها خطاب حول المركزية الأوروبية كما يقول سمير أمين : لأنها تصور العالم باعتباره مركزاً وأطرافاً حيث الآخر يمثل سكان الأطراف غير الأوروبيين الذي يتوجب عليه التبعية الثقافية الاقتصادية والسياسية فهذه الصورة في عمومها لا تخرج عن دائرة العداء التي تغذت به المخيلة الأوروبية، والذي ساهم في تأصيل رؤية غربية عدائية للإسلام والمسلمين فيما بعد، و لا تزال هذه الرؤية قائمة إلى الوقت الحاضر بالرغم مما اتسمت به العلاقة بين الشرق والغرب من إيجابية، ذلك إن الغربيين أنفسهم، اقتبسوا من الحضارة العربية الإسلامية فتعلموا منها وأفادوا مما كان يساعدهم في بناء حضارتهم التي ابتدأت نهضتها منذ قريب من أربعة قرون، فأخذوا مثلاً بالأرقام العربية وكاستفادتهم من كتب الطب العربي وخصوصاً كتب ابن رشد وابن سينا<sup>(39)</sup> .

وكل هذه المبادلات العلمية غابت عن الذاكرة الأوروبية ولم تبق إلا صوراً سلبية ونظرات قذحية للعربي والمسلم في حين أنه إيان هذا الاحتكاك لم يكن الموت أو التدمير هو الذي ميز الصراع بين ضفتي المتوسط بل كان العلم العربي الذي أعطى وهجاً حضارياً للثقافة العربية الإسلامية في ذلك الوقت ومصدراً أساسياً للنخب الأوروبية منه استمدوا مقومات سلطتهم العلمية اللاحقة<sup>(40)</sup>، وما هذا إلا محاولة منهم لطمس الجوانب المشرقة في التراث الإسلامي، إنه منطق الرؤية الحضارية الغربية المشوهة، الذي يكشف مظهراً

من مظاهر العقل الغربي في إعادة صياغة الآخر القائم على فلسفة التمرکز حول الذات والتي تعطي الحق في إلغاء كل ما هو ضدي للغرب. لقد استعادت الذاكرة الغربية في نظرتها إلى الآخر - ما قاله العقل الإغريقي لتتشيء صورة رسخت عبر جهد علمي ومنهجي كبير تمثل في الاستشراق على أن الهدف من وراء هذه الدراسات هو السعي إلى معرفة الأنا من خلال وعي الآخر فيكون الكشف عن مميزاتها الخاصة، لذلك فالغربي، عندما يدرس الآخر، فهو يعيد إنتاج نفسه عبر إخضاع الآخر لمنهجيات العلوم الإنسانية التي تُعدّ المحصلة التركيبية العليا والأخيرة لتلك الميتافيزيقا الإنسانية ذاتها التي تقود المشروع الثقافي الغربي<sup>(41)</sup>، فالغرب في هذه الفترة بدأ كحضارة تؤسس ذاتها بالخروج عليها والاعتراف بالاختلاف، ذلك إن الفضول المعرفي الأوروبي في هذه الفترة والرغبة في الاطلاع على اختلافات الآخرين أصبح انشغالاً للدولة واهتماماً جدياً، لأن اختلاف الآخر عنصر يعضد ويحمي الهوية سياسياً واجتماعياً وثقافياً من جهة ويفرض على هذه الهوية أن تنظر جيداً إلى ذاتها من جهة ثانية<sup>(42)</sup>، ولو عدنا إلى طبيعة المحددات التي تشكل الهوية الغربية نجدها تقوم في تفوقها على غيرها منذ العصر الإغريقي إلى اليوم على التميز في مكونين: تفوق الشعب "العرق" وتفوق الثقافة "الحضارة" وباندماج هذين المكونين بفعل التاريخ بدأ الوعي الغربي يكشف عن نفسه ليتقدم إلى الآخر متمركزاً حول ذاته عرقياً وثقافياً<sup>(43)</sup>، فلم يأت المستشرقون إذن إلا ليلبوا رغبة دفينة تراكمت عبر التاريخ لإظهار صورة محددة للشرق تطابق ما تشكل من صور له في

المخيال الغربي<sup>(44)</sup>، والتي تؤكد صورة التفوق الغربي مقابل صورة التخلف الشرقي على أن المستشرقين لم يستطيعوا التخلص من الصور التي أوجدتها العصور الوسطى عن الإسلام، وهكذا ذهبوا إلى إن الحضارة الغربية لا تدين بفضل في تكوينها وماهيتها إلا لليونان والرومان، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن الحضارات الأخرى مدينة لها بكل ما هو أصيل وجوهري<sup>(45)</sup> بما فيها الحضارة العربية الإسلامية، وهكذا نجد إن الاستشراق في عمومه قد ألحق أكبر الضرر بالشرق العربي، ذلك أنه لم يعد مجرد وسيلة ترى فيها الأنا الغرب نفسها من خلال الآخر الشرق، بقدر ما أصبح يمثل مرجعية يرى فيها المستشرق نفسه، وهذا التأثير الكبير الذي خلقته الصورة على الطرفين، على الرغم من أن الاستشراق أصبح يمثل تركة للماضي القريب أكثر من كونه مشروعاً حياً يأخذ على عاتقه هذه التركة ويطورها<sup>(46)</sup>.

ويبقى القول : إن التقابل الوارد في الاستشراق بين أوروبا و الإسلام، بين الغرب والعالم الإسلامي، وأحياناً بين المسيحية و الإسلام أو بين التقدم والتخلف، ليس تقابلاً عفويّاً، بل هو تقابل مقصود يكشف عن التمايز بين الأنا والآخر إلى حد التنافر والتناقض والتضاد<sup>(47)</sup>.

إن آلية النفي هي الأساس الانطولوجي والمحرك الداخلي لتاريخ الفكر الأوروبي منذ بدايته، وصولاً إلى العصر الحديث، وبهذا يدشن ديكارت مرحلة وحدانية الذات، أنا وحدي موجود حيث كل ذات تُعدّ ذاتها حقيقة مكتفية بذاتها، وتملك يقين وجودها بشكل فردي عبر آلية التفكير، فالإنسان يعي ذاته من دون الحاجة إلى واسطة الغير حتى ولو كان هذا الغير مشابهاً

لي، والذات في التصور الديكارتي منعزلة عزلة مطلقة لا تثبت غيرها ولا تحتاج إلى أحد أن يثبتها. لكن إلى أي مدى ستبقى الذات تعيش في الاستقلال البطولي عن الآخرين، أليست الذات في حاجة إلى الآخر لإثبات ذاتها؟ ألا يمكن الحديث عن الذات الجماعية بدل الذات الفردية، الحديث عن نحن بدل الحديث عن الأنا؟.

ففي نظرية المعرفة ترجم مصطلح الذات بالماهية، وهي الخصائص الذاتية لموضوع معين وتقابل الوجود، ومنه التعبير الشائع الوجود والماهية<sup>(48)</sup> كما أسهمت الفلسفة الوجودية بنصيب وافر في مناقشة هذا المصطلح انطلاقاً من قناعتها بأن السؤال عن الأنا هو سؤال عن الوجود، ويترتب على ذلك القول بأن الوجود هو أولاً وجودي أنا، أنا الذات المنفردة<sup>(49)</sup>، أما ديكارت فقد حاول أن يجعل الأنا مجال المعرفة الجوهري، فربط بين الأنا فكراً والأنا وجوداً ليصل إلى نتيجة أنا أفكر إذن أنا موجود فكراً<sup>(50)</sup>.

وبالتالي لا يمكن الأنا أن تعيش في غنى عن الغير، وبالانتقال إلى الفيلسوف الألماني هيغل (1770-1831م) يعدّ الوعي أساس وجود الذات والآخر، ولقد ظهر الإنسان مع ظهور الوعي و الإدراك والعمل، ويتكون هذا الوعي من خلال العلاقات الجدلية الموجودة بين الفكر والواقع وبين الذات والآخر وبين الأنا والموضوع، ويعني هذا أن الإنسان يدرك وجوده وقيمه من خلال وجود الآخر أو الغير باعتباره وسيطاً ضرورياً للذات، ومن الأدلة القاطعة على ضرورة الغير بالنسبة إلى الأنا لدى هيغل نظرية السيد والعبد،

فكل من السيد والعبد يحاول تحقيق وجوده وحياته وحريته عن طريق الصراع الجدلي والمخاطرة لتفادي الموت والاندثار، فالسيد لا يمكن أن يحافظ على مكانته الاجتماعية والمصيرية إلا بالصراع مع العبد والانتصار عليه، والصراع الجدلي هو السبيل الوحيد لتحقيق الوعي والوجود الحقيقي للذات، ولا يتأتى هذا الوجود إلا عبر الصراع مع الآخر، ومن ثم فوجود العبد مقترن بوجود السيد<sup>(51)</sup>.

فالوجود الإنساني إذن هو وجود مع الآخر، بل وجود لأجل الآخر كما يقول جون بول سارتر "1905-1980م" ومن ثم فالعلاقة بين الأنا والغير ليست إيجابية، بل هي علاقة سلبية قائمة على الصراع الجدلي القائم على مخاطرة الحياة والموت، و لا يمكن لأي واحد منهما أن يحافظ على حياته وبقائه إلا عبر الصراع الجدلي الذي يعطينا في الأخير منتصراً و منهزماً، لأن الغير يتدخل كثيراً في حياة الأنا ويعرف مجموعة من التفاصيل الدقيقة عن الذات المرصودة من قبل الغير أو الآخر، لذا قال سارتر في كتابه "الوجود والعدم" قولته المشهورة أنا والآخرين إلى الجحيم، ومن هنا، فالمعرفة بين الأنا والغير مستحيلة وغير ممكنة، وهي مبنية على العدوان والصراع على الرغم من كون الغير وسيطاً ضرورياً للأنا على مستوى المعرفة و الإدراك .

### ثالثاً- صورة الآخر لدى الأنا:

أول ما نسجله حول هذه الصورة هو الاختلاف في المنطلق، فإذا كان الغرب قد أنشأ مفهوم الشرق بعيداً عن معطيات الواقع والتاريخ كما ذكر ذلك



إدوارد سعيد فإن الشرق في إنشائه لمفهوم الغرب كان أقل ابتعاداً عن إحدائيات الواقع وأقل ابتعاداً عن وقائع التاريخ و أكثر موضوعية من شطحات بعض الرحالة الأوربيين<sup>(52)</sup>، والدليل على ذلك أنه إذ اكان الغرب قد رأى في الشرق ما أراد أن يراه، شرق ألف ليلة وليلة، بصخب الأسواق والتصرفات الجنونية الساذجة والألوان الفاتنة، فإنه من جهة حاول أن يقدم نفسه قوة حضارة، وحادثة والآخرين رأوا فيه ما أراد هو أن يروه فيه<sup>(53)</sup>، وقد تباينت الأحكام على الآخر انطلاقاً من الصور التي رسمت له .

لقد ظهر الغرب بصورة الحداثة والتمدن فهو مصدر الحقيقة والآخر تبع له، ومن ثم وجب اللحاق بالحضارة الغربية، لأن كل ثقافات العالم ما هي إلا نتاج موسع لثقافة الغرب فكانت الدعوة التي تبني على كل ما تنتجه هذه الحضارة والدخول في العصر، وكل ثقافة لا تلحق بالعصر تنزوي في أقبية التاريخ، هناك ثقافة عالمية واحدة، ثقافة العلم والتكنولوجيا، ثقافة المدنية والعمران<sup>(54)</sup>.

لكن الذي حدث هو إن هذا الانفتاح غير المضبوط قد تحول إلى عملية استلاب وتقليد أعمى ذلك إن هؤلاء بدعوتهم إلى تبني الثقافة الغربية لأنها ثقافة إنسانية تناسوا أن الثقافة بطبيعتها خاصة تعبر عن شعب ووطن وتاريخ، والثقافة العالمية وهم من صنع أجهزة الإعلام أو من واقع السيطرة عليها، هي ثقافة المركز وليست ثقافة المحيط، الثقافة الأوربية وليست ثقافة الشعوب في إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية، ومن ثم تنزوي الخصوصيات لصالح ثقافة واحدة، هي الثقافة الغربية، ثقافة المركز، وتنشأ ظواهر التخريب

في ثقافات المحيط<sup>(55)</sup>، فالحضارة الغربية في أصلها تتنافى وثقافتنا العربية الإسلامية، لذلك وجد من يحذرنا من أسس الحضارة الغربية وأصولها المنحرفة، ويدعوننا إلى أن يقتصر اقتباسنا منها على أحوج الحاجات وفي أضيق الحدود العملية و التقنية، من دون النظرية والقيمة الأخلاقية<sup>(56)</sup>.

ومع تصاعد الخطاب الاستعماري الأوربي الذي كشف نواياه الحقيقية في الاستبداد والاستيلاء على الأرض العربية، وبعد التغلب عليه من طرف الأنا تغيرت صورته بالنسبة إليها التي أدركت أن أوروبا ليست الأقوى بالفطرة، وإنما ذلك وهم ترسخ في نفوس المسلمين عن طريق فرض أوروبا نفسها على أنها مركز الكون، وإنها المرجعية الأساسية لتحديد أهمية كل شي وقيمه، وإحالة العرب والمسلمين إلى الهامش لا يكتسب قيمة في ذاته إلا إذا انخرط في محاكاة الآخر الغربي والسير على خطاه<sup>(57)</sup>.

إذا كنا قد رأينا في العنصر السابق أن الاستشراق لم يعد مشروعاً حياً، كما أن إمكانية ظهور استشراق جديد تظل محدودة للغاية، لأن الباحث الأوربي تراكم عنده تاريخه الخاص وعنصريته الدفينة، وعصره الإمبريالي وتفوقه العلمي<sup>(58)</sup>، فإن الذي بدأ هو ذلك التبادل في الأدوار بين الأنا والآخر تجلى في علم يقف دون تحقيق أهداف الاستشراق اقترحه حسن حنفي وهو ما يسمى بالاستغراب في كتابه مقدمة في علم الاستغراب والذي يهدف بالدرجة الأولى إلى دراسة الآخر وتوضح الصورة التي أضحي عليها هذا الآخر بتمييزه بين حضارة الأنا الإسلامية وحضارة الآخر الغربية، والخلاف بينهما هو خلاف بين طبيعيتين، فحضارة الغرب كما يقول -

حضارة ذات طبيعة طردية أي نشأت بالطرد المستمر من المركز ورفضاً له، وكتطور صرف، وهو تطور صرف من دون بناء، ولا توجد ماهية مسبقة له كما هو الحال في الوعي الإسلامي<sup>(59)</sup>، وهو إذ يميز بين الحضارتين العربية - الإسلامية والغربية يحاول أن ينفى الفكرة القائلة بأن، الثقافة الغربية ثقافة عالمية وأنها الحضارة الممثلة للحضارات البشرية جميعاً فهي ليست إلا فكرياً بيئياً محضاً نشأ في ظروف معينة من تاريخ الغرب، وهو نفسه صدى لهذه الظروف<sup>(60)</sup>، ولعل هذه الفكرة هي المهمة والأساسية التي ينصرف إليها الاستغراب فهدفه بالدرجة الأولى هو أن يغير صورة الآخر عندما يقوض أسطورة كون الغرب ممثلاً للإنسانية جمعاء، وأن أوروبا مركز النقل فيه، وأن تاريخ العالم هو تاريخ الغرب، وتاريخ الإنسانية هو تاريخ الغرب، وتاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلسفة الغربية<sup>(61)</sup>، والتحرر من هيمنة الحضارة الغربية هو السبيل الوحيد لتحقيق الإبداع الذاتي والنهضة الشاملة، فطالما أن الغرب قابع في قلب كل منا كمصدر للمعرفة وإطار مرجعي يحال إليه كل شيء للفهم والتقييم سنظل قاصرين، وفي حاجة إلى أوصياء<sup>(62)</sup>، ولعله الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه الآخر.

#### الخاتمة:

مما تقدم عرضه من أفكار يتضح وبجلاء أن الفكر اليوناني الذي أثبتت رؤيته للعالم على ثنائية الإنسان والطبيعة باعتبار الإنسان مركز الكون، ومقياس الأشياء، وهذا قد يكفي هنا التنكير بأن الفلسفة الأوروبية الحديثة هي أساساً فلسفة الذات أو الأنا وهكذا إن الصورة التي يرى العقل الأوروبي

العالم والمحيط من خلالها وبواسطتها صورة تهيمن فيها علاقة أساسية هي علاقة الأنا والآخر، لا علاقة آخر بآخر، وهنا لا بد من الإشارة متعلقة بالعقل الغربي، وهي التوجس الشديد من خطر التفهقر والأفول، وربما يكون المثال الواضح على ذلك كتاب "شبنجر" عن أقوال الغرب والعشرينيات من هذا القرن كان مبعثه عما إذا كانت الأنا المتمثلة في الحضارة الغربية محكوم عليها شأنها في ذلك شأن مما سبقها من حضارات بالزوال و الأفول، وقد يرجع هذا الإحساس بالتوجس والخطر من الغرب إلى التاريخ الأوروبي، حيث كانت أوروبا ممراً لغزوات مستمرة منذ أكثر من ألف عام، وهكذا غلب على الأوروبيين الإحساس بتعرضهم المستمر للخطر من الآخر، ومن ثم الحاجة إلى تميزهم واختلافهم عن الآخرين، وأخيراً نجحوا في فرض سيطرتهم على حضارات كانت تهدد وجودهم في الماضي، ومن هنا كانت ظاهرة القلق والتوجس من زوال هذه الذاتية والتميز، وبطبيعة الحال الخوف من فقد السيطرة أيضاً فانطلق الآخر في تشكيل صور للأنا من رؤى مشوهة وحقائق مقلوبة عمد إليها حتى يتمكن من فرض ثقافة السيطرة والاكتماس دون هوادة بعدما أعطى الحق لنفسه في نفي الآخر، ومن ثم بدأ متمركزاً حول ذاته مستبعداً الأنا متخذاً موقفاً منغلقاً تجاهها .

### الهوامش

- 1- ابن منظور، لسان العرب، مجلد 1، دار الجبل لبنان، ط 1988، ص 19 .
- 2- المصدر السابق، ص 29 .
- 3- لويس معلوف، المنجد في اللغة و الإعلام، دار المشرق والمكتبة الشرقية، لبنان ط 1991، ص 19 .
- 4- ميشيل فوكو، الانهماج بالذات، ترجمة جورج أبو صالح، مركز الإنماء العربي، لبنان، ط 1992، ص 32-33 .
- 5- والاس دلابين، برت جرين، مفهوم الذات أسسه النظرية والتطبيقية، ترجمة فوزي بهلول، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 1979، ص 8 .
- 6- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ج 1، المؤسسة العربية، مصر ط 1984، ص 114-117 .
- 7- عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي، ابن الفارض أنموذجاً، دار الحوار، سوريا ط 1، 2005، ص 199 .
- 8- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، مصر، 1983، ص 87 .
- 9- عباس يوسف الحداد، الأنا في الشعر الصوفي، ص 192 .
- 10- المرجع نفسه، ص 192 .
- 11- عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، النهضة المصرية، ط 2، 1966م، ص 19 .

- 12- عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، ص 13 .
- 13- عبد الرحمن بدوي، دراسات في الفلسفة الوجودية، ص 85-86 .
- 14- محمود رجب، المرأة والفلسفة، حوليات كلية الآداب، الحولية الثانية، جامعة الكويت، 1981، ص 7 .
- 15- جان بول سارتر، الوجود والعدم، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار العودة، لبنان، ط3، بدون تاريخ، ص 3 .
- 16- المصدر نفسه، ص 3 .
- 17- علاء عبد الهادي، شعرية الهوية، نقض فكرة الأصل الأنا بوصفها أنا أخرى مجلة عالم الفكر عدداً مجلد 36، الكويت سبتمبر 2007، ص 321 .
- 18- محمد نور الدين أفاية، المتخيل والتواصل ( مفارقات العرب والغرب ) دار المنتخب العربي لبنان، 1993، ص 95-96 .
- 19- محمد عابد الجابري، الغرب و الإسلام، مجلة العربي، عدد 503، الكويت أكتوبر 2000، ص 9، 8 .
- 20- محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1971، ص 3 .
- 21- المرجع نفسه، ص 37 .
- 22- الزهرة بلحاج، الغرب في فكر هشام شرابي، دار الفارابي، بيروت ط1، 2004، ص 14 .
- 23- محمد راتب الحلاق، نحن والآخر، ص 4 .

- 24- سعد اليازعي : الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف بيروت، المركز الثقافي العربي، 2008م، ص32 .
- 25- المرجع نفسه ص34 .
- 26- فتحي أبو العينين : صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1999، ص812.
- 27- أدو نيس : الثابت والمتحول بحث في الإبداع والإبداع عند العرب ج1، بيروت دار الساقى، ط7، 1994 م، ص27 .
- 28- سعيد اليازعي وميخان الرويلي، دليل النقاد الأدبي، بيروت المركز الثقافي العربي ط3، 2002م، ص231 .
- 29- فتحي أبو العينين : صورة الذات وصورة الآخر في الخطاب الروائي العربي، ص812 .
- 30- نادر كاظم : تمثيلات الآخر صورة السود في المتخيل العربي الوسيط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2004م، ص20 .
- 31- جامبل سارة : قاموس روتلج النقدي للبنىوية وما بعد البنوية، ترجمة أحمد الشامي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2002، ص256 .
- 32- نرسيس هو بطل الأسطورة اليونانية الشهيرة بجماله وشهامته إلى حد جعله يعشق ذاته ويهيم بها وحينما رأى صورته في البئر وأراد تقبيلها سقط في البئر. ينظر، كتاب المثلوجيا الحية، فكتور سالس، ترجمة نبيل سلامه، دار نوافذ للدراسات والنشر 2011.

- 33- أرسطو طاليس، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية، 1979، ص94-103 .
- 34- كافين رايلي : الغرب والعالم، ترجمة عبد الوهاب المسيري، وهدي حجازي، سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة الكويت، 1986، ص101 .
- 35- برتراند راسل : حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، ج1 سلسلة عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، 1983، ص22-23 .
- 36- نور الدين أفاية : المتخيل والتواصل (مفارقات العرب والغرب)، ص96-99 .
- 37- سالم المعوش : صورة الغرب في الرواية العربية، الرحاب الحديثة لبنان ط1، 1998، ص74 .
- 38- عبد الله إبراهيم : المركزية الأوروبية، المركز الثقافي العربي، لبنان، 1995، ص63 .
- 39- عبد الملك مرتاض : الإسلام والقضايا المعاصرة، دار هومة الجزائر، 2003م، ص96 .
- 40- نور الدين أفاية : المتخيل والتواصل، ص100-101 .
- 41- ميشل فوكو : الكلمات والأشياء، ترجمة مطاع الصفدي و آخرون، مركز الإنماء القومي، لبنان، 1990، ص7 .
- 42- نور الدين أفاية : المتخيل والتواصل، ص105



- 43- عبد الله إبراهيم : الثقافة العربية، المرجعيات المستعارة، المركز الثقافي العربي، لبنان، ص186 .
- 44- المرجع نفسه، ص182 .
- 45- المرجع نفسه، ص184 .
- 46- سالم حميش : في معرفة الآخر، دار الحوار، سوريا، ط2، 2003، ص107 .
- 47- محمد راتب الحلاق : نحن والآخر، ص13 .
- 48- مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطالع الأميرية مصر، ط1، 1983، ص87 .
- 49- عبد الرحمن بدوي : دراسات في فلسفة الوجودية، النهضة المصرية، مصر ط2، 1966، ص19 .
- 50- نجيب بلدي : ديكارت، سلسلة نوابع الفكر الغربي، دار المعارف مصر ط2، 1968، ص200 .
- 51- هيجل : فينو منيولوجيا الروح، ترجمة هيوليت أويبيية ج1، 1977، ص158-161 .
- 52- محمد راتب الحلاق : نحن والآخر، ص13 .
- 53- المرجع نفسه، ص13 .
- 54- سالم حميش، في معرفة الآخر، ص8 .
- 55- حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، الفكر العربي المعاصر، ج2 دار قباء، مصر، 1998، ص475 .

- 56- المرجع نفسه، ص 459 .
- 57- الزهرة بلحاج، الغرب في فكر هشام شرابي، دار الفارابي، لبنان، 1998، ص 84 .
- 58- سالم حميش، في معرفة الآخر، ص 108 .
- 59- أحمد عبد الحلیم عطية، جدل الأنا والآخر، قراءات نقدية في فكر حسن حنفي 63- مقدمة في علم الاستغراب، المطبعة الفنية، مصر، ط1، 1990، ص 19 .
- 60- المرجع نفسه، ص 37 .
- 61- عبد الله إبراهيم، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ص 187-188 .
- 62- حسن حنفي، هموم الفكر والوطن، ص 34 .

## الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد

د. سالم حسين العادي

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### المقدمة:

البحث في الفكر السياسي الأمريكي، لا بد أن يشكل أهمية كبيرة بالنسبة للمجتمع الإنساني، علي الرغم من أن جذور هذا الفكر ليست بالبعيدة كما هو الحال في الفكر السياسي الأوروبي، إلا أنه استطاع أن يثبت جدارته في الساحة الفكرية العالمية بوصفه فكرا عالميا، فقد كانت الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر في بداية وعيها بإمكانياتها الثقافية بعد زمن الحرب الأهلية، حيث كان النشاط الفلسفي الأمريكي لحقبة طويلة من الزمن مجرد إنعاش للتأثيرات الأوروبية.

لقد تجسد فكر المحافظين الجدد في السياسة الأمريكية بمثابة فلسفة براغماتية عاشتها الولايات المتحدة الأمريكية لكي تبني عليها الفكر السياسي والاستراتيجي، وعاملا مهما في بناء الامبراطورية الأمريكية المعاصرة، ذلك الفكر الذي عبر عن واقع المجتمع الأمريكي الجديد الذي صنعه الإنسان.

### أهمية الدراسة:

تكمن أهمية دراسة الفكر البراغماتي للسياسة الأمريكية ممثلة في فكر المحافظين الجدد، من كونه يبحث في واحدة من الأفكار الرئيسية للفكر السياسي الليبرالي فقد أثر تأثيرا مهما في صياغة الثقافة الأمريكية والأطروحة الأمريكية المعاصرة، ليس على صعيد السياسة الداخلية فقط،

وإنما الأهم من ذلك على صعيد السياسة الخارجية والعلاقات الدولية ورسم مصلحتها القومية العليا، لأن الفكر الأمريكي قائم على مرتكزين ( المادي والبراغماتي)، ومن هنا تكمن أهمية البحث في هذا الفكر. كذلك تكمن الأهمية في الطريقة التي وظفت فيها الولايات المتحدة الأمريكية هذا الفكر في سياستها المعاصرة لتحقيق مصلحتها القومية العليا وانفرادها في الصدارة العالمية.

### منهج الدراسة:

اقتضت المنهجية العلمية في هذه الدراسة الاعتماد على مناهج أساسية لتحقق القيمة العلمية المرجوة وهي المنهج التاريخي الذي اعتمد بشكل كبير في طرح الأفكار السياسية للمحافظين الجدد، وكذا المنهج التحليلي كون الأفكار تتطلب التحليل الفلسفي والربط فيما بينها.

### 1- مرحلة التأسيس والآباء المؤسسون:

إن دراسة مشروع الهيمنة الأمريكي على العالم أجمع ومنطقتنا العربية خاصة لا يمكن فهمه دون معرفة الأسس الثقافية والأيدولوجية التي قامت عليها الفلسفة السياسية لما أصبح يعرف اليوم بالمحافظين الجدد، هذه الفلسفة التي جعلت طلائع القوات الأمريكية تبدأ عملها خارج أراضي الولايات المتحدة منذ مطلع القرن السابع عشر، هي ذاتها التي تمارسها اليوم الإدارة الأمريكية بعد أن غدت القطب الواحد الذي يريد تقرير مصير المجتمع البشري وفق فلسفته السياسية التي أسسها متشددون من أصول بروتستانية

أطلق عليهم (الآباء المؤسسون) للهيمنة على المنظمات الدولية لفرض فلسفتها السياسية ذات البعد الأيديولوجي<sup>(1)</sup>.

ومن خلال دراسة هذه الفلسفة سنجد أنها تقوم على عاملين أساسيين وضعهما الآباء المؤسسون، ولو حللنا هذين العاملين لتبين لنا أنها ذاتها التي تسير وفقها الإدارة الأمريكية الحالية، وإن كان الشكل يختلف من حين لآخر وهذان الأساسان هما:

### أولاً- الأصول البروتستانتية:

نشأت عقلية الجماعة الأولى التي جاءت إلى أمريكا الشمالية دينياً من خلال المفهوم البروتستانتي للمسيحية<sup>(2)</sup>، الذي يرى أنه لا يمكن فهم المسيحية إلا بالعودة إلى التوراة سواء في العلاقة مع الكنيسة أو فهم الدور اليهودي عالمياً<sup>(3)</sup>.

وهذا عكس الكاثوليكية التي ترى أن الكنيسة هي القناة التي تصل الإنسان بالرب، وأن الأمة اليهودية انتهى دورها الديني إليها بمجيء المسيح، وأن الله عاقبهم على نكثهم بالمواثيق التي أخذها عليهم وعلى دورهم في صلب المسيح<sup>(4)</sup>، أما الفهم البروتستانتي الذي أسسه "مارتن لوثر كينج"<sup>(\*)</sup> فيقوم على إلغاء دور الكنيسة في علاقة الإنسان بربه، ومن ثم إلغاء صكوك الغفران التي شبهها مارتن لوثر بصك العبودية، وأنه لا يمكن فهم المسيحية إلا بالعودة إلى التوراة، وهذا يعني أن الفكر الديني البروتستانتي قائم على الإيمان العميق بنبوءات التورات "رؤيا يوحنا اللاهوتي"<sup>(5)</sup>، التي من ضمنها أن اليهود هم شعب الله المختار، وأن المسيح سيعود إلى الأرض وإلى

فلسطين تحديداً، ليحكم العالم مدة ألف عام تقوم بعدها القيامة، وهذه العودة لن تتم إلا إذا تحققت ثلاث نبوءات توراتية.

**الأولى:** قيام دولة بني إسرائيل في فلسطين وقد قامت منذ عام 1948، الثانية، احتلال القدس وقد احتلت عام 1967، الثالثة: بناء الهيكل مكان "المسجد الأقصى" وهم يعملون مع الصهاينة على تحقيق هذه النبوءة من خلال الاعتقاد التوراتي في فهم العقيدة المسيحية البروتستانتية<sup>(6)</sup>، وبعد اكتمال هذه الرؤية سنقع معركة "هرمجدون"<sup>(\*\*)</sup> التي يظهر المسيح فوقها مباشرة، بعد أن يباد الكفار، وهرمجدون هذه تقع في سهل مجدو بين القدس وعكا حيث يشير الإنجلييون المتهودون بأن معركة نووية وكيميائية ستحصل على أرضها، وكان "رونالد ريغن" الرئيس الأسبق للولايات المتحدة من أشد المتحمسين والداعمين لهذه الرؤية وله فيها أحاديث عديدة ومسجلة<sup>(7)</sup>.

ومن ثم فقد تشكلت العقلية الأمريكية على اعتبار أن اليهود شعب الله المختار، وبالتالي تغيرت النظرة إلى فلسطين، وأصبح دعم اليهود لتحقيق هذه النبوءة واجبا دينيا، يجب أن يعمل الأمريكيون البروتستانت من أجله، وعندما نفهم البعد الديني لهذه الفلسفة تصبح صورة علاقة الولايات المتحدة بالكيان الصهيوني أكثر وضوحاً.

### **ثانياً- البراغماتية العمياء:**

إن من أسس الولايات المتحدة ينظر إلى مصلحته الشخصية ومصالح الجماعة التي خرجت مضطهدة من أوروبا على أنها شيء مقدس، وبالتالي يجب أن تكون مصلحة هذه الجماعة وأمنها وأهدافها مأخوذة بعين الاعتبار

لدى كل من يقودها، وستكون نعمة الرب معنا حتى يصبح نجمنا ساطعا في أرجاء من العالم<sup>(8)</sup>.

ففي عام 1898 ألقى السيناتور "ألبرت بفريدج" خطاباً يعدونه من المبادئ الأساسية التي يجب أن توضع بعين الاعتبار في الفلسفة السياسية الأمريكية، أطلق على هذا الخطاب اسم "مسيرة الرؤية" حيث يتلخص هذا الخطاب في أن التوسع الاقتصادي هو استراتيجية أمريكية لذلك يجب فتح أسواق جديدة للتجارة الأمريكية في العالم، فهو يرى أن التجارة الدولية يجب أن تستحوذ على النصيب الأعظم منها، وأن تقوم بغزو البحار والسيطرة على التجارة البحرية من خلال تملك أسطول ضخم يتناسب مع قوتنا وطموحتنا، فهناك مستعمرات كبيرة تحكم نفسها ويمكنها أن تتغلب على مراكبنا، لذا يجب أن نضع نصب أعيننا ضرورة السيطرة على الطرق التجارية<sup>(9)</sup>.

وهذا ما تؤكدته وجهة نظر "ريتشارد هاس" من أن الولايات المتحدة الأمريكية ستظل على المدى البعيد هي السيد الفعال دائم الحضور في عملية التحول العالمي<sup>(10)</sup>.

يقول "ألبرت بفريدج" "يجب أن يرفرف العلم الأمريكي على العديد من مناطق العالم من خلال وصول تجارتنا إلى هذه المناطق، يجب أن تعمم مؤسساتنا على وصول القانون الأمريكي والعلم الأمريكي والنظام الأمريكي والحضارة الأمريكية إلى هذه المناطق والطرق التجارية في العالم وقد يكون ذلك بصورة دموية<sup>(11)</sup>".

واليوم نشاهد القوة العسكرية الأمريكية تقوم بهدم البنية التحتية للبلاد التي تحتلها الولايات المتحدة، وبعد الاحتلال تدخل الشركات الأمريكية لبنائها، فتتحقق أرباحاً كبيرة تتعش من خلالها الاقتصاد الأمريكي، وتجعل عجلته تدور، من ثم تصبح هذه البلاد المحتلة سوقاً جديدة لمنتجات الشركات الأمريكية وقد أكد هذا المبدأ البراغماتي "جورج واشنطن" الأب الأكبر للفلسفة السياسية عندما قال "يجب أن نعدّ أي تحالف مع أية دولة مؤقتاً إلا إذا كان هذا التحالف مفيداً لمصالحنا، وإذا أصبح هذا التحالف عبئاً علينا فمن الواجب تركه وإحلال تحالف جديد مكانه، حتى ولو كان صاحبه عدو الأُمس"<sup>(12)</sup>.

فهناك اعتقاد ديني راسخ عند معظم الإدارات التي تعاقبت على حكم الولايات المتحدة، إن لم نقل كلها، بأن اليهود هم أكثر شعوب الأرض حاجة للحماية والرعاية لأنهم شعب الله المختار، ويعتقد كثير من الزعماء الذين حكموا الولايات المتحدة أن حب اليهود ورعايتهم وحمائتهم يؤدي إلى رضا الله عنهم، وأما كرههم وعدم رعايتهم يوجب غضب الله، كما يؤمنون بأن الإمبراطوريات السابقة التي سقطت واندثرت بسبب ظلمها للشعب اليهودي<sup>(13)</sup>، والتأثير اليهودي في الفلسفة السياسية الأمريكية بدأ مع السنوات الأولى التي شكلت الولايات المتحدة، وكان تعلم العبرية آنذاك واجباً دينياً في المدارس والجامعات الأمريكية، لذلك لا نستغرب بأن تكون أول شهادة دكتوراه منحتها جامعة هارفارد الأمريكية في عام 1642 كانت بعنوان: "العبرية هي اللغة الأم" وليس مصادفة أن يكون أول كتاب يطبع في أمريكا



هو "سفر المزامير" وأما المجلة الأولى التي تأسست في أمريكا هي مجلة يهودية اسمها "مجلة اليهودي" والولايات المتحدة هي أول دولة مارست الضغط على بريطانيا لفتح باب هجرة اليهود إلى فلسطين من دون تحديد مكان وذلك في عهد "روزفلت" ومن قبله "ويلسون"<sup>(14)</sup>.

## 2- المبادئ التي تقوم عليها الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد: أولاً - القوة:

القوة في الفلسفة السياسية الأمريكية هي أقصر الطرق لتحقيق الأهداف الأمريكية، فأية مشكلة تواجه السياسة الخارجية الأمريكية تفكر فوراً بالقوة لحلها، وازدادت القناعة في هذا المبدأ بعد انهيار الاتحاد السوفيتي<sup>(15)</sup>، وتفردتها كقوة عظمى بالعالم، فلو تدبرنا التاريخ الأمريكي لوجدنا أن كل رئيس لا بد أن يخوض في ولاياته الرئاسية حرباً أو أكثر، وأصبح لهذا المبدأ فلاسفته ومشروعه، ويُعدّ "هنري ويجر" أحد المنظرين الأوائل لهذا المبدأ، وكان يعد من أشهر منتقدي دعاة اللاعنف في السياسة الأمريكية، كما كان يسبغ على فلسفة القوة طابعاً دينياً، فيقول "الكتاب المقدس لم يمنع الحرب بل أننا نجد في التوراة إن الحرب مأمور بها المسيح حيث أنه عاش في عصر الحرب ولم يمنعها"<sup>(16)</sup>.

وأكد على هذا المبدأ كذلك إمام المحافظين "الكسندر هاملتون" عندما قال: إن القوة هي التي تملي شروط العلاقة بين أمريكا والعالم، وتحت مسببات مختلفة وذرائع شتى تستخدم الإدارة الأمريكية القوة لتحقيق فلسفتها السياسية،

فباسم الإرهاب الذي لم تحدد له تعريفاً تحتل بلادا وباسم الديمقراطية تطيح بأنظمة، وباسم حقوق الإنسان والأقليات تعتقل دولاً<sup>(17)</sup>.

### ثانياً- الجمهورية الإلهية:

المجموعة التي انتصرت في حرب الاستقلال والحرب الأهلية الأمريكية قامت فلسطينها السياسية على عقيدة دينية بروتستانية هذه العقيدة شكلت شيئاً فشيئاً أهدافاً محددة، عملت على تحقيق الاستراتيجية الأمريكية فيما بعد، منها الاعتقاد بأن المجتمع الأمريكي مجتمع متفوق ومتميز على كل مجتمعات العالم<sup>(18)</sup>، ويحق له ما لا يحق لغيره لأنه تم اختياره إلهياً، لتشكيل جمهورية إلهية على غرار دولة إسرائيل، وبالتالي أعطتهم هذه العقيدة وصايا إلهية على الشعوب الأخرى فقد مارس الأمريكيون الأوائل هذه الوصاية في أمريكا الوسطى والجنوبية، ثم توسعوا بعد الحرب العالمية الثانية في آسيا، وعادوا لممارستها عالمياً بشكل سافر بعد إفراد إمبراطوريتهم بالعالم إثر انهيار الاتحاد السوفيتي<sup>(19)</sup>، ذلك إن هذه الفلسفة تقوم على ضرورة توسيع حدود الولايات المتحدة، حتى لو اضطرت لسلب أراضي جيرانها لتصبح الجمهورية الإلهية قادرة على استيعاب صفوة العقول البشرية التي تهاجر إليها، لتقديم خدماتها لشعب الله المختار الجديد (فنتم شراء مقاطعة لويزيانا من نابليون فرنسا عام 1803<sup>(20)</sup> ثم ألاسكا واستعمروا نصف المكسيك وضموها إليهم)<sup>(21)</sup>.

وعلى ذلك بقيت فكرة الجمهورية الإلهية المتميزة مسيطرة على عقليّة صاحب القرار الأمريكي من جورج واشنطن حتى إدارة بوش الصغير لذلك

يقول دون خجل، "إن العناية الإلهية اختارته لمحاربة الإرهابيين، وأنه يشن حرباً باسم السماء، وأن الله اختار الشعب الأمريكي للقيام بهذا الدور، ووصل به الأمر "بوش الصغير" إلى أنه أدعى بأن الله زاره في بيته وألهمه شن الحرب على العراق"<sup>(22)</sup>.

يؤكد فلاسفة السياسة الأمريكية على الترابط بين مبدأي القوة والجمهورية الإلهية، حيث قال السيناتور "هارت بنتون" في خطاب له أمام مجلس الشيوخ عام 1846، إن قدر أمريكا هو الغزو والتوسع فهل مثل عصا موسى التي صارت أفعى وابتلعت كل ما يلقى، هكذا ستغزو أمريكا الأراضي وتضمها إليها أرضاً بعد أرض ذلك هو قدرها الإلهي<sup>(23)</sup>.

كذلك نرى بأن فلسفة الاستعداد للتدخل في شئون الآخر بلغ ذروته في عهد الرئيس الأسبق جون كيندي في كلمات شهيرة وذلك عندما قال: "إن الولايات المتحدة الأمريكية مستعدة لتحمل أي عبء ودفع أي ثمن"<sup>(24)</sup>.

على هذا التوصيف تبدو أمريكا كمرآة مكتملة بالمفارقات لا منطق للعالم من دونها، أو من دون أن يكون له بها صلة الربط والاشتراط والإصغاء، يريد لاهوتها السياسي أن يمنحها مطلق الشرعية، وهي تمضي إلى تكوين العالم الجديد على صورتها<sup>(25)</sup>، كأن تكون على حق في أن تجمع المتفرق، وتفرق المجتمع، ثم تستأنف الجمع والفرقة حيثما شاءت لها عقيدة القضاء والقدر، فكما رأينا وطبقاً لرؤاها السياسية التأسيسية إن الفلسفة السياسية الأمريكية لم تفصل بين الديني والقومي، ولا بين أمريكا وباقي العالم<sup>(26)</sup>.

### 3- المحافظون الجدد:

تعود جذور حركة المحافظين الجدد إلى تقليد اتبعه الرئيس الأمريكي السابق "جون كيندي" أثناء سنوات حكمه، حين قام بتعيين مجموعة من الأساتذة المنتمية ليسار الوسط من جامعة هارفارد على وجه التحديد، في مناصب إدارية واستعان بهم في رسم السياسات، وقد تم اختيارهم وفقاً لنظرية "الأفضل والأكثر نكاه"<sup>(27)</sup>.

إلا أنه لم يبرز نجمهم إلا بعد مرور ثلاثة عقود، وذلك حينما تولى "رونالد ريجان" حكم الولايات المتحدة، حيث وجد المحافظون الجدد في هذه الشخصية السياسية ما يتوافق مع نهجهم السياسي فقد كان ريجان يتحدث بلغتهم عن شرور الشيوعية وإمبراطورية الشر (الاتحاد السوفيتي آنذاك) ومن ثم لم يجد المحافظون الجدد صعوبة تذكر في مساندته والتصويت له والعمل في إدارته التي فتحت أبوابه أمامهم<sup>(28)</sup>، ولذا لم يكن من الغريب أن يملؤا المناصب الشاغرة في الإدارة الريجانية حتى يسهل عليهم حيازة النفوذ الأكبر في الفلسفة السياسية الأمريكية.

فحركة المحافظين الجدد هي تجسيد لتيار فكري سياسي يعتنقه مجموعة من الكتاب والإعلاميين والسياسيين والأكاديميين داخل الولايات المتحدة، وعلى الرغم من صغر حجم تلك المجموعة إلا أنها مجموعة مؤثرة ونافذة للغاية<sup>(29)</sup>، ولكن ما هي مرجعيتهم؟

### أولاً- المرجعية الفلسفية للمحافظين الجدد:

لابد لكل حركة سياسية من مرجعية فكرية أو فلسفية ترسم الأطر العامة لحركتها، والمحافظون الجدد لهم منظومة فلسفية ترسم الأطر العامة لحركتهم في المجال السياسي. ويرجع المحافظون الجدد في أفكارهم إلى المفكر الأمريكي الألماني الأصل "ليوستراوس"<sup>(\*)</sup> والذي غادر ألمانيا إلى بريطانيا مع وصول هتلر للسلطة، ثم غادر بريطانيا إلى فرنسا، التي غادرها في عام 1938 إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أقام في نيويورك، ودرس في معهد للبحوث الاجتماعية بها، ثم استقر في مدينة شيكاغو، ودرس في جامعتها من 1939-1967 وأسس هناك "رابطة الفكر الاجتماعي"<sup>(30)</sup>.

بدأ ستراوس نشاطه بمئة من طلبة الدكتوراه الذين تتلمذوا على يده ثم حملوا فلسفته، وقد أصبحت هذه الرابطة فيما بعد نواة لمذهب فكري يعرف بـ(الستراوسية) والذي يقوم على خدمته ونشره سبعة وسبعين من تلامذته، كذلك وجدت هذه الأفكار لها صدى عند مجموعة من اليساريين والليبراليين المنشقين على الحزب الديمقراطي، من أمثال (إيرفينج كريستول، نورمان بودرهورتز، وميج ديكر، وناثان كلزير، دانييل بيل، جيمس ويلسون، سيمور مارتن ليبسيت)<sup>(31)</sup>.

فقد تركزت أفكار ستراوس على الاعتقاد بأن الأمة الأمريكية صاحبة رسالة خيرة يجب إيصالها إلى غيرها من المجتمعات، وأن الولايات المتحدة يجب أن تتبوأ مكانة متفردة تعكس وضع التفوق وتتناسب مع إسهاماتها على

الساحة الدولية، وأن تحقيق ذلك يقتضى المواجهة الحاسمة ضد القوى المناوئة، واعتماد مبدأ القوة المفرطة لكبح الميول العدائية لدى الآخرين<sup>(32)</sup>. ومن الجدير بالذكر أن اسم المحافظين الجدد "Neo-conservatives" لم يكن في البداية إلا لقب أطلق عليهم من قبل الليبراليين الأمريكيين من قبيل السخرية والنيل من قيمتهم الفكرية، ويرجع ذلك إلى أنه على الرغم من أن كل توجهات وأفكار اتباع المحافظين الجدد هي توجهات يمينية متشددة تتقارب بشكل كبير مع التوجهات المحافظة، إلا أن أنصار ستراوس قد ادعوا الليبرالية وأطلقوا على أفكارهم أو حركتهم اسم الليبرالية الستراوسية<sup>(33)</sup>. وقد دفع هذا بالليبراليين إلى إطلاق اسم أو وصف المحافظين الجدد على أنصار ستراوس حتى يمكن تمييزهم عن القوى التي تمثل اليمين المحافظ التقليدي، وفي نفس الوقت كان إطلاق الليبراليين وصف أو اسم المحافظين الجدد على الستراوسيين هو نوع من ضدد دعاوى الستراوسيين وتجريدتهم من الصفة الليبرالية التي يدعونها أو يرفعونها<sup>(34)</sup>.

أما عن الأساس الأيديولوجي للحركة فيقول "ستيفان هالبر" و"هونشان كلارك" مؤلفاً كتاب "أمريكا وحدها" إن حركة المحافظين الجدد قد تبنت منذ صعودها على سطح الأحداث في عهد "ريجان" مبدأ مستمداً من الفكر الليبرالي (نسبة إلى الزعيم الشيوعي فلاديمير لينين) الذي يقول: "إن السيطرة على المستقبل لا تتحقق إلا من خلال الاستحواذ على الماضي"<sup>(35)</sup>، لذا نجد المحافظين الجدد يعملون على تحقيق هذا المبدأ ونشر أيديولوجيتهم بشتى الوسائل والجهود عبر تواجدهم في الإعلام<sup>(\*)</sup> والتدريس الجامعي.

وتماشيا مع ذلك فقد تفادى المحافظون الجدد ما وقع فيه الليبراليون من أخطاء تتمثل في طرح أجندة واسعة القضايا لا تتيح معها لأحد المجال للتركيز، أما هم فقد ركزوا طرحهم على عدد القضايا الرئيسة التي يمكن استيعابها أو تأييدها مع ربط تلك الأهداف دائما بما يروق للأمريكيين من ماضيهم<sup>(36)</sup>.

بالإضافة إلى أن تنظيرات الفيلسوف "ستراوس" المستندة على مبدأ الكذب النبيل إذ أن الفضيلة الأخلاقية لا توجد وهو ما يعنى إطلاق الأكاذيب وسريانها في العامة أملاً في خداعها وتضليلها، ذلك أن نخبة صغيرة فقط هي المؤهلة ذهنياً لبلوغ الحقيقة<sup>(37)</sup>، كل ذلك انطلاقاً من إيمان راسخ بالديمقراطية الأمريكية والقيم الأمريكية التي كانت في رؤيته بحاجة ملحّة إلى الدفاع عنها من قبل نخبة عميقة الثقافة للحيلولة دون انزلاقها<sup>(38)</sup>.

وعلى الرغم من عملنية أفكار "ستراوس" وتناقضها مع المعتقدات السائدة لدى التيارات والمذاهب المسيحية المتواجدة على الساحة إلا أن ذلك لم يمنعه من القول بإمكانية الاستفادة أو الاستغلال حيال العاطفة الدينية لدى الأفراد للتحكم أو في توجيه سلوكهم<sup>(39)</sup>.

**ويمكن إيجاز أفكار الفيلسوف "ستراوس" في النقاط التالية:**

1. رفض دعاوى الحداثة التي انطوت عليها بعض الأفكار الاجتماعية.
2. الإيمان بالريادة والرسالة الأمريكية، والدعوة إلى تدعيم نفوذ ومكانة الولايات المتحدة<sup>(40)</sup>.

3. الاعتقاد بأن القوة هي الوسيلة الوحيدة لكبح النزعات العدائية وتهذيب السلوك البشري.
4. الاعتقاد بأن الديمقراطية الأمريكية أقل النظم سواء، وأن الدين أمر مفيد لاستمرار تضليل الأغلبية<sup>(41)</sup>.
5. ضرورة استخدام شتى الوسائل الكفيلة لتحقيق القوة والتفوق في شتى المجالات بما فيها الوسائل التي قد تتضمن الخداع.
6. إمكانية توظيف النوازع الدينية لمخاطبة الجموع لكن في الوقت نفسه ينبغي أن تتأى النخب الحاكمة بنفسها عن تلك المؤثرات الدينية<sup>(42)</sup>.  
إذن تلك هي أفكار الأب الروحي لحركة المحافظين الجدد ولكن ما هي أفكارهم أو خصائصهم؟  
لقد حدد "رون بول"<sup>(43)</sup>، عضو الكونجرس في خطاب له للكونجرس في 15 يوليو 2003 أهم خصائص فكر أعضاء حركة المحافظين الجدد على النحو الآتي:
  1. يتفق المحافظون الجدد مع "تروتسكي" على أن الثورة دائمة، وقد تستخدم فيها القوة أو الوسائل الفكرية.
  2. يطالبون بإعادة خريطة الشرق الأوسط، وهم على استعداد لاستخدام القوة لتحقيق ذلك.
  3. يؤمنون بالحرب الوقائية لتحقيق النتائج المطلوبة.
  4. هدفهم هو تدعيم قيادة أمريكا للعالم وكذلك تشكيل قرن جديد لصالح القيم الأمريكية والمصالح الأمريكية<sup>(44)</sup>.



5. نادوا بفكرة الاختراق ليجعلوا من أمريكا كينونة ضدية معادية للعالم حتى تتبدى في الأفق ملامح إمبراطورية جديدة تصبح وريثة للإمبراطورية الأمريكية<sup>(45)</sup>.
6. يؤمنون بأن الكذب أمر ضروري لكي تحيا الدولة<sup>(46)</sup>.
7. ينظرون إلى أمن إسرائيل كما ينظرون إلى أمن الولايات المتحدة نفسها<sup>(47)</sup>.
8. استخدام القوة الأمريكية لفرض المثل والقيم الأمريكية هو أمر مقبول، وأن القوة لا يجب أن تكون قاصرة على الدفاع عن أمن البلاد فقط<sup>(48)</sup>.
9. يؤمنون بأن الإمبريالية إذا كانت تقدمية بطبيعتها فهي أمر جيد.
10. يرون أن الحقائق المهمة حول كيفية إدارة المجتمع لا بد أن تظل بيد النخبة الحاكمة، وإخفاؤها عن أولئك الذين ليست لديهم الشجاعة للتعامل معها<sup>(49)</sup>.

#### ثانياً- رؤى المحافظين الجدد:

من خلال الكتابات المتعددة التي تناولت أفكار المحافظين الجدد يمكن الخروج بعدة محاور أساسية تركز حولها أفكار وممارسات المحافظين الجدد وهي: القيادة والرسالية، فكرة الصراع بين الخير والشر، القوة والأحادية، الحرب الدائمة تولد الاستقرار، ونأتي الآن على شرح اثنتين منهما بشيء من الإيجاز:

## 1- القيادة والرسالية:

هناك اعتقاد سائد لدى أوساط المحافظين الجدد مفاده أن لأمريكا دورا تاريخياً كقائدة للعالم الخير وحامية له، وناشرة للديمقراطية والحرية عبر العالم<sup>(50)</sup>، فهي أمة مخلصه أي أنها الأمة الأولى المعدة إعدادا كاملا لتحقيق الخلاص الحقيقي للتاريخ البشري<sup>(51)</sup>، وأن على الأمريكيين القبول بهذا الدور وتحمل تكلفته مهما كانت، لذا يرفض المحافظون الجدد فكرة عزلة أمريكا أو تراجع دورها الدولي، فقد كتب "بول ولفوفيتز" وثيقة خطة الدفاع إبان حرب الخليج الأولى قال فيها "ضرورية أن توجه السياسة الخارجية الأمريكية مستقبلا نحو توديع (أي إزاحة) كل المنافسين المحتملين لأمريكا وإبعادهم عن المسرح العالمي، لا بد أن تفرض أمريكا نفسها كقوة عالمية وحيدة قادرة على الدفاع عن مصالح الأمم المتقدمة صناعيا، ولا بد أن تركز نفسها عسكريا ودبلوماسياً لإعاقه أي منافسين محتملين كي لا يطمعوا للقيام بأي دور أكبر على الصعيدين الإقليمي والعالمي"<sup>(52)</sup>.

ففي الشأن الخارجي يدعو الاتجاه المحافظ الجديد إلى تكريس سياسة القبضة الحديدية، واستخدام التفوق العسكري الأمريكي الكاسح لحماية المصالح العليا للولايات المتحدة الأمريكية التي تتماشى مع انتشار وتحقيق قيمها الحضارية والاجتماعية<sup>(53)</sup>.

ومن ثم فإنهم يرون أن رغبة بعض الأمريكيين في العزلة هي رغبة أنانية وتحمل من المخاطر الكثير، وقد استند المحافظون الجدد إلى حوادث التاريخ للتدليل على ذلك خاصة الفترة الممتدة من الحرب العالمية الأولى وحتى

الحرب العالمية الثانية، وهي الفترة التي شهدت الكساد الكبير وصعود النازية، فقد ولدت تلك الفترة لديهم قناعة بأن عزلة أمريكا وانغلاقها على نفسها كانت سبباً رئيساً لصعود النازية وما قادت إليه من شرور<sup>(54)</sup>، وكأن المحافظين يقولون إن الولايات المتحدة لا تتخبط في نشاطات عسكرية خارج حدودها إلا عندما تدعى لهذا، أو عندما تدعى لهذا، أو عندما تبدو المصالح الأمريكية معرضة لمخاطر حقيقية<sup>(55)</sup>.

هذا ويرتبط بفكرة الرسائل فكرتان أخريان مفادهما الإيمان بدور الزعامة أو القيادة السياسية الفعالة، لذلك انشغلوا في سعي دائم إلى العثور على قيادة حاسمة قادرة على صناعة تاريخ يحقق التفرد والسيطرة الأمريكية<sup>(56)</sup>.

كذلك الدعوة المستمرة والبحث الدائم عن مشاريع وأهداف خارجية كبيرة، ولهذا السبب عانى المحافظون الجدد كثيراً خلال السبعينات بسبب تبعات حرب فيتنام التي أثرت سلبيًا على تأييد الشعب لدور العسكرية الأمريكية كما عانوا أيضاً مع نهاية الحرب الباردة في نهاية الثمانينات وتحلل الاتحاد السوفيتي<sup>(57)</sup>.

## 2- الحرب الدائمة تولد الاستقرار:

اعتقد ستراوس أن النظام السياسي يمكن أن يكون مستقراً فقط إذا ما جوبه بتهديد خارجي، فعلى نهج ميكافيلي، الذي يقول: "إن لم يكن هناك خطر خارجي، فإنه يجب صنع واحد" في نظر ستراوس، يجب عليك أن تقاوم دائماً لكي تبقى، وهذا بدوره سيؤدي إلى ظهور سياسة خارجية مقاتلة إن الحرب الدائمة هي ما يؤمن به ستراوس، وليس السلم الدائم، وإن الحرب

كما يقول "إيليون كوهين": هي أخطر من أن يخطط لها العسكريون، وإنما هم أداة لتنفيذها، وإن هكذا وجهات نظر من الطبيعي أن تؤدي إلى سياسة خارجية عدائية، وتهديدية تعتمد الحرب الاستباقية كوسيلة لمواجهة أي خطر تعتقد أنه سوف يظهر في المستقبل، وإلى سياسة داخلية حيث لا تتهاون مع المعارضة ولا تتسامح معها، وأن تلامذة ستراوس المحافظين الجدد يرون السياسة الخارجية كوسيلة لتحقيق (القدر القومي) كما عرفه سابقاً "إيرفينجكريستول" سنة 1983، الذي يتجاوز الحدود الضيقة (أمن قومي قصير النظر)<sup>(58)</sup>، إن ستراوس لم يكتب حول الريادة الأمريكية، ولكن تلاميذه كتبوا باستفاضة حول هذا الموضوع، فالمحافظان الجديان "وليم كريستولوربيرتكاغن"، أعلنوا هذا النفير، في مجلة الشؤون الخارجية (فورين افيرز) سنة 1996 بعنوان "نحو سياسة خارجية ريغانية جديدة": "الآن وبما أن الإمبراطورية الشريرة قد هزمت، فإنه يجب على أمريكا أن تطمح كي تمارس ريادة أمريكية خيرة، لأنه لم يحدث سابقاً إن كان لأميركا فرصة ذهبية، من أجل الترويج للديمقراطية والأسواق الحرة في الخارج، في الوقت الذي لم يكن وضع الأمريكيين فيه من قبل على أفضل ما يكون عليه الآن"<sup>(59)</sup>، وبذلك فإن الهدف المناسب للولايات المتحدة يجب أن يكون المحافظة على تلك السيادة، قدر المستطاع أطول فترة ممكنة في المستقبل، كما أن الكاتيين قد قللا من شأن أولئك المتشائمين الذين يحذرون من التوسع الإمبريالي، أو خطر استقطاب الأعداء ودعوا بدل ذلك إلى زيادة كبيرة في الميزانية العسكرية (للمحافظة على دور أميركا كسند عالمي)، كما دعوا إلى

إجراءات لزيادة حماس الشعب الأمريكي، ربما عن طريق أشكال من الانخراط العسكري، وسياسة خارجية أخلاقية سافرة تهدف إلى الدعوة الفاعلة للمبادئ الأمريكية للحكم في الخارج "إن نظرية السيادة لا تستطيع العمل بوجود عالم متعدد الأقطاب، عوضاً عن ذلك أنها تدعم فكرة كون الدولة قوية تملك سلطة لا مثيل لها ويجب أن تعيد تشكيل العالم الحالي بحسب مصالحها، فعن طريق فرض القوانين، فإن القوة السائدة تستطيع أن تحافظ على موقفها المسيطر على العالم، ومن خلال تبني هذه النظرة، فقد قام المحافظون الجدد بإحداث شقّ في الحزب الجمهوري وأقسام الحكومة، إذ أن العديد من الجمهوريين لا يزالون يعتقدون أن أميركا تستطيع أن تحافظ على منصب القوة العظمى عن طريق ممارسة سلطتها في عالم متعدد الأقطاب"<sup>(60)</sup>، تلك هي أفكار مدرسة ليونستراوس، والتي تجسد بدقة معظم التفكير لدى المحافظين الجدد حيث أن بعض هذه الأفكار متجذرة في وجهة النظر التي يتبناها المحافظون عن العالم، من مثل دور الدين في المجتمع أو توسيع السلطة الأمريكية، وبغض النظر فإن الميزة المعبرة للفلسفة الستراوسية هي أنها حتى بمقاييس المحافظين هي فلسفة متطرفة على أقل التقدير.

#### 4- صقور البيض الأبيض "المحافظون الجدد"

إيرفنجكريستول: Irving Kristol (\*)

يعد " إيرفنجكريستول" أحد الآباء المؤسسين لعائلة المحافظين الجدد، حيث يوصف بأنه عرّاب المحافظين، يقول إيرفنج "عندما أنظر في آرائي التي

أطلقتها على امتداد حياتي أفاجأ بأنها جميعاً تحمل صفة الجديد، فلقد كنت ماركسيا جديداً وتروتيسكيا جديداً، واشتراكيا جديداً، وليبرالياً جديداً، وأخيراً محافظاً جديداً وهو يرجع ذلك إلى أنه لم يقتنع تماماً بفلسفة أو أيديولوجية بحد ذاتها<sup>(61)</sup>.

تشتمل سيرة "كريستول" الذاتية على مجهوداته التي قام بها لشن حروب ثقافية لحساب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) ضد الاتحاد السوفيتي في السنوات الأولى من الحرب الباردة، بالإضافة إلى أنه كان يدعو إلى أن تمارس الولايات المتحدة دوراً إمبريالياً خلال حرب فيتنام<sup>(62)</sup>.

وقد لعب "كريستول" دوراً رائداً في تحديد الأفكار الأساسية التي شكلت فكر المحافظين الجدد وفي عام 1983 ألف كتاباً بعنوان "تأملات أحد المحافظين الجدد"<sup>(63)</sup>، وهو متزوج من "جيرترود هيملفارب" والتي كانت من أعمدة حركة المحافظين الجدد، وكانت دراستها عن العصر الفيكتوري في بريطانيا، هي التي أوحى للرجال الذين روّجوا للرئيس الأمريكي، "جورج بوش" فكرة المحافظ العاطفي<sup>(64)</sup>، كذلك كان "كريستول" يرى في الدين اليهودي - المسيحي الذي أخرجته البروتستانتية الزهدية كمصدر ملهم للرأسمالية الليبرالية بالذات، ويبدو أسفه لأن الكنائس تحولت إلى ما يشبه المؤسسات الخاصة، مما أفقدها الدعم العام وجعلها عاجزة عن مواجهة خصومها<sup>(65)</sup>.

## ويلخص أيرفنجكريستول الأسس الفكرية للاتجاه المحافظ الجديد في المبادئ الآتية:

1. تشجيع الولاء القومي باعتباره شعوراً طبيعياً ومقدساً<sup>(66)</sup>.
  2. رفض مفهوم الحكومة العالمية التي تؤدي إلى نمط من الاستبداد العالمي<sup>(67)</sup>، ففي مقالة له بعنوان "قناعة المحافظون الجدد" كتب يقول "إن الحكومة العالمية أمر مكروه، لأنها قد تؤدي إلى الطغيان العالمي، وأن المؤسسات الدولية التي تشير إلى حكومة عالمية في المدى النهائي يجب أن ينظر إليها بشكل عميق"<sup>(68)</sup>.
  3. يجب أن يتمتع رجال الدولة بأهلية التميز بين الأصدقاء والأعداء.
  4. لا تحدد المصلحة القومية لدولة عظمى بالمعايير الجغرافية<sup>(69)</sup>.
- أما الابن فهو "ويليام كريستول"<sup>(\*)</sup> يُعدّ كذلك شخصية مهمة خاصة في السنوات الأخيرة في مجال السياسة الخارجية لأمريكا، ولكونه كان طالباً في جامعة هارفارد، فقد كان متأثراً بعمق بأعمال ليونستراوس<sup>(70)</sup>، وفي منتصف الثمانينات ترقى ليصبح رئيس فريق العمل في إدارة التعليم فترة حكم ريجان، وبعد انتخاب "جورج بوش الأب" في عام 1988 عين كريستول للعمل مباشرة مع نائب الرئيس "دان كويل" كرئيس لفريق العمل، أصدر ويليام مجلته الخاصة "ذي ويكلي ستاندرد" The Weekly Standard التي يمولها ويمتلكها اليهودي "روبرت مردوخ"<sup>(71)</sup>، في عام 1997 أسس معهد مشروع القرن الأمريكي الجديد، وهو مركز خاص لدعم اتخاذ القرار يتبع المحافظين الجدد، وكان يبحث في تعزيز اقتراحات السياسة الخارجية

الأمريكية إلى جانب حزب الليكود الاسترائيلي وكان الهدف النهائي لمشروع القرن الأمريكي الجديد هو تأسيس مفهوم السلام الأمريكي عبر العالم، وبمعنى آخر كان الهدف هو تحويل أمريكا القوة المتفوقة الوحيدة الباقية إلى إمبراطورية كوكبية بقوة الجيوش<sup>(72)</sup>، وقد نشر المشروع تقريرا في سبتمبر عام 2000 بعنوان "إعادة بناء دفاعات أمريكا"<sup>(73)</sup> "Rebuilding Americans Defences".

فقد أعلنت هذه الوثيقة ما توصلت إليه لارتباطات العسكرية للسياسة الخارجية لإرادة "جورج دبليو بوش"، لذلك أعلنوا أن الرسالة الأولى المحورية للقوات المسلحة الأمريكية الدفاع عن الوطن الأمريكي "American homeland"، وبعد "11 سبتمبر 2001 أسست إدارة بوش قوات الدفاع عن الوطن" "Homeland Defence Force".

والرسالة المحورية الثانية هي "خوض حروب تكتيكية كبرى متعددة في وقت واحد، وكسبها بحسم، ومنذ 11 سبتمبر خاضت الولايات المتحدة حربين كبيرتين في مسارح مختلفة، في أفغانستان والعراق. وكانت في الوقت نفسه تقدم عونا عسكريا في الفلبين وكولومبيا وهايتي"<sup>(74)</sup>.

مما حدا بالرئيس "بوش" أن يطلب في أول ميزانية يقرها تخصيص مبالغ ضخمة لإنفاقها على المخطط، ومن بين مبادراته كانت استراتيجية إعادة تشكيل الشرق الأوسط، مما يستلزم القيام بعمليات عسكرية على الدول المعادية لأمريكا بدءا بالعراق ثم التحول إلى إيران وسوريا والسعودية وفي النهاية استكمال انكسار الفلسطينيين<sup>(75)</sup>.



المجمل، فإن "ويليام كريستول" الذي ترأس إدارة الأنرون تلقى \$1000000 دولارا في سنتين، وأصبح مخططا رئيسيا لسياسة إدارة بوش بعد 11 سبتمبر<sup>(76)</sup>، وأصبح يظهر في وسائل الإعلام ليبيع هذا المبادرات باعتبارها أكبر مصلحة لكل الأميركيان رغم وضوح تحيزها لصالح إسرائيل، بالإضافة إلى أنه وروبرت كانا من أشغل الحديث عن المعركة "معركة هرمجدون" الفاصلة في سفر الرؤيا التوراتي بين الخير والشر، معتبرين (الحرب المقلبة حرب حضارات)<sup>(77)</sup>.

#### بول ولفوفيتز : PualWalfuitz<sup>(\*)</sup>

من بين جميع وكلاء الرعب من الإسلام الذين كانوا يعملون خلال العقود الماضية، ترقى "ولفوفيتز" إلى أعلى المستويات بينهم جميعاً، وكمناضل قديم في إدارتي "ريجان وبوش" فقد خدم في مجالات متعددة في البنتاجون، ثم كسفير في إندونيسيا أكبر دولة مسلمة في العالم، ومعروف عنه أنه من الصقور في كل الإدارات التي عمل بها<sup>(78)</sup>.

ويلقب ولفوفيتز بالصقر السوبر، ويعرف بأنه الأكثر نفوذاً بين أعضاء الحركة، ألف في عام 1982 ورقة تخطيط دفاعية بعنوان "وثيقة توجيه السياسات الدفاعية"، وهي الوثيقة التي روجت لمبدأ الضربات الاستباقية، وشددت على ضرورة أن تكون الولايات المتحدة على استعداد للتصرف بمفردها في حالة صعوبة عمل أحلاف، وأن الهدف الأساسي للولايات المتحدة هو العمل على منع ظهور أية قوى من شأنها أن تشكل تحدياً

للولايات المتحدة<sup>(79)</sup>، مما قاد إلى تغليب التوجهات نحو شن الحرب على العراق<sup>(80)</sup>.

لقد وصف "بارتونغيلمن" في الواشنطن بوست الوثيقة بأنها نسخة سرية من تقرير غايته تحديد اتجاهات الأمة في القرن المقبل، وهو يدعو في هذه الوثيقة إلى وجود عسكري أمريكي دائم في ست قارات للحيلولة دون قيام منافسين محتملين من أصحاب الطموحات الإقليمية والدولية<sup>(81)</sup>.

وعلى الرغم من الإنكار الرسمي لهذه الوثيقة حينها، فقد أصبح صاحبها "ولفوفيتز" في قلب دائرة القرار الأمريكي وأصبحت أفكار هذه الوثيقة سياسة أمريكية متبعة في استراتيجية الأمن القومي.

وختاماً يقدم "ولفوفيتز" على أنه ذو وجهين: الوجه الأول هو أنه شخص مهووس بتدعيم السيطرة الأمريكية على العالم بلا هوادة وبدون تقديم أية تنازلات، وعلى استعداد جاد لإنهاء الدول - على حد قوله - التي تدعم الإرهاب<sup>(82)</sup>.

أما الوجه الآخر: فهو المتحدث الهادئ النبرة، بل والأخلاقي السياسي الديمقراطي، يقول عنه "بيل كيلر" أنه كان مهتماً بما أسماه بالإسلام المعتدل وأعرب عن إعجابه بالرئيس المصري الراحل "أنور السادات" لكونه وقع معاهدة سلام "معاهدة كامب ديفيد" مع إسرائيل. يقول أحد مساعديه: "أنه من الناحية الأخلاقية كان ولفوفيتز يعتبر إسرائيل جوهر قضية الشرق الأوسط، أما كصانع سياسات فإن كلا من تركيا ومنطقة الخليج ومصر تمثل مكانة لا

تقل أهمية"، وكان الهدف من حرب العراق هو نشر الديمقراطية في العراق وبقية بلدان الشرق الأوسط حسب المعايير والقيم الأمريكية<sup>(83)</sup>.

### ريشارد بيرل Richard perle<sup>(\*)</sup>

يشار إليه غالباً على أنه عراب الحرب الأمريكية على العراق، أو الأب الروحي للحرب الأيديولوجية ضد الإرهاب<sup>(84)</sup>، وله شهرة هائلة خاصة في التعاملات الغامضة، وفي مقاطعة واشنطن اكتسب كنية "أمير الظلام"<sup>(85)</sup>، لطرقه المشكوك The prince of Darkness فيها من أجل تحقيق أهدافه.

لقد كان مطلعاً في المسرح السياسي على مدار أربعة عقود، منذ أول عمل له في مكتب السيناتور "سكوب جاكسون" ثم عمل "بيرل" في مؤسسة للاستشارات العسكرية قبل تعيينه وزيراً للدفاع في حكومة "ريجان"، وأيويدولوجية بيرل لم تكن سرا باعتباره من الصقور.

اشترك "بيرل" في عام 1996 مع "دوغلاس فايت وديفيد ورمسر" في وضع دراسة: "انطلاقة نظيفة: استراتيجية جديدة لتأمين المملكة"<sup>(\*)</sup> الصالح رئيس وزراء إسرائيل حينها "بنيامين نتيناهو" لذلك وصفت هذه الاستراتيجية بأنها تعنى بأمن إسرائيل أكثر مما تعنى بأمن أمريكا<sup>(86)</sup>.

وفيها يحث على دفن اتفاقية أوسلو التي أنجزها "إسحق رابين" وتركيز الجهد على ضرب صدام حسين، وكان يرى أن طريق دمشق تمر ببغداد أولاً، وهو من شجع إسرائيل على اعتماد مبدأ الضربة الاستباقية، وفي العام 1997 قال "بيرل" في ورقة وضعها تحت عنوان "استراتيجية من أجل

إسرائيل" أن على تل أبيب "إعادة احتلال المناطق الخاضعة للسلطة الفلسطينية حتى ولو جاء الثمن مرتفعاً بالدم"<sup>(87)</sup>.

وفي ظل رئاسة "بوش الابن" أصبح بيرل رئيس هيئة سياسة الدفاع، المنوط بها تشكيل استراتيجية غزو العراق، وحوالي ثلاثين تقريباً من أعضاء هذه الهيئة تربطه أعمال مشتركة كبيرة ويحققون أرباحاً طائلة من السياسات التي يروجونها وليس بيرل أقل منهم<sup>(88)</sup>.

فقد أشار أحد مسؤولي المخابرات الأمريكية إلى قدرة بيرل الهائلة على تغيير السياسات الحكومية، فقال: "إنه لإنجاز هائل أن يتمكن شخص من الخارج أن يكون له نفوذ كبير، كما أنه منح قاعدة مؤسسية لممارسة نفوذه"<sup>(89)</sup>.

كذلك كان بيرل يدعو إلى استعمال القوة العسكرية الأمريكية للسيطرة على منطقة الخليج العربي سواء في بقاء نظام صدام حسين أو في حالة غيابه، والمضى قدماً في مشروع الدرع الصاروخي حتى تكتمل السيطرة الأمريكية على الفضاء الخارجي<sup>(90)</sup>.

وختاماً أكد بيرل ما أكده "هنري كيسنجر" حيث يقول "كان يجب علينا أن نقدم الدلائل على أن مجرد الاحتواء أو الانفراج هو شيء غير مجد، كما كان يجب علينا العمل على إعادة الاعتبار لتلك الرؤى التي تؤمن بضرورة الانتصار الحاسم على الشيوعية"<sup>(91)</sup>، إلا أنه من المزعج أن يحقق شخص حقير مثل بيرل هذا القدر من السلطة والنفوذ.

### 5- نتائج الفلسفة السياسية للمحافظين الجدد:

إن الفلسفة السياسية التي تحدثنا عنها آنفاً جعلت الاستراتيجية الأمريكية تنظر إلى منطقتنا العربية نظرة خاصة، فالولايات المتحدة الأمريكية بعد 11 - سبتمبر غيرها قبله، وإن الإدارة الأمريكية انتقلت من منطلق التعامل السياسي مع العالم إلى منطلق التعامل العسكري<sup>(92)</sup>.

**ومن ثم فقد تمثلت النتائج السياسية لهؤلاء المحافظين في الآتي:**

**أولاً:** محاولة إيجاد عدو يجعل الشعب الأمريكي ملتفاً حول إدراته، وقد تم تحديد هذا العدو بالإسلام ممثلاً في "أسامة بن لادن"، و"العراق ثم حزب الله"<sup>(93)</sup>.

**ثانياً:** تطبيق نظرية "ماكندر" المتمثلة بالسيطرة على مناطق الثروات في العالم.

**ثالثاً:** إيجاد أسواق ناشئة مستهلكة للسلع الأمريكية، دون أن يكون لهذه السلع منافس حقيقي.

**رابعاً:** الدعم المطلق للكيان الصهيوني الذي يساعد على تحقيق فلسفتها السياسية<sup>(94)</sup>.

**خامساً:** محاولة قمع وواد أي مشروع يريد الظهور كمنافس للولايات المتحدة.

**سادساً:** وجود شركات عملاقة "الشركات المتعددة الجنسيات" تعمل على ضخ المال من شتى بقاع الأرض بقوة إلى داخل الولايات المتحدة حتى تبقى محافظة على اقتصاد قوي.

سابعاً: دعم المشروع الصهيوني والتصدي لكل من يحاول أن يتعرض له بسوء.

ولكن حينما ننظر إلى الاستراتيجية الأمريكية وما يمدّها بالحياة ويجعلها دائماً متفوقة، سنجدّه يتمثل في ثلاثة أشياء:

الأول: أن تكون مصادر الطاقة أوجها تحت السيطرة الأمريكية.

الثاني: امتلاك الولايات المتحدة الأمريكية لترسانة عسكرية لا قبل لأحد بها وعدم السماح للآخرين بامتلاك قوة تدافع بها عن نفسها<sup>(95)</sup>.

الثالث: اقتصاد قوي ومتين يضمن التفوق الإمبراطوري للولايات المتحدة الأمريكية.

وإذا نظرنا إلى الآثار العالمية للفلسفة الأمريكية والمقومات التي تجعلها إمبراطورية قوية متحكمة بمفاصل الثروة والقرار في العالم، سنجد أن منطقتنا العربية هي أفضل ملعب تتحرك فيه الإدارة الأمريكية لكي تحقق هذه الاستراتيجية، وهذا ما يفسر الاهتمام الشديد بمنطقتنا، ولكن هناك عائق أيديولوجي في هذه المنطقة، يجعل الاستراتيجية الأمريكية لا تستطيع تحقيق أهدافها الاستراتيجية بسهولة، ويتمثل هذا العائق الأيديولوجي في الإسلام، الذي يمثل اعتقاداً أيديولوجياً يؤمن به معظم شعوب هذه المنطقة، وهذا الاعتقاد الديني لأهل المنطقة يتصادم كثيراً في مفاصل متعددة مع استراتيجية الإمبراطورية الأمريكية، واختيار الإسلام كعدو محتمل يتمتع بكل المواصفات التي تجعل الإدارة الأمريكية تخوف العالم من امتداده وتحشد الصفوف إلى جانبها يعد اختياراً ذكياً، وهنا نطرح سؤالاً: لماذا الإسلام

تحديداً؟ رغم أن دول المنطقة مجتمعة لا تشكل خطراً حقيقياً على الولايات المتحدة كقوة مادية يمكن مقارعتها إلا أن الولايات المتحدة اتخذت قراراً في اعتبار الإسلام عدواً استراتيجياً لها، وذلك لعدة أسباب منها الحقيقي ومنها الوهمي، من هذه الأسباب:

1. أمريكا لم تحدد عدوها الاستراتيجي في منطقة جغرافية محددة، وهذا يجعلها تتحرك في كل بقاع الأرض وتزرع قواعدها في المناطق التي تمتد الولايات المتحدة بالطاقة التي هي شريان الحياة للإمبراطورية الأمريكية بحجة وجود إسلاميين يريدون استهداف مصالحها<sup>(96)</sup>.
2. عداؤها للإسلام يضيء على حربها الطابع الأممي وبالتالي تستطيع أن تخلق الأعذار، وتضع الأكاذيب لتتدخل عسكرياً في المناطق التي لها مصالح حيوية فيها.
3. خلق وجود عسكري أمريكي في المناطق العربية والإسلامية يكون خادماً لاستراتيجيتها بحيث تكون دائماً قريبة من المناطق التي ستشكل خطراً على استراتيجيتها في المستقبل القريب كالصين وإيران وروسيا.
4. المنطقة الجغرافية التي يقيم عليها المسلمون هي أغني مناطق العالم بالطاقة، وتحتاج إليها الولايات المتحدة بشدة، وعندما تتواجد الولايات المتحدة عسكرياً في هذه المناطق فإنها تضمن تدفق مصادر الطاقة إليها دون أية معارضة والعراق مثلاً<sup>(97)</sup>.

### تعقيب:

لقد حاول المحافظون الجدد إثبات أنهم الأكثر حرفية في الالتزام بتعاليمهم وأيديولوجيتهم، وبالتالي هم الأكثر تشدداً في مسعاهم لتطبيق تلك الأيديولوجية على أرض الواقع مهما كانت التضحيات وبدون قبول لتقديم أي تنازلات أو القبول بأي حلول وسط أو صيغ توفيقية، وربما يكون هذا مفهوماً في السياسة الداخلية، ولكن عندما يترجم إلى السياسة الخارجية فإن الأمر يعني الإطاحة بقيم ومبادئ وأعراف وقواعد قانونية ثابتة في القانون الدولي وفي التنظيم الدولي، كما يعني تجاوز الأطر الدولية متعددة الأطراف مثل الأمم المتحدة، وقد يعني إتباع الأحادية في العلاقات الدولية تبني نهج يعتمد على استعراض القوة أو استخدامها بالفعل لتنفيذ أهداف السياسة الخارجية للدولة، حتى ولو لم يتوافر بشأنها أي توافق دولي، أو حتى بناء تحالف دولي متفق على هذه الأهداف، وقد ظهر ذلك جلياً في النهج المتبع في التعامل مع المسألة العراقية وصولاً إلى اتخاذ قرار غزو العراق عام 2003.

فعلى ضوء هذه الفلسفة العمياء سيظل المحافظون الجدد ظاهرة موجودة وقادمة في الحياة الفكرية والسياسية والثقافية الأمريكية، كما ستظل فلسفتهم مثار جدل ونقاش طويلين ما بين مؤيد لها ومعارض عليها من جهة أخرى.



## المراجع

---

- (1) Robert Gilpin, War and Change in world politics, (New York: Cambridge University Press, 1981), P. 55.
- (2) Edward Luttwak, Strategy (Cambridge MA Harvard University Press. 1987), P. 13.
- (3) زياد مني، الحرب المقدسة في التوراة، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد 53، السنة 1995، الكويت، ص18.
- (4) Kenneth Waltz, "Globalization and American Power" The National Interest, 2005, P. 60.
- (\* ) مارتن لوثر كينج: ولد عام (1929، وتوفي في 1968)، زعيم أمريكي من أصول أفريقية قس وناشط سياسي إنساني من المطالبين بإنهاء التمييز العنصري ضد بني جلدته، في عام 1964 حصل على جائزة نوبل للسلام وكان أصغر من نالها، اغتيل عام 1968 على يد "جميس آرل راي" كان دائما يستشهد بقول السيد المسيح "أحب أعداءك واطلب الرحمة لمن يلعنونك، وادع الله لأولئك الذين يسيئون معاملتك".  
<http://ar.Wikipedia.org>
- (5) راجع: الأنجيل: العهد الجديد، ط8، رؤيا يوحنا الأهوتي "أورشليم الجديدة" دار الكتاب المقدس، مطبعة أوتوبرنت للطباعة، القاهرة، 2005، ص368.
- (6) Herbert Butterfield, Christianity And History, Printed in U.S.A, 1950, P. 14.

- (\*\*) لزيادة الإطلاع حول معركة هرمجدون "راجع" بريس هالسل، النبوءة والسياسة، ت: محمد السماك، ط4، دار الشروق، القاهرة، 1998، ص ص70/30.
- (7) عبدالغني عماد، عبء الآخر، صور العدو في العقل السياسي الأمريكي، ط1، دار الإنشاء للصحافة والنشر والطبع، لبنان، 2004، ص104.
- (8) روجيه جارودي، الإرهاب الغربي، ج2، تعريب، عبدالمسيح فلي، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص36.
- (9) المرجع نفسه، ص36.
- (10) Haas R. The Reluctant Sheriff: The United after the Cold War, New York, 1997, P. 88.
- (11) روجيه جاروي، الإرهاب الغربي، ص36.
- (12) James. A. Baker III, The politics of Diplomacy, New York, NY: G.P. Putnam`s, sons, 1995, P. 90.
- (13) Laski, Harold j: The American presidency, New York, Harper, Brothers Publisher, 1940. P. 22.
- (14) عبدالغني عماد، مرجع سابق، ص105.
- (15) دونالد دبليو. وايت، رسم خريطة الأفول تاريخ القوة الأمريكية، ت، وفاء صالح خضر، م، محمد الرزقي، مجلة الثقافة العالمية، العدد، 145، السنة السادسة والعشرون، 2007، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص175، وأيضاً، نيكسون، الفرصة السانحة، ص ص، 40، 60.

- (16) جينفرى ستيرن، تركيبة المجتمع الدولي، مقدمة لدراسة العلاقات الدولية، ت، مركز الخليج للأبحاث، 2004، ص 120.
- (17) لزيادة الاطلاع على هذه الادعاءات راجع: محمد حسين أبو العلا، السادية الأمريكية، ط1، مدبولي الصغير، 2008، ص ص 44، 45.
- (18) Robert Hinde, Joseph Ratblat, War No More, Pluta, Press, London, 2004, p. 77.
- (19) Martilla and Kiley, Inc. (Boston, MA), Americans Talk security, no, b. may, 1988, P. 30.
- (20) دكستبر كنس، فلسفة السياسة الخارجية الأمريكية، ت، حسين عمر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د. ت، ص 14.
- (21) جوزيف ناى، تناقض القوة الأمريكية، ت، على حسين باكير، ط1، العبيكان، الرياض، 2006، ص 150.
- (22) David Aron: Years After Next in the war Terror, published by RAND corporation, 2005, P. 30.
- (23) Williams, T, Harry, Richard N, Current, Frank Freidel A History of the United states to 1877. Third Edition (New York, Alfred Knoff, 1969), P. 69.
- (24) أناتولى أوتكيت، الاستراتيجية الأمريكية للقرن الواحد والعشرين، ت، أنور محمد إبراهيم، مجلس الثقافة، القاهرة، 2004، ص 41.
- (25) Americas World, "The Economist, 23 October, 1999, P. 40".

(26) Wathnow, Robert: The strategy for Americas soul: Evangelicals, liberals, and secularism, (Miami, WM, B, Eerdmand company, 1989). P. 77.

(27) أميمة عبداللطيف، المحافظون الجدد، قراءة في خرائط الفكر والحركة، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2003، ص15.

(28) موري فريدمان، ثورة المحافظين الجدد. المثقفون اليهود وتشكيل السياسة العامة، ط1، عرض، علاء بيومي، مطابع جامع كمبردج، 2005، ص20.

(29) جمال سلامة علي، أمة قلق، أمريكا الديمقراطية ويمينها الديني والمحافظ، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة، ص557.  
(\* ليو شترواس ولد سنة 1899 وتوفي سنة 1973.

(30) Drury, Shadia B: Leo Strauss and American Right (New York Plagrove Macmillan. 1999). P. 37.

(31) Ibid, P. 40.

(32) Leo Strauss: Liberalism. Ancient & Modern (University of Chicago Press, 1995), P. 70. نقلاً عن جمال سلامة

علي، مرجع سابق، ص641

(33) جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص559.

(34) Norton, Anne: Leo Strauss and Politics of American Empire (New Haven: Yale university press, 2004), P.

نقلًا عن: جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 641. 66.

(35) جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 560.

(\* من أهم وسائل الأعلام عندهم هي: الـويكلي ستاندرد، ذي ناشيونال إنترست، والواشنطن تايمز، وذي نيوريبابليك، وذي ناشيونال ريفيو، وكومنترى، وولستريت جورنال: أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 36، 37.

(36) جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 560.

(37) فرانسيس فوكوياما، أمريكا على مفترق الطرق: ما بعد المحافظين الجدد، نقله إلى العربية، محمد محمود النوية، ط1، شركة العبيكان للأبحاث والتطوير، السعودية، 2007، ص 30.

(38) محمد حسين أبو العلا، السادية الأمريكية، ص 25.

(39) Norton, Anne: Leo Strauss and The Politics, P. 126.

(40) جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 558.

(41) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 20.

(42) Leo Strauss, The Rebirth of Classical Political Rationalism: An Introduction to The Thought of Leo Strauss (University of Chicago Press, 1989), P. 183.

(43) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 20.

- (44)Project for the New American Century, Rebuilding Americans Defenses: Strategy, Forces and Resources for a New Century (Washington, DC: Panic, 2000), P. 1.
- (45) محمد حسين ابوالاعلا، السادية الأمريكية، مرجع سابق، ص 26.
- (46) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 20.
- (47) عبدالغني عماد، مرجع سابق، ص 113.
- (48) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 20.
- (49) المرجع نفسه، ص 20.
- (50) جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 561.
- (51)Ernest Lee Tuveson, Redeemer Nation: The Idea of Americas Millennial Role (Chicago Chicago University Press, 1968), P. 100.
- (52)Patrick E, Tyler Cited Bacevich, American Empire, P. 44.
- (53) السيد ولد أباه، عالم ما بعد 11 - سبتمبر - 2001، الإشكالات الفكرية والاستراتيجية، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2004، ص 42.
- (54) جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 561.
- (55) مايكل نورثكوت، الملاك يوجه العاصفة، أسفار الرؤيا والإمبراطورية الأمريكية، ت، عبدالرحمن الشيخ، ط1، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2006، ص 37.

- (56) جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص 561.
- (57) Dorrien, Gary: Neo-conservative Mind, Politics, Culture, the War of ideology (New York, Temple University press, 1993) PP. 236-237.
- (58) Irving Kristol: The Neo-Conservative Persuasion, The Weekly Standard, August 25, 2003.
- (59) Robert Kegan and William Kristal "The present Danger" The National Interest (Spring 2000). P. 70.
- (60) Ibid, P. 72.
- (\*) ايرفينج كريستول: (مولود 1920م، وتوفي 2009م)، يهودي من أصل أوكراني وكان أحد الأبناء المؤسسين للمحافظين الجدد، عمل مديراً لتحرير مجلة كونتري من 1947 إلى 1950.
- [Http://ar.wikipedia.org](http://ar.wikipedia.org)
- (61) Kristol. Irving. Neo-conservatism, The Autobiography of an Idea (New York: Free Press 1995), P. 28.
- (62) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 26.
- (63) رينشارد كلارك، في مواجهة جميع الأعداء، ت، وليد شحادة، منشورات الحوار الثقافي، بيروت، 2004، ص 53.
- (64) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 27.

(65) روبن درى، لاهوت الغلبة. الجذر الديني الفلسفي الليبرالية الجديدة، ت، جاد مقدسي، مجلة مدارات غربية، العدد الثالث، سبتمبر، 2004، ص60.

(66)Irving Kristol: The Neo-conservative Persuasion, the weekly standard 2003, P.26.

(67) السيد ولد أباه، مرجع سابق، ص42.

(68)Irving Kristol: op, cit, P. 26.

(69)Ibid, P. 28.

(\*) ويليام كريستول من مواليد (1952) يعمل أستاذا بجامعة هارفارد في مجال العلوم السياسية، يعد من أبرز أنصار إسرائيل، كتب العديد من الخطب التي ألقاها جورج بوش الابن في بعض المناسبات: جمال سلامة علي، مرجع سابق، ص587.

(70)Robert Kagan and William Kristal, op, cit, P. 77.

(71) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص27.

(72) ميشال بوغنون موردان، أمريكا التوتاليتارية- الولايات المتحدة والعالم إلى أين - ت، خليل أحمد خليل، ط1، دار الساقى، بيروت، 2002، ص500.

(73)Project for the New American, op. cit. p. 2.

(74) مايكل نورثكوت، مرجع سابق، ص15.

(75) ميشال بوغنون، مرجع سابق، ص515.



(76) Lawrence Kaplan and William Kristal, The War Over Iraq: Saddam's tyranny and America's Mission, New York, 2003. P. 20.

(77) عبدالغني عماد، مرجع سابق، ص 116.

(\* ) ولد وولفونثير في (22 - ديسمبر 1943) في نيويورك لأسرة يهودية بولندية مهاجرة، شغل أول منصب سياسي في الإدارة الأمريكية سنة 1973، ثم تعيينه سفيراً لدى أندونيسيا سنة 1986، له علاقات قوية مع إسرائيل <http://ar.wikipedia.org>

(78) توني بلير، كونداليزا رايس، وآخرون، المحافظون الجدد، نقله إلى العربية، فاضل جتكر، ط1، متبة العبيكان، الرياض، 2005، ص 366.

(79) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 28.

(80) Halper, Stefan A, and Clarke, Jonathan, America Alone: The neo-conservatives and the global order (Cambridge University Press 2009), p. 235.

(81) عبدالغني عماد، مرجع سابق، ص 117.

(82) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص 29.

(83) أحمد ثابت، خليل العناني، الحرب والنزعة الإمبراطورية الأمريكية، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005، ص 29.

(\*) ريتشارد بيرل ولد سنة (1941) سياسي يهودي أمريكي يعد من أقطاب المحافظين الجدد الذين برزوا خلال إدارة بوش الابن، يوصف في الإعلام الأمريكي بأمير الظلام و"دراكولا" رأس مجلس السياسة الدفاعية ومنصب وزير الدفاع في إدارة ريغان في الثمينات، ومدير لصحيفة "جيروزليم بوست الإسرائيلية" <http://ar.wikipedia.org>

(84) Andrew J. Bacevich, The American Empire: The Realities and Consequences of U.S. Diplomacy (Cambridge, MA: Harvard University Press, 2002), P. 70.

(85) بوديار، وآخرون، ذهنية الإرهاب، لماذا يقاتلون بموتهم، ت، بسام حجار، المركز الثقافي العربي، بيروت، دت، ص214.

(\*) تضمنت مشروعاً استعماريًا واسعاً للشرق الأوسط، وقد هبأت من قبل بيرل، تم أعطت لبنيامين نتياهو، وباختصار فأنها تمثل أفكار وطروحات الصهيوني "فلاديمير جابونينسكي" دعت الوثيقة إلى إلغاء اتفاقيات أوسلو للسلام والقضاء على الزعيم الفلسطيني الراحل "ياسر عرفات" والإطاحة بصدام حسين وضم الأراضي الفلسطينية وزعزعة استقرار لبنان وسوريا في سلسلة من الأحداث، وتفكيك العراق وإقامة دولة فلسطينية على أراضيه واستخدام إسرائيل كقاعدة تكميلية لبرنامج حرب النجوم الأمريكي.

- (86) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص30.
- (87) عبدالغني عماد، مرجع سابق، ص117.
- (88) بوديار وآخرون، مرجع سابق، ص215.
- (89) أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص30.
- (90) هنري كيسنجر، الدبلوماسية، ت، فوزي وفاء، ج2، مؤسسة روزاليوسف، القاهرة، 2001، ص290.
- (91) خليل العناني، حين تتحول الأفكار إلى حقائق مفرعة: نظرة إلى مشروع القرن الأمريكي الجديد، مجلة الحياة اللبنانية، عدد "مايو"، 2003، ص15.
- (92) كريم بقرادوني، إدارة أمريكية مختلفة بعد سقوط بغداد، مجلة الشرق الأوسط، العدد 8908، 19-4-2003، ص80.
- (93) انظر: أميمة عبداللطيف، مرجع سابق، ص80.
- (94) Joseph S.Nye, The Paradox of American Power, P. 82.
- (95) Ibid, p. 82.
- (96) Helper, Stefan A, and Clarke, Jonathan, America Alone, P. 355.
- (97) Ibid, P.356.

## الزراعة المحلية في ليبيا أثناء الاحتلال الإيطالي

أ. مختار محمد الأمير

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

مقدمة:

تعدّ الزراعة الحرفة الرئيسة للأهالي قبل وبعد الاحتلال الإيطالي للبلاد عام 1911م، وزادت أهمية الزراعة عند الليبيين بعد تقلص دور النشاطات الاقتصادية الأخرى، مثل تجارة القوافل الداخلية ومع البلاد المجاورة، وازدياد الضغوط الإيطالية على الليبيين بالعمل على الاستحواذ على أراضيهم بغية تنفيذ مخطتها الاستيطاني، إلا أن الموقف العسكري لم يمكن إيطاليا من تنفيذ عمليات الاستيطان بشكل موسع، حيث كان لحركة جهاد الليبيين كبير الأثر في التخفيف من حدة العمل الاستيطاني، إضافة إلى مشاركة إيطاليا في الحرب العالمية الأولى 1915م، الأمر الذي أجبرها على الدخول في عديد الاتفاقيات مع الليبيين وخاصة بعد انحصار وجودها في عدد من المدن الساحلية، حيث وقعت اتفاقيات مع القوة المسيطرة على المنطقة الشرقية من ليبيا ألا وهي الحركة السنوسية، إضافة إلى توقيعها اتفاقيات مع العناصر التي كانت تقود حركة الجهاد في غرب البلاد .

شهدت ليبيا بعد توقيع تلك الاتفاقيات فترة من التعايش السلمي بين الليبيين والإيطاليين، إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً، حيث وصل إلى الحكم في إيطاليا الحزب الفاشي 1922م والذي تنكّر لكل التوجهات السلمية، وتبني فكرة إعادة احتلال ليبيا، وبدأ في القيام بالعمليات العسكرية لبيسط السيطرة

على كل البلاد بداية من العام 1922م، وتزامن مع السيطرة التوسع في امتلاك الأرض والعمل على تنفيذ أحد أهداف إيطاليا من احتلال ليبيا، بتحويلها إلى أرض استيطان للمعمرين الإيطاليين من خلال العديد من القوانين والقرارات عام 1923م، وجميعها هدفت إلى سلب أراضي الليبيين بشتى الوسائل من المصادرة، والشراء القسري، وتشجيع بعض المستثمرين الإيطاليين للهجرة إلى ليبيا وإقامة مشاريع استيطانية بشكل فردي، واستغلال ظروف بعض الليبيين بشراء أراضيهم، من خلال عمليات الرهن، أو تأجير الأراضي واستغلالها في الاستثمار الفلاحي.

اعتمدت في إعداد هذا البحث على المصادر والكتابات الأجنبية، لأجل نقل رؤية تلك الكتابات لموضوع البحث، ومدى تفهم الكتاب الأجانب لظروف وقدرة الليبيين على النجاح بالاعتماد على موروثهم الخاص في المجال الزراعي.

### النشاط الزراعي عند الليبيين:

زادت الأوضاع سوءاً في ظل تضيق المستعمرين الإيطاليين بانتزاع أراضي الأهالي الأكثر ملائمة للنشاط الفلاحي، وحصرهم في منطقة ضيقة مع العمل على اتخاذ كل السبل للاستحواذ على أراضي الليبيين لإنجاح المشروع الاستعماري الاستيطاني، والعمل للسيطرة على المقدرات الاقتصادية التي قد تساعد في النشاطات الحرفية مثل الصناعات الصوفية والجلدية المعتمدة على الرعي وتربية الحيوانات. ولمقاومة تلك السياسة وجه الأهالي في ظل الظروف التي عاشتها البلاد تحت الاحتلال الإيطالي

اهتمامهم للزراعة لزيادة دخلهم وتحسين أحوالهم المعيشية باتباع أنسب الطرق ملائمة لهذا العمل باستغلال أراضي الواحات المملوكة ملكية خاصة، وتركزت فيها كثافة سكانية، ولم توضع تحت الاستيطان الاستعماري الإيطالي لأسباب أمنية، وباعتبارها تشكل موردا زراعيا مهما للأهالي.

كانت طريقة الليبيين السائدة لاستغلال الأراضي تتلاءم مع طبيعة الأراضي الجذبة، ويبدو أن اعتماد الزراعة المكثفة المعتمدة على الري تقدم أقصى ضمان ممكن في مواسم القحط المتكررة، إن أثبت إنتاج للأغذية وإن لم يكن أغزرها هو الذي يتم عن طريقة زراعة الواحات في بساتين العرب المروية<sup>(1)</sup>.

تعدّ السانية أو حديقة الواحة الأساس للزراعة المستقرة حيث "بلغت حدائق الواحات 50 ألف هكتار في منطقة طرابلس بالإضافة إلى 3 آلاف هكتار في كل من إقليمي برقة و فزان"<sup>(2)</sup>، وبسبب صغر مساحة أراضي تلك البساتين أو الحدائق كانت إنتاجية المزروعات فيها لا تزيد على احتياجات أسر المزارعين.

انتشرت الواحات في الشريط الساحلي الضيق الممتد من زواره غرباً وحتى مصراته شرقاً، ومن أمثلة تلك الواحات العجيلات، الزاوية، تاجوراء، زليتن وغيرها. ويتم تغذية الواحات الساحلية بالمياه من خلال آبار تصل فيها المياه إلى عمق 15 متراً تحت الأرض "وتزرع في هذه المناطق الحبوب مثل الشعير وكذلك بعض المحاصيل، والأعلاف بين سطور أشجار النخيل، فيما يعرف بزراعة السواني زراعة كثيفة"<sup>(3)</sup>، ونظراً إلى اعتماد سحب المياه

## الزراعة المحلية في ليبيا أثناء الاحتلال الإيطالي

من الآبار بواسطة القوة الحيوانية التي تحتاج للأعلاف بشكل كبير، فإن منتجات الواحات من المزروعات المستهلكة كأغذية للإنسان قليلة بوجه عام "وغالباً ما يتم تحويط المزروعات بسياج ترابي مرتفع (الطوابي) والذي يغرس عليه نبات التين الشوكي لحمايتها"<sup>(4)</sup>، والذي يستفاد منه كأعلاف للحيوانات، كما أن ثماره يتغذى بها الإنسان، لقد يسر خدمة أرض البساتين (السواني)، والحقول وزراعتها على نحو يمكن عده على نطاق واسع "التدابير التي اتخذتها الحكومة في منطقة طرابلس لصالح فلاحه الأهالي، وللحاجة التي فرضتها الأزمة الغذائية الناجمة عن الحرب"<sup>(5)</sup>.

عوضاً عن الزراعة الحقلية التي انتهجها المزارعون الليبيون كان هناك بدائل أخرى، منها (الجنانات ومفردها جنان) ، وهو ما يعرف بالزراعة الجافة في المنطقة الجبلية في إقليم طرابلس الغرب، حيث استقر البعض "ممن اعتمد على الأمطار الكافية في المنطقة الجبلية والتي جعلت منها موطن استقرار، وغرس الأشجار مثل الزيتون، والتين ومع مساحات صغيرة لزراعة الحبوب وكذلك الرعي"<sup>(6)</sup>.

وإذا وجدت فئة من السكان امتهنت حرفة الزراعة باستقرارها في واحات وقرى إقليم طرابلس "فإن سكان برقة كان جل اهتمامهم رعي قطعانهم ومواشيهم، وزراعة بعض الحبوب في المناطق الصالحة للزراعة في السهوب المجاورة ذات الكثافة السكانية الخفيفة، والتي تبدأ على مسافة من 80 كم شرق بنغازي"<sup>(7)</sup>.

تعدّ زراعة السوانى والجنانات ذات مورد محدود، لكنها تشكل مصدراً احتياطياً في حالة فشل الزراعات البعلية المعتمدة على الأمطار في بعض السنوات المجربة.

"إن استغلال الأرض في المناطق الشمالية لأغراض رعي الماشية أو الحرث هو نمط يمارس في نطاق حدود أراضي القبيلة التي منها المزارع والذي يعود لمقره العادي في الأغلب خلال فترات زمنية معينة"<sup>(8)</sup>.

إن هذا التنقل بين المقر العادي وأرض الحرث والرعي في السهول، هو تنقل لنوع من الزراعة، وإذا كانت أراضي البساتين ملكاً لأفراد وتدار من خلال أفراد العائلة في الأغلب "فإن أراضي الزراعة المتنقلة التي تزرع شعيراً قد تكون ملكاً لأفراد، أو تدار من القبيلة، ويتعهد المشايخ في الحالة الأخيرة بأمر توزيعها سنوياً على مختلف العائلات"<sup>(9)</sup>، وإن حدث نزاع أو خلاف حول الأراضي القبلية فإنها تسوى وفق أعراف أهل البلد أمام المجالس القبلية.

تعدّ أنماط الزراعة المحلية المختلفة والمتمثلة في "بساتين الواحات، المزارع الجافة في الجبل، النشاطات الرعوية، والزراعة المتنقلة مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، وقد سلم الفنيون الإيطاليون بمنطقة هذا النظام، وأعجبوا بالطريقة البارعة في استغلال حتى أكثر المصادر الهامشية"<sup>(10)</sup>.

وقبل تتبع أنماط الزراعة عند الليبيين، يجب علينا الإجابة عن السؤال الآتي:



ما هو تأثير حركة الاستعمار الاستيطاني الزراعي الإيطالي على أنماط الزراعة المحلية؟

أثرت عملية الاستيطان الزراعي الإيطالي على الليبيين سلباً، إذ على ضوءها بدأت الحكومة الإيطالية في الاستحواذ على الأراضي الصالحة للزراعة، حيث صادرت أراضي كل من وقف ضدها، إضافة إلى الشراء القسري واستغلال عمليات الرهن، وقام بعض الإيطاليين بتأجير أراضي من ليبيين واستغلالها كنوع من الاستثمار، ولأجل إقامة المشاريع الاستيطانية اتبعت إيطاليا سياسة تقوم على إبعاد الأهالي من أراضي السهول التي كانت تستغل من قبلهم فيما يعرف بأنماط الزراعة المحلية، الأمر الذي ترتب عليه صعوبة الحياة المعيشية للأهالي بعد أن تدنى إنتاجهم الزراعي والحيواني، ومن ثم ترك العديد منهم الأراضي التي كانوا يستغلونها سواء المملوكة أو الداخلة تحت الملكية الجماعية (القبلية)، حيث انتقلوا إلى المدن كعمالة في المشاريع المدنية، وخدمة المشاريع الاستيطانية بأجور منخفضة.

حاولت الحكومة الإيطالية تغيير أسلوب الزراعة التقليدية لليبيين بدفعهم لاتباع برامج تسهم في معالجة التدني المترادف في إنتاجهم، من دون تقدير أن الزراعة المحلية يتحكم في تطورها عوامل متعددة منها: - عدم توفر مساحات واسعة من الأرض، وقلة الموارد المادية، وندرة المياه، وعلى الرغم من اعتبار الإيطاليين للزراعة المحلية زراعة بدائية إلا أنهم استفادوا من أسلوب الليبيين في زراعتهم، كما استعانوا باليد العاملة المحلية، مع تشكيكهم في قدرتها المهنية مفضلين ذلك ( نتيجة أجرتها المنخفضة، وعدّوا الاستعانة

بالعمالة المحلية بأنها تخلق علاقات تفاهم مع الأهالي، ويحد من ظاهرة الترحل<sup>(11)</sup>، ويدفع إلى الاستقرار، الأمر الذي يخدم الجوانب الأمنية والدعائية لإيطاليا وبناء على ذلك عملت الحكومة الإيطالية على وضع نظام حوافز للأهالي باعتماد منح مساحات من الأراضي في حدود "أربعة هكتارات" أنقصتها إلى "هكتارين" لإرضائهم وتعويضهم عن أراضيهم التي سلبت لصالح المشاريع الاستيطانية، مع (اشتراطها أن يقدم الليبيون المستفيدون من تلك الأراضي ما يفيد ملكيتهم لمساحات مماثلة، ومن ثم اقتصر الاستفادة من تلك الحوافز على أعداد قليلة من الأهالي نظراً إلى صعوبة حصول الكثيرين على إثبات ملكيتهم لأراضي)<sup>(12)</sup>، كما أن الحكومة الإيطالية منحت الأهالي في برقة الحق في رعي قطعانهم في مساحات محددة في المناطق المخصصة للاستيطان الزراعي الإيطالي.

لم يتقبل الكثير من الأهالي تغيير أنماط معيشتهم وفلاحتهم المرتبطة بعاداتهم وأعرافهم، فقد تمسك الليبيون في إدارة أراضيهم وفق ما تعارفوا عليه من أشكال الاستغلال، والتي في معظمها يتم تأكيدها وفق اتفاقات شفوية، وإن كانت توثق أحياناً كتابياً وقد تسجل في المحكمة.

### 1- أنماط الزراعة المروية:

تشغل الزراعة المروية مساحة بسيطة من المنطقة الساحلية، وتعتمد على عدد من الآبار السطحية، واعتماد الأهالي على زراعتهم المروية على الجهد الإنساني والحيواني حد من التوسع في زراعة مساحات واسعة من الأرض، إضافة إلى عدم توفر موارد مالية لشراء أراضي لتوسيع زراعتهم، وتوفير

المعدات، إضافة إلى البذور، وغيرها، ويمكننا الإشارة إلى بعض أنماط الاستغلال الزراعي المعتمدة على الري.

#### أ- المغارسة:

تُعدّ المغارسة من الأنماط الزراعية المعمول بها في ليبيا إسوةً ببلدان أفريقيا الشمالية منذ القدم، ومن ثم أصبح العمل بموجبها من التقاليد والعادات المحلية، ويكتسي هذا النمط أهمية من خلال اعتماده على المشاركة في الإنتاج والأرض معاً.

تناول بعض الكتاب الإيطاليين أهمية المغارسة من ذلك مثلاً يذكر فالينزي عن عقد المغارسة أنه "العقد الذي يلتزم بموجبه المعمار التزاماً حيال مالك الأرض يقضي بغرس أصناف معينة من الأشجار في أرض جرداء على أن يحصل مقابل هذا العمل على جزء من الأرض المستصلحة كملك له"<sup>(13)</sup>.

إذن وفق عقد المغارسة يستطيع صاحب أرض جرداء تماماً أن يعهد بها إلى فلاح ليقوم باستصلاح واستثمار مساحتها بغرس الأشجار فيها على نفقته الخاصة، ويستمر في رعايتها والعناية بها حتى دخولها مرحلة الإثمار، فيتم حينئذ اقتسامها بحسب ما اتفق عليه في عقد المغارسة، ونظراً إلى قدم التعامل بعقود المغارسة فإن ذلك كان من أسباب تقبل الأهالي للعمل بموجبها، يقول دي ليون "لقد اقتضت المصلحة قبول الأهالي العمل بالمغارسة ولو لم تقن وتدرج في تشريعاتهم"<sup>(14)</sup>.

يطبق عند المغارسة في البلاد الليبية وإن كان دوره محدوداً في إقليم برقة وذلك بسبب "قلة الأرض التي تصلح أن تنشأ فيها بساتين على نطاق

واسع<sup>(15)</sup>، ويرتبط بهذا النمط عديد الشروط من ذلك "وصف الأرض وبيان حدودها ونوعية وعدد الأشجار التي يجب غرسها فيها، ووصف أعمال التغيير العقاري والفلاحي للأرض، وكيفية تقاسم المحاصيل التي تتضج خلال فترة التعاقد"<sup>(16)</sup>، إضافة إلى الأعمال الأساسية المطلوب من الفلاح تنفيذها، بل هي ملزمة لاكتسابه ملكية جزءا من الأرض، إذ يتوجب عليه "حفر البئر وإعداد شبكة المياه، والجابية، وإعداد حُفر غرس الأشجار، وإقامة مصدات الرياح، وأن يتحمل تكاليف شراء المواد اللازمة لإنجاز العمل"<sup>(17)</sup>.

ومن أهم شروط عقود المغارسة ضرورة تحريرها من "نسختين أمام القاضي كما يحدث أحيانا إيداع النسختين لدى دائرة الأملاك في المستعمرة، وعدم وجود صورة خطية يبطل صلاحية عقد المغارسة"<sup>(18)</sup>، لهذا يحرص طرفا المغارسة على الحصول على نسخة من العقد تجنبا لأي منازعات أو خلافات على بنوده، ومما يبطل عقد المغارسة كذلك عدم التزام المزارع بتنفيذ العقد، فيما يخص استصلاح الأرض، وإذا اهتم المزارع "بالزراعات المختلفة بين صنوف الأشجار فإن محاصيلها تقسم عادة مناصفة مع مالك الأرض إذا هو من وفر البذور وإلا فلا ينوبه سوى الربع من تلك المحاصيل"<sup>(19)</sup>.

ويعد عقد المغارسة الوحيد الذي ينظم العلاقة بين مالك الأرض والمزارع ويكفي تذكير ملاك الأرض أن بواسطة المغارسة يمكنهم رؤية أراضيهم مستصلحة ومثمرة من دون تحمل نفقات، أما المزارعون محدودو الموارد

المالية فيمكنهم أن يتحولوا إلى ملاك للأرض، إضافة إلى ارتفاع مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية.

#### ب- عقود العمل في البساتين:

كثيرة هي عقود العمل الزراعي المطبقة في بساتين الأهالي من ذلك "عقود استصلاح واستثمار الأراضي غير المستغلة، أي استصلاح الأرض الجرداء المهملة عن طريق عمل مقاول مباشرة، أو عن طريق عمل أجير، أو مقابل حصة من محصول زراعي، أو أسلوب شبيه جداً بالمغارسة"<sup>(20)</sup>.

يفضل بعض ملاك الأرض عقود المشاركة في المحاصيل بنسب تتفاوت بحسب أنواع المزروعات "نباتية أو أشجار"، وجرت العادة والتقاليد المتعارف عليها بموجب هذه العقود على "فصل المزروعات النباتية عن الأشجار المغروسة التي تكون في العادة من النخيل المثمر مع الاتفاق على نوع من المشاركة في محاصيل الحقل تختلف عن محصول التمر ولو كانا في بستان واحد"<sup>(21)</sup>، في هذه الحالة يتم إبرام عقدين منفصلين أحدهما يتعلق بالمحاصيل الحقلية والآخر بمحاصيل الأشجار.

يهتم ملاك البساتين بغرس الأشجار بأنفسهم، أو من خلال إجراء لهم دراية بغرس الأشجار وخاصة التي تحتاج إلى أيدي عاملة متخصصة، مثل أشجار النخيل التي "تحتاج عملية غرسها وجمع محاصيلها إلى قدرة على التسلق للقيام بعملية الزبر والتفقيح وربط وجمع العراجين، حيث توجد فئة من العمال يسمون (الوبارة) ينفذون هذا العمل بناء على خبرتهم"<sup>(22)</sup>، أما أكثر العقود شيوعاً عقد بالنص أي (مناصفة) والذي يشتمل على نقاط تشابه

مع عقود المناصفة الإيطالية المعروفة باسم (ميزادريا) بموجب عقد المناصفة يعهد صاحب بستان لفلاح لكي يزرع فيه خضروات ونباتات مختلفة ويتولى كافة الأعمال الضرورية للإنتاج، وصاحب الأرض يوفر كل التجهيزات الخاصة بالعملية الإنتاجية من معدات الري، والبذور، والأسمدة، ودواب العمل والنقل، كما يتكفل بأجرة من يتم الاستعانة بهم من أجراء. وعقد المناصفة "تمتد صلاحية وسريان مفعوله لمدة سنة قابلة للتجديد لمدة غير محددة، ومن الممكن عدّه صالحاً لموسم زراعي واحد وأحياناً يعقد لمدة ثلاث سنوات إذا توفرت الرغبة في توسيع نطاق بعض الأصناف من المزروعات"<sup>(23)</sup>.

ويعد الاعتماد على الإجراء أحد أسس التعامل وخاصة في حالة عجز صاحب البستان على القيام بالأعمال اللازمة لبستانه شخصياً أو بواسطة عائلته فإن مالك الأرض "يستخدم إجراء (بأجر يومي، أو موسمي، أو سنوي) يسد لهم أجورهم المستحقة بحسب ما يتم الاتفاق عليه، وتقره الأعراف والتقاليد"<sup>(24)</sup>، قد تتعدد العمليات الزراعية فيتم اللجوء إلى أسلوب من العمل يقوم على التعاون مع الأقارب والجيران "الذين يسارعون إلى تقديم المساعدة حينما وجبت، ويكافئهم صاحب العمل بتقديم وجبات الطعام في أوقات تنفيذ العمل المطلوب شريطة مبادلتة بعمل يقوم به المزارع شخصياً أو بواسطة تكليف من يقوم مقامه، كتسديد للدين أي ما قدم له من عمل"<sup>(25)</sup>، وهذا العمل التعاوني لا يقتصر على المجال الزراعي بل يتعداه إلى العديد من الأعمال

التي تحتاج إلى التعاون مثل بناء المساكن على بساطتها، أو جمع حطب، أو حفر بئر وغيرها.

وقد شاع فيما مضى عقد يعتمد أجراً يقدر بخمس المحصول للعامل الذي يطلق عليه (الخماس)، وهو الذي يقوم بتسيير العمل في البستان على أساس المشاركة، إذ "يحصل بمقتضاه على خمس المحصول فقط، البقية تؤول لصاحب الأرض والقسمة تجرى إما على المحصول بكامله أو على ما يدره من دخل إجمالي"<sup>(26)</sup>، هذا وقد قل العمل بموجب هذا العقد، وربما يرجع ذلك إلى حالة الفقر التي تفشت في البلاد مما اضطر معه ملاك الأراضي إلى تولي خدمة بساتينهم بأنفسهم للاستفادة ما أمكنهم من محاصيل البستان من دون إشراك الغير.

### ج- العمل مقابل أجر في الأرض المروية:

الأجر اليومي للعامل العادي أسلوب شائع التعامل على أساسه، فالعامل بالأجر اليومي يتعلق عمله بجمع محاصيل الأشجار والخضروات المختلفة، ويتم "اختيار العمال من هذه الفئة من بين العناصر المهاجرة القادمة من مناطق أخرى من عابري السبيل بحثاً عن عمل، والأجرة اليومية تقدر وتدور بين 4 إلى 5 ليرات في اليوم الواحد من دون تقديم طعام أو من 2 إلى 3 ليرات بالإضافة إلى الطعام"<sup>(27)</sup>، أما الأعمال الفلاحية الأخرى فيستمر في تنفيذها أفراد عائلة صاحب البستان، إضافة إلى الأجرة اليومية هناك من العمال من يرتبط بالعمل بشكل موسمي، وهذا الصنف يُعدّ أيدٍ عاملة متخصصة، وهي "تمارس أوجه الأنشطة الزراعية أياً كانت بما فيها طويلة

الأجل ومن أهمها سحب الماء ورفعها من الآبار ليوزع عبر القنوات وهؤلاء يسمون بالعامية الجبّاد<sup>(28)</sup>.

وتتناقص الأيدي العاملة في موسمي زراعة الحبوب والحصاد نظراً إلى عودة الكثير من الأيدي العاملة إلى مواطنها الأصلية للقيام بالعمليات الخاصة بزراعة الحبوب لأهميتها للأهالي، كما أن الكثير من العمال ينخرط في العمل بالمشاريع العامة، ومن هنا تختلف أجور العمال ارتفاعاً وانخفاضاً "فالأجور كانت بوجه عام مرتفعة بفعل تأثير التقلبات السياسية إذ بلغت مستويات عالية من 15 إلى 20 ليرة للعامل اليومي وبين 300 إلى 500 ليرة للأجور الشهرية، وقد مرت هذه القيم من الأجور مجالات من التآرجح وعدم الاستقرار حيث سجلت هبوطاً بلغ ما بين 5 إلى 7 ليرات للعامل اليومي وبين 130 إلى 150 للأجور الشهرية"<sup>(29)</sup>، وعلى الأغلب فإن أجره الأجير الموسمي تكون "بوجه عام منخفضة نسبياً، وهي على كل حال أقل من التقديرات المذكورة ومبلغها متوقف على طبيعة العمل المطلوب تنفيذه من الأجير والفترة التي يستغرقها، وبالنسبة إلى الأجير الموسمي يقدم إليه الطعام والإيواء طوال مدة العمل، ويمكن استخدامه في فترة ري المزروعات كجبّاد"<sup>(30)</sup>، أما العامل بعقد سنوي (بالحول) فيحصل على أجر نقدي يتفاوت بحسب تفاوت الأعمار ومهارة العامل إذ يتراوح بين 150 و300 ليرة في السنة بالنسبة إلى ما يدفع للشباب وبين 400 / 500 ليرة لمن بلغ سن الرشد، إضافة إلى تكاليف معيشة العامل على حساب صاحب الأرض، وكثيراً ما يُعدّ أحد أفراد عائلة المزارع وله الحق في الحصول على بعض



الملابس<sup>(31)</sup>، وكثير منهم يقوم بهذا العمل مقابل حصة معينة من محصول التمور، وهناك من يتقاضى أجره يتفق عليها للقيام بهذا العمل بأجر يومي، أو تقديم العمل لعدد من أشجار النخيل، أو أجره عن كل نخلة على حده، ومن أساليب بيع محاصيل التمور بيعها وهي "لا تزال في عراجينها بالنخيل بمبلغ إجمالي لتجار يتولون جمع المحصول لحسابهم، ويتم ذلك أحياناً بموجب عقود ومقابل ثمن يتفق عليه بالنسبة إلى كل كمية تجمع من هذا المحصول"<sup>(32)</sup>.

## 2- الزراعة البعلية:

انتشرت أنماط وأشكال الزراعة البعلية في العديد من مناطق ليبيا، وإن تميزت كل منطقة بخصائصها التي فرضتها طبيعة أرضها، وعدد من العوامل الأخرى، سواء البشرية أو الاقتصادية، وقد خلقت أنماط الاستغلال نوعاً من التنوع في اختيار الأهالي لما يناسبهم بالاعتماد على أعرافهم وعاداتهم، وإن غلب على الزراعة البعلية الاهتمام أساساً بزراعة الحبوب، وخاصة الشعير والقمح لأهميتها في حياة أهل البلد.

### أ- عقود زراعة الحبوب:

تعد زراعة الشعير ذات أهمية كبيرة بعدّه يمثل الغذاء الرئيس للأهالي ويُعتمد عليه في إغلاف حيواناتهم حبوباً وتبناً، ويأتي في المرتبة الثانية في الأهمية القمح، وما يميز الشعير أنه "محصول يتحمل أكثر من القمح الظروف المناخية وفقر التربة، زد على ذلك نضوجه الذي يحصل في فترة

مبكرة يؤلف ضماناً مهماً لنجاح عملية زراعته كما أن تبنيه هو انفع من تبين القمح" (33).

إن عملية زراعة الحبوب تتحكم فيها عديد العناصر يأتي في مقدمتها اتساع رقعة الأرض، وتوفر الإمكانيات المتمثلة في أدوات العمل، والدواب، واليد العاملة إضافة إلى قدرة ملاك الأرض المادية لتسيير الأعمال الزراعية، وقد يعتمد ميسورو الحال من ملاك الأرض على "استئجار عمال مقابل أجره نقداً أو عيناً، وهذا النمط يطبق في الأعمال المتعلقة بزراعة الحبوب، أما من لا تتوفر لديهم الإمكانيات المادية للصرف على عمليات زراعة الحبوب فيفضلون إبرام عقد مع فلاح أجير يتجدد سنة بعد أخرى، يقضى بالمشاركة في الأرباح وتقاسمها بينهما، أما من لا يملك أرضاً فيمكنه توظيف ماله من خلال عقد مشاركة في الأرباح الناتجة عن جهد وعمل المزارع" (34).

يتم دفع مبلغ على الحساب للفلاح أحياناً وتُعدّ منحة في حالة ما إذا كان المحصول الزراعي جيداً أو بُشر بذلك، وإذا تجاوزت المبالغ المدفوعة للفلاح حداً معيناً أو في حالة توقع محصول غير وفير ورب العمل لا يرغب في منح مبالغ مالية مقدمة تجنباً لخلق مشاكل الديون يلجأ الفلاح إلى الاستدانة من طرف آخر وكان لليهود وخاصة التجار منهم دور بارز في هذا النشاط من خلال "تعاطيهم أنواعاً من التسليف الربوي، ومن ذلك أحياناً اللجوء إلى بيع المحصول الزراعي ولما ينضج وذلك لتسديد القرض الربوي الذي أُتقل به اليهودي كاهل الفلاح، وكثيراً ما يباع هذا المحصول في مثل هذه الظروف بأسعار أقل من أسعار السوق" (35)، على العموم فإن أصحاب

المشروع الزراعي عادة يكونون على صلات ودية مع الفلاحين وفي تعاون مستمر ويسعى أرباب العمل إلى مساعدتهم، وتمكينهم من قضاء حاجاتهم بمنحهم مبالغ من دون فوائد، ويستردونها منهم لدى قسمة المحصول.

تُعد عقود المشاركة الأكثر أهمية وانتشاراً وتأخذ أساليب مختلفة من التطبيق وإن كانت لا تخرج من اتفاقات شفوية محددة بدقة، تراعى توزيع المنتج وفق نصيب كل عنصر من عناصر الإنتاج.

تدار عملية زراعة الحبوب في معظم الأحيان وفقاً لمبدأ المشاركة، ويتم توزيع الإنتاج على العناصر الأساسية للعملية الإنتاجية المتمثلة في الأرض، البذور والمعدات، عمل الإنسان، الدواب حيث توزع الحصص على أساس أن لكل عنصر من هذه العناصر الربع من المنتج، إلا أن هذا التوزيع قد يتغير من منطقة إلى أخرى بسبب "اختلاف طبيعة الأرض من حيث الصلابة والليونة، وكذلك ما يتعلق بسوق اليد العاملة من الوفرة والنقص"<sup>(36)</sup>.

إضافة إلى متغير آخر متعلق بالأرض من حيث نمط الملكية هل هي مملوكة ملكية خاصة، أم هي مملوكة لقبيلة، أم هي مؤجرة، أم هي داخلة في إطار النظام العقاري الإيطالي، فلكل نوع من مكونات عنصر الأرض له وضعه الخاص في تطبيق مبدأ المشاركة، فمثلاً الأرض الواقعة تحت النظام العقاري الإيطالي تمنح من قبل السلطات الحاكمة "للاغبين في استثمارها من المزارعين من أبناء البلد مجاناً بعد الحصول على إذن كتابي من السلطات الإدارية وهذا يمكن نيله بسهولة"<sup>(37)</sup>، ومن ثم توضع الأرض تحت تصرف من يتولى تسيير العمل في عملية زرع الحبوب وفق الأنماط المتعارف عليها

داخل عقود المشاركة والتي من أهمها عقد المزارعة، عقد رباع الحرث، عقد رباع الحصاد.

### 1- عقد المزارعة:

عقد يبرمه فلاح يمتلك كافة وسائل تنفيذ عملية زراعة الحبوب باستثناء البذور، ويشترك مع شخص يزوده بها شرط أن يصبح شريكا في المحصول الناتج من العملية الزراعية، وهذا الصنف من العقود أصبح غير شائع بسبب "انخفاض ثمن الشعير في السوق الأمر الذي لا يضطر معه فلاح بسبب حاجته إلى البذور من إشراك طرف أو أطراف فيما يعود من وراء العملية الزراعية من فوائد ومحاصيل"<sup>(38)</sup>، في حين استمر ما كان معمولاً به وفق عقد المزارعة في بعض المناطق الأخرى، إذ يتغذى الفلاح بشعير يتناوله من المحصول الذي تم حصاده، ويستعين بكمية منه في إعلاف الدواب.

أما تقسيم المحصول فيتم بطريقتين :- أحدهما في حالة حصول الفلاح مجانا على الشعير الخاص بتموينه طوال فترة زرع البذور أم لا "في الحالة الأولى يقسم المحصول وهو لا زال في تبنة مناصفة وبالتساوي وفي الحالة الثانية يحق للفلاح أخذ ربع المحصول حبوباً لنفسه، وتقسم الثلاثة أرباع الأخرى مع المزود بالبذور مناصفة، وبذلك تكون حصة باذر الحبوب خمسة أثمان المحصول برمته، وموفر البذور ثلاثة أثمان فقط، وباقي المحصول المتبقي في تبنة يقسم مناصفة على أن يهتم كل طرف من الشركاء بنقل نصيبه"<sup>(39)</sup>.

## 2- عقد رباع الحرث:

رباع الحرث هو الشخص الذي يتولى بذر الحبوب مقابل حصة من المنتج تتراوح بين الثلث، أو الربع، أو الخمس، وهذا التنوع في الحصص يعتمد على وفرة المحصول، وهذا النوع من العقود يبرم عندما تتوفر لدى رب العمل كافة الوسائل اللازمة للحرث، ويتضمن العقد نصاً خاصاً بالمشاركة للزارع الذي يتولى بذر الحبوب.

وفق هذا العقد رب العمل يوفر البذور، والحيوانات، والتجهيزات اللازمة لإنجاز العملية الزراعية، إضافة "لاهتمامه بطعام العامل المختص ببذر الحبوب وعلف الحيوانات طيلة مدة الزرع مع السماح له بأخذ حصة من الشعير يومياً من الكمية غير المقسمة من الحبوب المنتجة أثناء جني المحصول، وقد جرت العادة في إقليم برقة على حصول العامل على مكافأة التكافل التي تعرف باسم (الشحمة)، ومنحه حق زراعة كمية من الحبوب لحسابه وعلى نفقته كما يجوز له الاستعمال المجاني لكل مستلزمات الحرث من حيوانات وتجهيزات خاصة بالعمل"<sup>(40)</sup>.

## 3- رباع الحصاد:

هو العامل المختص بإنجاز عملية الحصاد، والذي له ربع الإنتاج، وبموجب عقد رباع الحصاد رب العمل ملزم بتوفير المعدات اللازمة لعملية الحصاد والدراس وتوفير خيمة تأوى العامل مع السماح له "باستقطاع قدر من الشعير غير المقسوم لأجل طعامه وأعلاف حيواناته أثناء فترة العمل، إضافة إلى المصاريف المخصصة للإعاشة، كما يحصل على مكافأة تشغيل

في السنة جيدة المحصول، إضافة إلى حصته من المحصول بين الثلث إلى الخمس في السنوات جيدة المحصول وفي بعض الحالات تخفض إلى السدس أو السبع، أما التبن فيبقى بكامله لرب العمل<sup>(41)</sup>.

وفق عقود المشاركة يتم تطبيق زراعة الحبوب بعقود عمل مقابل أجر ولفترة زمنية محددة أو بأجر مقطوع، الصنف الأول هو الأكثر انتشاراً، حيث يتم إبرام عقد "لمدة شهرين اثنين ويسمى كراء، ويعني إيجار أو فترة عمل تخص كامل موسم زرع الحبوب، وتتفق الأطراف المتعاقدة على موعد البداية من خلال مسار الموسم ويرتبط المزارع بتأدية العمل من بداية الزرع، ويسمى (نزول المحراث) لفترة 60 يوماً اللاحقة وبحسب حالة الطقس بعد مضي هذه الفترة ينتهي العقد، ويصبح المزارع حراً حتى لو لم ينته العمل"<sup>(42)</sup>، أي فترة أخرى بعد ذلك يتم الاتفاق على أجرتها على حده.

ومن الأنماط المصاحبة للزراعة البعلية والمرتبطة بالحبوب استئجار امرأة لإعداد الطعام وخدمة العاملين في زراعة الحبوب تسمى (النفاقه) "ويمكن أن تكون زوجة العامل وتدفع لها أجرتها على حده من قبل الجانب الموفر للبذور، وأجرة النفاقه يتفق عليها مسبقاً وهذه الأجرة تتراوح بين 30، 40 ليرة عن كامل فترة العملية الزراعية وكثيراً، ما تعطى هذه المرأة مكافأة كاعتراف بجودة خدمتها تكون كمية من محصول آخر ساعة من الشعير، إضافة إلى بعض المواد التموينية"<sup>(43)</sup>.

### الغائمة:

أظهرت المصادر الأجنبية التي اعتمدت عليها في إعداد هذا البحث مدى تفهم، وتقدير الكتاب والفنيين الإيطاليين لظروف وقدرة الليبيين على النجاح بالاعتماد على أنماط زراعتهم بل إنهم حاولوا الاستفادة من أساليب الليبيين في الزراعة.

اقتصرت الدراسات التي تناولت الزراعة عند الليبيين في عهد الحكم الإيطالي للبلاد على إقليمي طرابلس وبرقة حيث تركزت جهود إيطاليا في التوسع الاستيطاني على المنطقة الساحلية من الإقليمين لملائمتها لذلك، أما الجنوب فلم يلق كبير اهتمام من الدراسات والمصادر الأجنبية، ويمكن إرجاع ذلك لتأخر السيطرة عليه من قبل السلطة الإيطالية الاستعمارية، وأيضاً قد يكون مرد ذلك نزوح عديد القبائل من عدة مناطق إلى الجنوب، مما خلق وضعاً أمنياً غير مستقر، إضافة إلى أن الزراعة في جنوب البلاد كانت في نطاق محدود بسبب طبيعة الإقليم الصحراوية وإن كان ذلك لم يمنع ازدهار غرس أشجار النخيل الذي شكل مصدراً مهماً لاقتصاد جنوب البلاد.

### الهوامش

---

\* البساتين، السانية، الحديقة، تسميات واحدة

- (1) جريدة طرابلس الغرب، العدد 2482، بتاريخ الأحد 30 ذو القعدة 1370 هجري 2 سبتمبر 1951، تقرير الأمم المتحدة عن الاقتصاد الليبي.
- (2) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية المترجمة، (الاستعمار المكثف)، ص2، انظر الملحق رقم 1.
- (3) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية المترجمة، (أنماط من حياة الأهالي في ليبيا)، ص3، انظر الملحق رقم 2.
- (4) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (5) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية المترجمة، التعمير الزراعي الاستيطاني في طرابلس الغرب (تحرير أيما نويلى ديني شيليس)، ص1، انظر الملحق رقم 3.
- (6) مصدر سبق ذكره، (أنماط من حياة الأهالي في ليبيا)، ص5.
- (7) جان دييوا، الاستعمار الإيطالي في ليبيا طرقه ومشاكله، ترجمة هاشم حيدر، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1968، ص67.
- (8) مصدر سبق ذكره، التعمير الزراعي الاستيطاني في طرابلس الغرب، ص1.
- (9) جريدة طرابلس الغرب، العدد 2482 مصدر سبق ذكره.



- (10) كلوديو سيجري، الشاطئ الرابع، الاستيطان الإيطالي في ليبيا، ترجمة عبدالقادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2006، ص276.
- (11) مصدر سابق التعمير الزراعي الاستيطاني في طرابلس الغرب ص3.
- (12) كلوديو سيجري، مصدر سابق، ص278.
- (13) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية المترجمة، (عقود عمل تحسين الاراضي)، المغارسة، ص8، أنظر الملحق رقم 4.
- (14) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (15) مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية المترجمة، (عقود إعداد أرض بساتين جديدة للفلاحة)، المغارسة، ص1.
- (16) المصدر نفسه، ص2.
- (17) المصدر نفسه، ص3.
- (18) المصدر نفسه، ص2.
- (19) مصدر سبق ذكره، (عقود عمل تحسين الأراضي) ، ص10.
- (20) المصدر نفسه، ص6.
- (21) مصدر سبق ذكره، (عقود إعداد أرض بساتين جديدة للفلاحة)، ص4.
- (22) المصدر نفسه ، ص9.

- (23) مصدر سابق، (عقود إعداد أرض بساتين جديدة للفلاحه)، ص7.
- (24) مصدر سابق (عقد إدارة البساتين والمزارع إدارة مباشرة وبالعامل الأجير)، ص19.
- (25) المصدر نفسه، الصفحة نفسها.
- (26) مصدر سابق، (عقود إعداد أرض بساتين جديدة للفلاحه)، ص8.
- (27) مصدر سابق، (إدارة البساتين والمزارع إدارة مباشرة وبالعامل الأجير)، ص20.
- (28) مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الاجنبية المترجمة، (العقود الزراعية المبرمة مع أهالي برقة)، ص2، انظر الملحق رقم 5.
- (29) المصدر نفسه، ص3.
- (30) مصدر سابق، (إدارة البساتين والمزارع إدارة مباشرة وبالعامل الأجير)، ص20.
- (31) المصدر نفسه ، ص2.
- (32) المصدر نفسه ، ص10.
- (33) جان دييوا، مصدر سابق، ص105.
- (34) مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية المترجمة، (عقود زراعة الحبوب في اقليم طرابلس، استتجار عمال مقابل دفع الأجرة نقداً أو عينا)، ص1، انظر الملحق رقم 6.

- (35) مصدر سابق، (العقود الزراعية التي تبرم مع الأهالي في برقة) ، ص10.
- (36) مصدر سابق، (عقود المشاركة في زراعة الحبوب) ، ص4.
- (37) مصدر سابق، (العقود الزراعية المبرمة مع الأهالي في برقة) ، ص11.
- (38) المصدر نفسه، (عقود المشاركة في العمليات الزراعية) ، ص12.
- (39) مصدر نفسه، نفس الصفحة.
- (40) مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، قسم الوثائق الأجنبية، النص الإيطالي (رباع الحرث)، ترجمة علي الهازل، ص429.
- (41) المصدر نفسه، ص430.
- (42) نفس المصدر، نفس الصفحة.
- (43) مصدر سابق، (العقود الزراعية المبرمة مع الأهالي في برقة)، ص8،9.

9

*Intensive Colonization:  
The Perspective of the Libyans*

As the Italian colonists settled down to work their farms, what was to be the fate of the indigenous peoples? The colonists created a growing population pressure on resources which for centuries had yielded a bare living at best. For both peoples to survive without a major upheaval, the Italians had to reach some kind of accommodation with the Libyans.

The vast majority of the indigenous peoples squeezed their livelihood from a subsistence-level agriculture concentrated in an area that comprised less than 3 percent of the colony's vast territory. About 90 percent of the Libyans, who totaled about 800,000, lived in an area of 44,600 square kilometers which was suitable for agriculture.<sup>1</sup> Only about 15 percent of the work force was engaged in manufacturing—mostly handicrafts and food processing—and less than 5 percent worked in trade. Thus more than 75 percent of the indigenous population, including all the major ethnic groups except the Jews, relied on agriculture.<sup>2</sup>

The arrival of the colonists in 1938–39 meant that the Italians would compete far more directly with the Libyans for the area's limited agricultural resources. Until the mass migrations, the majority of the Italian population was engaged in civil service and manufacturing, with only 15 percent working in agriculture.<sup>3</sup> By about 1940, with the influx of colonists, the portion of the Italian labor force working in agriculture had risen to perhaps as high as 40 percent.

Nor was the competition from the colonists likely to diminish in the future. Within the agricultural zone, the Italian population was growing faster than the Libyan. During the last four years of colonization activity, the Italian population in every district of Northern Tripolitania except Sabratha and Zuara expanded at a more rapid rate than did the indigenous population.<sup>4</sup> The Italian increase was due primarily to the mass immigrations. But there are also indications that

①

الملحق رقم 1 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، قسم الوثائق الأجنبية  
المترجمة

is crumbling; it is no longer the tribal division that is the social cell, as it still is in the west, but the little family group. The idea of the tribe, crystallized by the demands of war, has been practically forgotten.

#### THE VILLAGERS OF THE JEBEL

Rising above the plain, the rocky ranges of the Jebel, cut by numerous ravines and uniting in the south in a vast plateau, the Dahar, support numer-

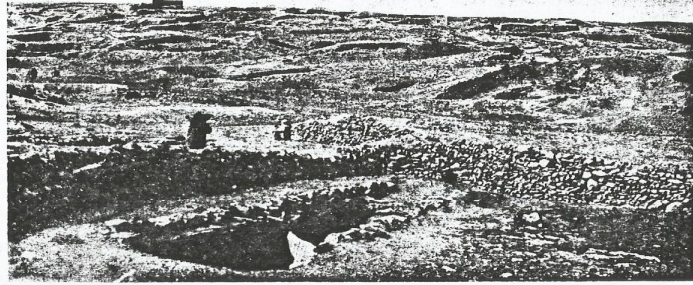


Fig. 13—Troglodyte dwellings at Nalut.

ous villages.<sup>6</sup> In this mountainous milieu, a little more watered and temperate than the plains, peoples have maintained themselves or have taken refuge. Springs, stream water carefully conserved, dry farming in the regions with sufficient rainfall make of the Jebel a country of tree crops: modest clusters of palms crowd around the springs; numerous small fig trees mount the valleys and scale the slopes of crumbling terraces; olives line the vales or dot the plateau.

But there is very little space for cereal crops, and the talus-covered slopes of the ravines afford only pasturage for goats. However, the people of the mountain have annexed for themselves the southern border of the Jefara, the Dahar, and even vast parts of the Gibla. The piedmont of the Jebel,

<sup>6</sup> Società Italiana per lo Studio della Libia: La Missione Franchetti in Tripolitania: Il Gebel, Florence and Milan, 1914; Jean Despois: Le Djebel Nefousa, Paris, 1935.

الملحق رقم 2 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، قسم الوثائق الأجنبية  
المترجمة

suo terreno seminato che nei due periodi di lavoro, coincidenti con la semina e la raccolta.

Ma poiché nelle zone settentrionali lo sfruttamento del terreno a pascolo o seminativo viene, di norma, esercitato nei confini territoriali della propria tribù, per cui il ritorno alla sede è quasi costante in determinati periodi, non può parlarsi di un vero nomadismo ma di un'agricoltura e di agricoltori transumanti.

In Tripolitania, le oasi di el-Agêlat e di Zuara, oasi duniche, ristrette, povere, senza pozzo o con rari pozzi, in cui la coltura arborea è quasi esclusivamente rappresentata dalla palma e quella erbacea dall'orzo o dal frumento, non possono rappresentare un fattore importante dell'economia agraria del paese.

I giardini dell'oasi di Tripoli, grazie alla tranquillità ed alla sicurezza esistente nella Regione, agli importanti provvedimenti di Governo presi a favore dell'agricoltura indigena, ai bisogni determinatisi dalla crisi alimentare prodotta dalla guerra, sono oggi tutti coltivati, e relativamente alla particolare economia agraria indigena, con una intensità di coltivazioni che può considerarsi come grandissima; in ogni modo come mai essa è stata, anche durante le epoche precedenti la nostra occupazione. Tale intensità per altro, potrebbe ancora accrescersi, ove fosse possibile accrescere il numero degli animali da lavoro (vacche) destinati all'elevazione dell'acqua dai pozzi, unica deficienza che si lamenta. La popolazione che vi risiede oggi è numerosa, stabile, agiata e tranquilla.

Le altre oasi costiere di una certa importanza: Zauia, Zanzur, Sahel di Homs, Zliten, hanno subito durante gli ultimi anni la furia devastatrice della guerra. Le loro condizioni quindi si possono considerare peggiori di quelle che erano all'epoca della nostra occupazione, e per molti riguardi, simili a quelle ben note, che caratterizzavano l'oasi di Tripoli nel 1912.

I centri agricoli stabili dell'interno invece, sono stati molto meno colpiti dalla guerra e le loro condizioni sono presso a poco immutate.

La steppa poi è dappertutto quella che è stata e che in gran parte sarà, perché si tratta di terreno coltivabile non ancora appoderato.

Ciò premesso, la popolazione indigena della Tripolitania essenzialmente agricola, come si è visto, dev'essere considerata, nei rapporti con l'agricoltura colonizzatrice, essenzialmente sotto un triplice punto di vista.

1° - Come occupante il suolo agrario tripolitano: tale questione, che costituisce il nucleo del problema della colonizzazione verrà trattata ampiamente più avanti.

2° - Come fornitrice di mano d'opera.

3° - Come possibile elemento di sicurezza nel paese.

الملحق رقم 3 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، قسم الوثائق الأجنبية  
المترجمة

مجلة كلية الآداب

non differendosi questi da quelli ricorrenti nei terreni già valorizzati dei quali si parlerà nei successivi paragrafi.

È il terzo sistema quindi che raccoglie tutta la nostra attenzione sia per la originalità della sua struttura che per i risultati ed il significato che ne derivano.

**IL CONTRATTO DI MUGHARASAH.** — Il contratto di *Mugharash* (secondo la fonetica araba) che qui si indicherà con il nome italianizzato di *mugarsa*, è originario del Nord Africa dove è largamente applicato nella messa in valore delle terre nude: per mezzo di questo contratto si è resa possibile la piantagione di buona parte delle oasi di quella vastissima regione, e in tempi relativamente recenti, l'impianto degli importantissimi oliveti di Sfax in Tunisia.

Quivi infatti molti proprietari europei utilizzarono questo conveniente contratto per la valorizzazione della steppa e la costituzione di quei vastissimi oliveti che ora stanno tra le più importanti piantagioni del Protettorato. Anche in Libia si è tentato di adottare e di adattare questo contratto per la bonifica agraria dei terreni di colonizzazione, e si è applicato — con alcune modificazioni — tra proprietari e rurali italiani. I risultati del tentativo non hanno però raggiunto buon esito date le differenti condizioni ed esigenze dei lavoratori italiani rispetto a quelli indigeni — esigenze da cui dipende in buona parte l'andamento del contratto in parola — ma soprattutto per la cattiva volontà ed organizzazione degli imprenditori che adottarono il contratto di *mugarsa*, e per le insufficienti modificazioni e i deficienti adattamenti che a quello furono apportati.

Non è facile dare una riassuntiva e completa definizione della *mugarsa* ed infatti varie ne sono citate ma non son tutte chiare e compendiose. Tra gli autori italiani che si sono occupati di questo contratto ricordiamo la definizione del Cucinotta (1) secondo il quale nella *mugarsa* « una parte, detta colono o socio lavoratore, si obbliga di piantare e di allevare nel fondo dell'altra parte, piante fruttifere od altre, ricevendo in corrispettivo una porzione del fondo coltivato e delle piante quando queste avranno un'età determinata o daranno frutti ».

Altro autore, il Valenzi (2) definisce così la *mugarsa*: « un contratto per cui un colono assume l'obbligo nei confronti del proprie-

(1) E. CUCINOTTA - Il contratto di piantagione nel diritto coloniale e musulmano. Riv. Coloniale. Fasc. 5. Anno IX. Vol. 1; 15-3-1914.

(2) F. VALENZI - Il contratto di piantagione (*mugharsa*) in diritto musulmano e nella consuetudine della Libia. Riv. Dir. Agrario, Fasc. 4, 1953 (Ottobre-Dicembre).

الملحق رقم 4 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، قسم الوثائق الأجنبية  
المترجمة

## I contratti agrari degli indigeni in Cirenaica 8

(Continuazione. V. n. precedente).

## Contratti di affitto.

Col termine *Kra* si indica in Cirenaica ogni contratto di affitto che abbia come oggetto la locazione di cose (terreni, case ecc.), o che abbia come oggetto la locazione di servizi (ad es. lavoro); esiste anche un secondo termine che si riferisce più specificatamente alla locazione di cose, e cioè *Igiàr*, ma questo nel linguaggio parlato viene usato più di rado. Il locatore vien detto *cdri*, il locatario *crdai*.

Si affittano giardini indigeni in prevalenza nelle vicinanze degli abitati, e soprattutto nei dintorni di Bengasi, da parte di proprietari residenti nelle città o di allevatori di bestiame che non hanno occuparsi direttamente dei loro terreni. Ma giardini in affitto trovano un po' ovunque, sia pure con non molta frequenza.

Oggetto della locazione è il terreno coltivato a giardino con le diverse opere esistenti che non sempre sono in buono stato di manutenzione e delle quali qualcuna può anche mancare (ad es. frangenti, sistemazioni irrigue ecc.). Ne vengono quasi sempre escluse le piantagioni le quali restano per conto diretto del proprietario o formano oggetto di contratto a parte di salariato o di compartecipazione allo stesso affittuario oppure con terze persone. Tutti i capitali di esercizio vengono sempre conferiti dall'affittuario.

La locazione è di solito annuale e rinnovabile indefinitamente; solo in casi eccezionali il contratto viene steso per iscritto. I canoni di affitto sono molto variabili a seconda delle caratteristiche del fondo (ampiezza, posizione di fronte al mercato, fertilità, risorse idriche, presenza di fabbricati rurali ecc.). Fra questi fattori è variabile soprattutto la superficie che va dai 300-400 mq. di taluni piccoli giardini alle dune costiere agli 1-2 ed anche 3 ettari dei più grandi nei dintorni di Bengasi; conseguentemente variano i canoni annui di affitto che al momento attuale vanno rispettivamente dalle 30-50 lire a più di 1.000 lire ed arrivano, quando si abbiano buone piantagioni (olivi, fruttiferi vari, palme ecc.), fino alle 1.200 lire.

Il contratto si inizia di solito al principio dell'anno solare. Il pagamento del canone avviene anticipato e in denaro, ma si fa talora che durante l'anno e parzialmente in natura. In questo caso il proprietario viene ad esercitare una specie di controllo sull'esercizio del giardino, almeno fintanto che non si siano maturati quei prodotti che consentano all'affittuario l'estinzione del suo debito.

الملحق رقم 5 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، قسم الوثائق الأجنبية  
المترجمة

مجلة كلية الآداب



### CONTRATTI DI LAVORO PER LA CEREALICOLTURA

Nella attività cerealicola della Tripolitania, per quanto riguarda le forme di lavoro adottate, dobbiamo anzitutto distinguere il forte proprietario terriero, da quello piccolo, privo di capitali.

Il primo, avendo possibilità di fornire gli anticipi necessari alla conduzione, per lo più gestisce intieramente l'impresa ricorrendo alla assunzione di salariati per le varie operazioni che la coltura cerealicola richiede.

Il piccolo proprietario invece, o in genere quello sfornito di capitali di anticipazione, preferisce dividere il rischio dell'impresa con il contadino lavoratore e stipula con questo di anno in anno patto di lavoro a cointeressenza.

Esiste infine un terzo tipo di imprenditore (che ha la netta figura del capitalista) il quale pur non possedendo terreni da seminare intende impiegare il proprio capitale nella impresa cerealicola prendendo in affitto il terreno da seminare e fornendo sementi, attrezzi e animali da lavoro al contadino col quale stipula un patto di cointeressenza per il lavoro prestato.

LOCAZIONE DI OPERE A SALARIO IN DANARO O IN NATURA. — Si verifica per lo più nel caso del primo tipo di proprietario imprenditore, ma è anche a volte adottato in altri casi e per alcune operazioni cerealicole.

1) *Contratto di salariato ad anno.* — L'operaio agricolo salariato ad anno si presenta nelle proprietà costituite, anche se non

الملحق رقم 6 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، قسم الوثائق الاجنبية  
المتجمة

## قراءة في كتاب

### الجيش والمجتمع والسياسة في البلدان النامية

أ. حسن عمر سعيد الرجباني

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

كتاب يمثل جزءاً من المكتبة السوفياتية، ونضرة مفكريها وكتابها لمجريات الأحداث في مناطق مختلفة من العالم، في الفترة التي كان الاتحاد السوفياتي يمثل أحد قطبي الصراع العالمي أيام الحرب الباردة وما تلاها. كان الاتحاد السوفياتي يتبنى نظرية مختلفة عن ما تتبناه الدول الغربية الدائرة في فلك الولايات المتحدة الأمريكية، ولم يكن الصراع الدائر حينها اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً فقط، بل تعداه إلى صراع فكري وثقافي، حاول الطرفان فيه الانتصار لمفاهيم آمنوا بها وشعارات دافعا عنها .

يأتي هذا الكتاب للخبير "غيورغي ميرسكي" ومن منشورات دار التقدم، موسكو، وعدد صفحاته 227 صفحة من الحجم المتوسط، في مرحلة تاريخية مهمة بالنسبة للعالم عموماً، وللاتحاد السوفياتي خصوصاً؛ فتاريخ كتابته "1987م" يسبق انهيار الاتحاد السوفياتي المدوي بحوالي أربع سنوات فقط<sup>(1)</sup>، وعلى الرغم من سقوط وانهيار الاتحاد السوفياتي تظل هذه الدراسات والبحوث بحاجة إلى التحليل وبخاصة ما يتعلق بدول العالم الثالث ومنها البلدان العربية؛ تلك الدول التي ارتبطت لفترة ليست بالقصيرة بالمنظومة الشرقية ووجدت فيها داعماً سياسياً ونصيراً اقتصادياً وعسكرياً.

والكتاب لا يستهدف البلدان العربية تحديداً؛ إنه يتعرض لمسائل خاصة بشعوب إفريقية وآسيوية، منها العرب: مصر والعراق واليمن والجزائر، ودول المحيط الإسلامي: باكستان وإيران وأفغانستان وتركيا، وبعض دول الجوار الأفريقي: مالي ونيجيريا وغانا وأثيوبيا، ودول متشابهة بقارة آسيا: بورما وتايلاند وأندونيسيا، ويتناول الكتاب ظاهرة وصول الجيش إلى السلطة في تلك البلدان عقب حركة الاستقلال التي مرت بها تلك البلدان في ستينيات القرن الماضي وهو ما يشترك فيه معظم تلك الشعوب، ولا يغفل المؤلف ذكر بعض تجارب شعوب أمريكا اللاتينية: البرازيل والأرجنتين وتشيلي، والتي كتب العسكر جزءاً مهماً من تاريخها في فترة الستينيات والسبعينيات من القرن المنصرم ويقدم تقسيماً موضوعياً لشكل الجيوش بهذه الدول، حيث يجعله أربعة أقسام "جيوش الاستعمار الجديد والجيوش الاستعمارية سابقا والجيوش التي ولدت من حروب التحرير والجيوش المشكلة بعد قيام الدول الوطنية.

استهل المؤلف كتابه بمقدمة متناسبة مع حجم الكتاب وبدأت في بعض الأحيان كجزء مهم منه، وبالإمكان اعتبارها فصلاً من فصوله أو استهلالاً لفصله الثاني والذي يُعدّ تكملة لها ومن السطور الأولى للمقدمة ندرك أنها مبحث يركز على آلية وصول الجيش إلى السلطة في مجموعة من الدول التي شهدت حركات تحرر من الاستعمار في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، وتحول النخبة القيادية في الجيش إلى طبقة مهيمنة سياسياً واقتصادياً ومتحالفة مع طبقات أخرى لصيانة المكاسب المشتركة بينا،

ويكشف المؤلف بكل وضوح ذلك في الصفحة الرابعة من كتابه بقوله: إن الكتاب الحالي محاولة لسد الفراغ في العلم السوفياتي<sup>(2)</sup>، الذي يتناول بالدراسة والبحث شكل الطبقات والصراع الطبقي في البلدان النامية والكشف عن السنن التي استدعت في المرحلة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية ظهور الجيش على المسرح السياسي في عدد من الدول النامية، وتحليل أسباب ومقدمات الاشتداد الكبير في تدخل القوات المسلحة في الحياة السياسية للدول الوطنية الفتية.

يصور المؤلف في مقدمته تحول الجيش "القوة الوحيدة المنظمة" في مجتمعات خرجت لتوها من ربة الاستعمار إلى ما يشبه الطبقة، وأحيانا إلى أداة طيعة "خادم" بيد أصحاب الامتيازات، والذين هم صنيعه المستعمر قبل خروجه، مما يجعل البلد يقع فريسة لاستعمار جديد مرتبط مصلحياً بالاستعمار السابق وأصحاب الامتيازات، هؤلاء لا يتورعون من جر الجيش إلى مواجهات داخلية مع جماهير مصابة بخيبة الأمل بدل مهمته الخارجية الأصلية وهي حماية الحدود وهيبة الدولة وهي وظيفة الجيش المهنية.

قسم المؤلف كتابه على ستة فصول، تفاوتت من حيث الحجم "42.28.16.43.28.69" على التوالي، ومن حيث العمق التحليلي، وسأتناول الكتاب بشيء من التحليل في هذه القراءة .

### الفصل الأول - الرأسمالية لا تصلح للدول الجديدة:

عنوان المؤلف الفصل الأول من كتابه بعنوان غاية في الغرابة فإذا اعتبرنا إن الفصل الأول هو بداية الكتاب فإن عنوان الفصل يعتبر المدخل الأساسي

لفهم الكثير من مادة الكتاب، والعنوان يصلح أن يكون نتيجة للكتاب جاءت في غير وقتها.

فهل أثبت المؤلف عدم صلاحية الرأسمالية للدول الجديدة؟ وهل كان حكمه هذا بناء على ما وصل إليه في كتابه؟ أم من خلال فكره المسبق الذي رُسخ بين أبناء جيله من السوفييت الذين لفتوا الفكر الشيوعي بين مدارس الحزب الشيوعي أو منافى سيبيريا الباردة؟ العنوان في حقيقته حكم صادر قبل المداولة.

حاول المؤلف أن يبين الفارق في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بين البلدان النامية والبلدان المتطورة صناعياً وقد حشد لذلك كماً هائلاً من الأرقام والمقارنات، مظهراً أيضاً الفارق في الخدمات الطبية وتركز الأيدي العاملة والتي تتركز في الدول النامية، وقد استعمل لفظة "الثقة" وهو لفظ فرضته الترجمة، وكان من الأفضل استعمال لفظ "الهوة".

يخلص المؤلف إلى حكم مفاده أن تخلف وتبعية البلدان المتحررة هو ماضيها التعيس الذي عاشته لحقب طويلة تابعة للمستعمر الذي استغل كل مقدراتها وربطها بتبعيته بعد خروجه في نمط استعمار جديد، خالفاً بذلك ما عرف بالمركز والأطراف كمفهوم امبريالي تطور مع تطور الدول الغربية تقنياً وعلمياً؛ ومع هذا التطور نشأ نمط جديد من العلاقات بين المركز والأطراف واختلف بذلك النهب الاستعماري السافر والمباشر، وأخذ أسلوباً مموهاً غير واضح "المصارف والشركات" واعتماد الدول المتحررة على مصدر واحد للدخل فرضته سياسات المستعمر أدى إلى جعل اقتصاد تلك

الدول مرتبطاً بتذبذب أسعار السوق العالمي الذي تحدده الدول المتطورة بحسب احتياجاتها ويتم في هذا الوضع فرض نماذج جاهزة تخدم تلك الدول، ومنها اعتماد الدول النامية على تصدير موادها الخام واستيراد ما تحتاجه جاهزاً، وأن تنقل لها الصناعات المؤدية إلى تلوث البيئة بحجة احتياجها إلى أيدي عاملة<sup>3</sup> وقد يتم إنشاء توابع صناعية واعتبارها ورش عمل لصناعات مهمة تحتفظ الدول المتطورة بالجانب التقني الراقي فيها، وهذا كله يجعل دول الأطراف تزداد ارتباطاً بالمركز، بهذا رسم المستعمر الطريق الذي تسير الشعوب المتحررة عليه، واختار لها النموذج الاقتصادي ومن ثم الاجتماعي الذي تنتهجه ويخدم مصالحه دون موافقة شعوبها ودرب لذلك مجموعة من الفئات تحكمت في تلك الشعوب إنها فئات تجعل من نفسها سلطة رأسمالية وطبقة برجوازية تعلمت منذ القدم استغلال المال بصور غير معقدة مختصرة على شراء الأراضي والعقارات، وحتى بعض العمليات التجارية، وهي بالتالي غير قادرة على منافسة الرأسمال الأجنبي الوافد وبخاصة في المجال الصناعي لهذا لم تتشكل فئة رأسمالية بالمعنى الحقيقي داخل هذه المجتمعات وحتى إن وجدت فهي عبارة عن حلقة في خدمة رأسمالية المستعمر السابق والبرجوازية المحلية الممزوجة بالبيروقراطية في دول إفريقيا وآسيا ولم تستطع بناء نمط رأسمالي واضح المعالم وتحولت الدولة في أكثر الأوقات إلى راعية للقطاع الخاص وتداخلت المصالح.

إن الرأسمالية في البلدان النامية مجرد بديل رديء للرأسمالية الاستعمارية التي توفرت لها ظروف تاريخية وسياسية واجتماعية ساعدت

على تجدرها كنمط فكري قبل أن تكون فكراً اقتصادياً، وهنا يرى المؤلف أن الدين والعادات والتقاليد المحلية تعيق نجاح تجربة الرأسمالية الغربية التي جاءت كنتيجة لتحولات حدثت بتلك المجتمعات منذ زمن بعيد لا يمكن للدول المتحررة اختصارها أو تقبلها أصلاً ومن الأسباب الملازمة في هذه الدول قضية الفساد الإداري والمالي الذي يؤدي بدوره إلى التملل والاحتقان والتمرد، الذي تراه كل الفئات أمراً واجباً بل وطنياً، ويكون الجيش الأكثر تنظيماً و الأقرب إلى إحداث التغيير والاستيلاء على السلطة، ويتحول بعد فترة إلى طبقة برجوازية جديدة تحاول التعاون مع غيرها حتى من المجموعات السابقة للحفاظ على امتيازاتها، وتعجز على الإيفاء بتعهداتها للجماهير بتوفير مواطن العمل وتزداد الهوة اتساعاً بين الأغنياء والفقراء، وتلجأ إلى حماية نفسها بالاعتماد على رابطة الدم وتحتمي بالقبيلة والعشيرة وتجعل من أكثر الشعب معارضة لها .

وفي حالة إفريقيا انتشرت ظاهرة الحزب الواحد وهو مكون من مجموعة قادوا حركة المقاومة ضد المستعمر<sup>(4)</sup>، وهم في إفريقيا الاستوائية – على سبيل المثال – عادة ما يكونوا من عشيرة أو قبيلة واحدة، وفي محاولة تدريرية طرحت نظرية "الحزب الواحد للأمة بأسرها " بدلاً من وجود حزب حاكم وحزب معارض، والشعار يحمل في طياته أفكار مرحلة سابقة وهي مرحلة المقاومة ضد المستعمر وتُسخر كل القنوات الإعلامية لترسيخه وتخوين معارضيهِ وتغييبهم سياسياً.

## الفصل الثاني:

في ما يشبه الحتمية التاريخية يأتي العنوان الذي بدأ به المؤلف الفصل الثاني من كتابه وكأنه أراد القول إن الجيش في العالم الثالث مستعداً دائماً لاستلام السلطة، وهي حقيقة لا يمكن إنكارها ولكنها ليست من أصل الأشياء بل هي عارض نتيجة مجموعة من العوامل تجعل من الجيش في تلك الظروف الجهة الأوفر حظاً لاستلام السلطة، ومن هذه العوامل، انعدام الاستقرار السياسي والتوتر الاجتماعي والتراجع الاقتصادي وفساد الإدارة وغياب تنظيم الجماهير<sup>(5)</sup> وغياب المؤسسات ذات البرامج السياسية المتقدمة. من العلامات التي سجلها المؤلف على معظم الجيوش الأفريقية تقريباً والتي يمكن ذكرها. .

- 1- تأثير الطابع العشائري على بنية الجيش .
  - 2- الدول المستعمرة والتي اعتمدت في ممارسة سلطاتها بالتعاون مع المجموعات الأكثر هدوءاً من الناحية السياسية والأقل تحمساً قومياً.
  - 3- غلبة الأمية على معظم الجيوش التي أسسها الاستعمار لسهولة انقيادها.
  - 4- عزوف أبناء الذوات وشيوخ العشائر عن الانخراط بالجيش، وهو ما استمر قائماً حتى التحرر وفتح الكليات والمدارس الحربية.
- انخرط أبناء الطبقة المتوسطة وبناء الفلاحين في الجيش لما يوفره من امتيازات مالية ومعنوية؛ فالمؤسسة العسكرية في هذه البلدان تعطي الإمكانية لتغيير المكانة الاجتماعية، وتشبع الميل إلى الفعل الجماعي الذي يختلف عن قيم أرباب العمل لبلوغ الهدف الجماعي وتتمو في مثل هذا المناخ الأفكار



الطوباوية التي تجعل من الجيش المنقذ الشريف للأمة، وتنادي بالعودة إلى القيم الفلاحية والعشائرية ونبذ المدينة ورجال الأعمال المرتبطين بالخارج<sup>(6)</sup>، انتقل المؤلف بعد ذلك إلى تحديد أجيال الجيوش العربية، الجيل الأقدم الذي خدم في الجيوش المستعمرة وأصولهم برجوازية وثقافتهم غربية ومؤهلين جيداً، وليس لهم نفوذ سياسي والجيل الأوسط من أبناء الباعة والفلاحين، وهم أقل تأثراً بالحضارة الغربية وأقرب إلى الجماهير من الناحية الاجتماعية والسياسية، وهم الذين يمتلكون السلطة الفعلية في الجيش والدولة والجيل الأصغر فهم خريجو المدارس العسكرية بعد الاستقلال ويحملون ثقافة معربة وتلقوا تدريباً بالخارج (غربي أو اشتراكي).

ولا يخفي المؤلف تبرمه من الأنظمة والعسكر المتربع على السلطة، ويشير إلى ارتباط هؤلاء الضباط بالغرب وحكومات الغرب ويورد إحصائيات تبين التعاون بين هذه الأنظمة والغرب المستعمر ويبين كذلك الوضع الذي اتخذته العسكر لأنفسهم كمنقذ للأمة، وكيف رأت الجموع الفقيرة فيهم سبيل الخلاص من مشكلات التأخر الاقتصادي والاجتماعي، وصوروهم على أنهم سيقضون على كل ما يعيق التطور ويضعون الأمة في مسارها الصحيح، وبالتالي يعودون إلى ثكناتهم " الأمر الذي لم يحدث أبداً"، وكثيراً ما كان الفشل مصير معظم المشاريع التي يقدمها الجيش لعدم خبرته.

### الفصل الثالث:

تحت عنوان "الإطاحة بالمؤسسة الحاكمة لإنقاذ النظام السياسي" جاء الفصل الثالث ليتبع فيه المؤلف سلسلة من الانقلابات التي حدثت في إفريقيا

ومقارنا بما حدث في أمريكا اللاتينية وقد بدأ بالسودان الذي استلمت فيه السلطة طائفة بيروقراطية مرتبطة بالارستقراطية العشائرية والإقطاعية التجارية والرأسمال البريطاني، وكانت تخيم على البلاد أجواء البطالة وانخفاض مستوى المعيشة وتدهور أسعار القطن واشتداد الفوارق الاجتماعية، وهنا عادت الطريق أمام الجيش والجنرال عبود7، الذي لم يستطع الخروج بالبلاد من المرحلة بل زاد من تفاقم الأزمة مما قاد إلى انقلاب جديد على يد صغار الضباط في أكتوبر 1969م، وحل المدنيين في سدة الحكم وأمام اقتصاد ضعيف وسوء إدارة وتحول الجيش إلى لاعب أساسي في الدولة قفز العسكر مرة أخرى إلى السلطة في مايو 1969م، بقيادة النميري<sup>(8)</sup>، ليبدأ فصلاً من تاريخ السودان مملوء بالدم والتسلط والتطلع إلى الأفضل مازال إلى اليوم لم تستدل الستارة على أحداثه والتي أدت في سيرها إلى تقسيم السودان لبلدين متجاورين ومتحاربين ولعل الأيام القادمة قد تؤدي إلى تقسيم المقسم.

هناك ظاهرة أخرى نوّه عليها المؤلف وهي الانقلابات على يد صغار المراتب العسكرية والنموذج الأكثر وضوحاً ما حدث في سيراليون 1968م، واعتبر المؤلف دولة زائير نموذجاً مميزاً، ففي هذه الدولة تتشابك المصالح الاستعمارية مع البرجوازية المحلية لتصل إلى درجة عالية من الفساد وصفها في ص75 بقوله: منذ عهد الحروب الاستعمارية لم يشهد التاريخ دولة بهذا القدر حتى على مظهر السيادة... إن البلد متعفن بالفساد والتهديب .

يطيل المؤلف الوقوف على حالة نيجيريا البلد الأكثر سكانا بأفريقيا والتي عرفت الانقلابات منذ 1966م، بسبب فساد النظام الديمقراطي الذي تركه المستعمر بعد خروجه؛ كذلك الصراعات القبلية وهيمنة الشمال الإسلامي "الهوسا"<sup>(9)</sup>، مما دفع الجيش وصغار الضباط "الايبو"<sup>(10)</sup> والايورويا"<sup>(11)</sup> إلى الاستيلاء على السلطة، وقد فتح هذا الانقلاب لسلسلة من الانقلابات تبادلت فيها النخب العسكرية الأدوار مرات عديدة مدعومة من جهات قبلية وأحيانا إقطاعية حتى سنة 1984م.

وعلى الرغم من وصول المدنيين في نيجيريا إلى السلطة مراراً إلا أنهم فشلوا في إحداث تطور اقتصادي وتغيير اجتماعي وسياسي ويجب المؤلف عن السبب نقلا عن صحيفة "فورين افيرز" بقوله: إن الحكام المدنيين الذين عملوا بخشونة ووقاحة لم يتمكنوا من احتواء المشاكل الاقتصادية، فزادوا كثيرا من العبء الذي أرهق كاهل السكان بسبب الكساد الاقتصادي العالمي"<sup>(12)</sup>، زد على ذلك الفساد المالي الذي أورد المؤلف مجموعة من الحالات للتدليل عليه وهو ما دعا العسكر للعودة إلى السلطة في رأس السنة 1984م.

يعد النموذج النيجيري مثالا لكل الانقلابات في أفريقيا، التي لم تصل إلى معنى الثورة في معظم هذه الدول التعيسة<sup>(13)</sup>، فمعظم انقلابات نيجيريا قادها أبناء الطبقة التي تزدهر بالوصولية والمحسوبية والفساد وباختصار شديد إن انقلابات إفريقيا كما يراها المؤلف هي انقلابات لإنقاذ النظام الاجتماعي والاقتصادي القائم وليس تحطيمه" ومن الملاحظ على معظم هذه الانقلابات

إنها لم تسع للتغيير لعدم رغبتهم فيه، ولجهلهم وعدم سماحهم للمتعلمين بالتعبير عن مشاكل الدولة وطرق معالجتها

واختتم الفصل برؤيته التي تنتسب بثقافته وأيدولوجيته الواضحة، وهي في الوقت نفسه قراءة صحيحة وممكنة من التحليل السياسي الراقي، حيث يقول: هؤلاء الأشخاص قليلو المعرفة وضيقو الفكر ولا يعرفون شيئاً سوى القرية والثكنة ويفتقرون إلى التمرس البروليتاري<sup>(14)</sup>، كما يفتقرون إلى الرغبة في التقرب من المثقفين الذين يستطيعون أن يطلعوهم على الأيدولوجية التقدمية ... وهم لا يجيدون غير التمرد العفوي .... وعندما يستلمون مقاليد السلطة ويبلغون الامتيازات وينذوقون طعم الحياة اللذيذة يتبرجزون بسرعة، وتصرفاتهم مدفوعة بالمصالح الأنانية وبالذوافع النفعية الصرفة.

#### الفصل الرابع - " رأسمالية الدولة العسكرية البيروقراطية":

أطل المؤلف على قارة آسيا ونظمها العسكرية، منطلقاً من بورما وهي الأقدم بين الأنظمة العسكرية بآسيا وتحول العسكر إلى حزب "مجلس ثوري مسلح ذي برنامج معين" وبعده يتناول أندونيسيا والتي يشكل فيها الجيش جزءاً من الطبقة البرجوازية الحاكمة وممثلاً لها وأداة مطيعة بيدها، أما تايلاند فإن الجيش الذي لم يؤد واجبه الوطني لأن تايلاند لم تقع فريسة للاستعمار، ولكن جيش تايلاند جاء من الميدان السياسي والاقتصادي مرتبطاً بالسياسة الأمريكية لتتجلى صورة تحول العسكر إلى بيروقراطية عسكرية معادية للأمة إنه في الواقع ليس جيشاً بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، بل هو فئة استغلالية للبرجوازية البيروقراطية متسترة بالجيش وما يساعد على تفاقم

هذه الظاهرة سلبية الشعب، وانعدام التقاليد الثورية، وتدفق الرأسمال الأجنبي الذي خلق فرصاً للعمل تابعة للمال الأجنبي .

توقف المؤلف طويلاً أمام التجربة الباكستانية والتي شهدت أول انقلاب في سنة 1958م<sup>(15)</sup>، وأطيح بالحكومة المدنية التي تأسست عقب انفصال باكستان عن الهند وخروج بريطانيا 1947م، وقد رجّع أسباب قيام باكستان<sup>(16)</sup> إلى أسباب دينية، وهو ما جعل الدولة تعاني من أزمة اقتصادية، فنشأت برجوازية احتكارية متحالفة مع الطبقة العسكرية التي انحدرت من نفس العائلات، ودرس معظم أبنائها في المدارس البريطانية الاستعمارية "يحيى خان<sup>(17)</sup>".

عجزت الأحزاب السياسية البرجوازية عن حل مشكلات الباكستان وتعددت الحكومات من 1951م إلى 1958م، حيث وصلت إلى ست حكومات، مما أدى إلى انقلاب 1958م، وقد سجل العسكر بعض النجاحات أوردها المؤلف في :

- 1- تطور البرجوازية والرأسمالية الوطنية الصغيرة والوسطى.
- 2- حل جزء من مشكلة العمالة بإنشاء صناعات صغيرة .
- 3- زيادة عائدات التصدير .
- 4- قوانين الإصلاح الزراعي 1959م، حدثت من سلطة كبار ملاك الأراضي .

تطلعت البرجوازية إلى لعب دور سياسي إلى جانب الدور الاقتصادي وأخذت مطالبها تتحول إلى نوع من المعارضة، لاقت استجابة فئات أوسع

من السكان الذين يعانون من حيف الاستبداد والحاجة، وتزايدت المظاهرات الطلابية في 1968م، والتحق بهم العمال، الأمر الذي أجبر أيوب خان على تسليم السلطة لخليفته يحي خان والذي سقط سريعا بسبب مشكلة باكستان الشرقية بنجلاديش، ويثبت المؤلف نقلا عن كاتب باكستاني<sup>(18)</sup> قوله: أن الجيش الباكستاني كان أداة للبيروقراطية المدنية أكثر من كونه المبادر. وحتى بعد وصول ذي الفقار علي بوتو<sup>(19)</sup>، وانهماك باكستان في مشروعها النووي كوسيلة ردع أمام تحدي الجارة الهند، والمشروع الذي كلل بالنجاح تمت إزاحة بوتو بانقلاب عسكري في 5 يوليو 1977، على يد الجنرال ضياء الحق<sup>(20)</sup>، الذي حاول إضفاء نوع من الجانب العقائدي في محاولة لتفادي أخطاء محمد يحي خان في هذا الجو المشحون عقائديا وجدت البرجوازية الكبيرة والاحتكاريون طريقا إلى الحكومة، وقد شهدت المرحلة صراعاً اقتصادياً مريراً بين العسكر المتمسك بالإسلام كوسيلة دفاعية وبين البرجوازية المتزمنة من زيادة الضرائب "الإسلامية التقليدية" واستمر هذا الصراع الذي نشهد اليوم بعض فصوله، وقد تداخلت الأحداث الجارية بالبلد المجاور أفغانستان وقضايا الإرهاب وتنظيم القاعدة وإيران وملفها النووي مما جعل الصراع بين الحكومات المدنية والعسكر برنامجاً تعود المواطن الباكستاني على التعايش معه مثله مثل ملفات أخرى أهمها الفساد .

يعرج المؤلف بعد ذلك على التجربة التركية والتي لها خصوصية مختلفة عن غيرها من التجارب، لأن تركيا لم تكن يوماً مستعمرة من الغير، وأن

تركيا تقع بين العالم الإسلامي وأوروبا مما يجعلها بلداً منقسماً بين ثقافتين وعالمين وكذلك نظامين اقتصاديين مختلفين .

حدد المؤلف وصول العسكر إلى تركيا إثر انقلاب 1960م، متأسياً أن العسكر هم من صنع تاريخ تركيا قديماً وحديثاً، وخاصة بعد إبطال الخلافة الإسلامية ووصول "أتاتورك"<sup>(21)</sup>، إلى السلطة في 1923م، ورغم تقلب السلطة بين العسكر والحكومات المدنية طيلة عشرين عاماً حتى 1980م، حين استلم العسكر زمام الأمور مباشرة بمباركة غربية، وبروز دور تركيا كقاعدة متقدمة لحلف الناتو<sup>(22)</sup>، ووقوفها في مواجهة العدو التقليدي للغرب وهو الشيوعية ثم الإسلام وخاصة بعد نجاح الثورة الإيرانية وهي التي تتخذ المذهب الشيعي عقيدة لها .

وزاد الاهتمام بالميزانية العسكرية التركية حتى وصلت إلى 30% من الدخل العام ورحبت أوروبا وأمريكا بوصول العسكر للسلطة بتركيا وتفردهم بها وبخاصة في ما عرف بالمرحلة الريغانية<sup>(23)</sup>.

أخيراً اختتم المؤلف هذا الفصل بتحليل الواقع في الدول الأفريقية الآسيوية التي شهدت انقلابات عقب موجة التحرر في ستينيات القرن الماضي وأوجز ذلك في هذه النقاط .

- 1- معظم الانقلابات قام بها كبار الضباط معتمدين على العشائرية والقبلية ورافضين للاتجاهات اليسارية ويمارسون البيروقراطية العسكرية.
- 2- ارتباط العسكر بالبيروقراطية والبرجوازية وأرباب العمل الكبار.
- 3- تمثل بعض الانقلابات حلاً وقائياً بعد فشل الأوساط البرجوازية المدنية

إنقاذ الأمة وحل المعضلات وخاصة الاقتصادية.

4- إنشاء الأحزاب من قبل العسكر وتحت إشرافهم في محاولة لإضفاء نوع من الشرعية والديمقراطية العصرية.

5- فرض أيولوجية قومية تستند إلى وحدة الأمة وتعتمد برامج لتصفية الخصوم السياسيين من "كبار الضباط والبرجوازيين و السلفيين" وقد يستندون لمشروعات كبرى في الوطن العربي مثلاً "الصراع العربي الصهيوني" أو "نشر الإسلام"<sup>(24)</sup>.

وإلى جانب هذه النقاط رأيت أن أضيف .

1- يعيد العسكر حيثما وصلوا إلى السلطة نفس الفساد الذي نادوا بالثورة عليه.

2- المرجعية المسبقة التي كونت عقلية زعماء الانقلابات - فكرية أو قبلية أو قومية أو دينية- يكون تأثيرها واضحا في إدارة البلاد.

#### الفصل الخامس- الامبريالية تعول على العسكريين:

في هذا الفصل يبين المؤلف الصراع بين المعسكرين العالميين الشرقي والغربي في فترة الحرب الباردة<sup>(25)</sup>، التي كُتب الكتاب في أواخرها، وهو هنا ينطلق من المفاهيم التي آمن بها ورفع شعاراتها قبل أن تنهار الكتلة الشرقية مخلفة ذلك الفراغ السياسي الرهيب، وهو يبين من خلال هذا الفصل الطرق والوسائل التي تمارسها الدول الامبريالية للإبقاء على تميزها وسيطرتها ونفوذها بالدول المتحررة، فقد أمنت لها مواقع متغلغلة في الحياة للبلد المحرر وبخاصة من الناحية الاقتصادية، وزرعت تأثيرها الفكري والسياسي



والعسكري على النخبة التي أعدتها مسبقا لتتولى إدارة البلاد مستقبلا هذا يجعلنا نحتاج إلى دراسة اتفاقيات ما عرف بإجلاء القواعد الأجنبية في هذه البلدان.

حافظت الدول الامبريالية على ربط الدول المتحررة منها عسكريا وصناعيا وهو ما يجعلها أكثر ارتباطا بها وهو ما يورده المؤلف نقلا عن الصحفي الأمريكي سايروس، ص 134 بقوله: " إن بلوغ الأهداف السياسية في البلدان الضعيفة يؤمنه السلاح بفعالية أكثر من التشدق بالألفاظ، فالذي توجد تحت تصرفه الدبابات والطائرات يمكن أن يفرض سيطرته على الدولة، والدولة الأجنبية التي تزود البلد بالسلاح والذخيرة تمارس في هذه الحالة تأثيرا حاسما".

ويركز المؤلف على أن السبب في الربط السابق الذي تكلم عنه يتم تحت دعاية محاربة الشيوعية، والتصدي دون تغلغل الفكر الشيوعي لهذه البلدان، ومن أوضح النماذج السعودية وإيران وما البلدان المرتبطان بعلاقات عسكرية وتسليحية بالولايات المتحدة، ويغوص بعد هذا في ذكر مقارنات رقمية للتجارة والمصالح الغربية بتلك البلدان، وهنا نستوقفنا ملاحظة وهي الفارق، في الجودة بين أسلحة الغرب وأسلحة المنظومة الشرقية وقد أثبتت بعض الحروب هذا الفارق، وكذلك يسترعي انتباهنا شيء آخر وهو كيفية وصول العسكر إلى السلطة وكيفية تهيئة الأجواء لهم وخلق برامج دعائية لهم، وكيفية خلق عدو وهمي متمثل في الشيوعية وخاصة في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي .

### الفصل السادس:

"الجيش والثورة" عنوان الفصل الأخير من هذا الكتاب والذي بدأه بمقدمة غاية في الرصانة والموضوعية وهو يتحدث عن الثورات ويعرفها مبتعداً بها عن انقلابات الجيوش الساعية للسلطة في دون أي برامج عملية للرفع من مستوى الحالة التي بها البلاد تشعر به كل فئات المجتمع دون استثناء، وقد جاء في قوله: (إن الثورات لا يمكن أن تكون عسكرية حتى وإن تزعمها العسكريون، فهي نتيجة لنضال قوي اجتماعية واسعة بقدر كاف وساعية إلى تغيير جوهر النظام ككل)<sup>(26)</sup> وصنف الثورات بحسب النظرة الماركسية إلى ثورات وطنية ديمقراطية وثورات ديمقراطية شعبية، وقد تتدخل ببعضها في الكثير من الحالات، وقد تتبع هنا الانقلابات السورية كنموذج حتى وصول الأسد<sup>(27)</sup> الأب إلى الحكم معرجاً على التجربة الوحودية مع مصر والتي يرى إن البرجوازية السورية هي من كان وراء فشلها مستغلة الجيش الذي تقاطعت مصالحه مع مصالحها، ويعرج على بروز حزب البعث<sup>(28)</sup> ووصوله إلى سدة الحكم والذي حسب وجهة نظر المؤلف يختلف عن بقية الأحزاب: (توجه حزب البعث نحو اليسار باطراد قد غير طابعه وحوله من حزب قومي عربي يساري عادي لا يختلف عن سائر الأحزاب إلا بالتركيز الشديد جداً على الوحدة العربية إلى حزب يعبر عن الاتجاهات المعادية للرأسمالية) وبيارك المؤلف في موضع آخر التناغم بين العسكر والبعث بقوله: (وبفضل الاتحاد بين الجيش وحزب البعث تجاوزت سوريا مرحلة النظام العسكري الصرف)<sup>(29)</sup>.

بعد المرور على التجربة العراقية المشابهة للتجربة السورية والتي لم يتخلص من القيادة التقليدية المعادية لكل تجديد وهي من بقايا حكومة "توري السعيد"<sup>(30)</sup>، إلى أن وصلت السلطة ليد حزب البعث الجناح العراقي الذي ختمت مسيرته أخيراً بما عرف بقانون اجتثاث البعث انتقل إلى التجربة المصرية والتي وصل فيها العسكر إلى السلطة بعد ثورة 23 يوليو 1952م، ومن البداية نلاحظ أن النسبة الأكبر من منفي الثورة المصرية هم الطبقة الوسطى ومن طبقة الفلاحين الطبقات التي انخرط أولادها في الخدمة العسكرية في حين اتجه أولاد التجار وملاك الأراضي إلى مضاعفة ثروتهم وهذا الانتماء الاجتماعي سيكون له تأثير على نمط وشكل الفعل السياسي بمصر مستقبلاً.

قادت الثورة المصرية العسكريين إلى السلطة وهو ما جعلهم يشعرون لفترة طويلة أنهم القوة الحاسمة بمصر<sup>(31)</sup>، وحين أقدم عبد الناصر على أعمال التأميم والإصلاح الزراعي والأعمال الوطنية الأخرى كان الجيش يقف إلى جانبه، ورغم كل ما قام به عبد الناصر إلا أن البرجوازية وجدت لها محلاً لتنمو فيه متمثلة في البرجوازية الريفية "القرى" ولم يتخذ عبدالناصر أي إجراء ضدها رغم إدراكه لها والتي استطاعت أن تعبر عن نفسها بوضوح أيام السادات، وهنا يرى المؤلف أن الخلفية القومية العربية والدينية والبرجوازية الصغيرة والقاعدة الاجتماعية مجتمعة هي التي شكلت رؤية عبدالناصر ولم تجعل منه شيوعياً ماركسياً.

تمتع الجيش بعد يوليو 1952م، في مصر بامتيازات عديدة وانتشرت نفسية "النخبة" للمحافظة على هذه الامتيازات، النخبة التي رأت في التحول إلى الاشتراكية خسارة لامتيازاتها ويهدد مصالحها، وحاول المؤلف تتبع الصراع الذي ختمت فصوله بأحداث 5 يونيو 1967م، ولعل أهم ملامحه يمكن إيجازها في الآتي.

1- نشوء تحالف بين كبار الضباط والإداريين.

2- شغل بعض العسكريين لمناصب إدارية واندماجهم في مجتمع المدينة "العاصمة" البرجوازي مما أضعف حماسهم الثوري وذهب بتواضعهم المعهود.

3- محاولة بعض الضباط إكمال دراستهم تماشياً مع نمط المجتمع الراقى .  
4- تمتع الضباط بامتيازات مادية مهمة " نوادي ونقل وتخفيضات في القروض" إن حصول الجيش على كل هذه الامتيازات الموروثة منذ زمن الملكية المصرية التي حاولت مهادنة الجيش وشراء ولائه، وبعد الثورة لم يعد مبرراً بقاءها حيث إن النظام العسكري ذاته يحكم مصر ولا يحتاج لتملق أفراد.

بدأت تتشكل فئة برجوازية من رجال الجيش تتدخل في كثير من الأحيان لصنع القرار السياسي وتم تدميرها أو الحد من تدخلاتها بعد يونيو 1967م، والتي رأت ممارستها للثورة بمقدار استيلائها على السلطات، وقد وصفها عبدالناصر في خطاب مارس 1968م، بأنها طبقة لا تعني الثورة لها سوى

السلطة، وبعد القضاء عليها ولو جزئياً أمكن وضع القوات المسلحة في المكان اللائق بها .

وفي الجانب السياسي لم تستطع كوادرات الاتحاد الاشتراكي أن تسيطر على مقاليد الإدارة، ففي الريف كان أبناء العوائل الثرية الذين يسيطرون حسب التقاليد على مقاليد الأمور محلياً.

ويخلص المؤلف في الصفحة 184، إلى حقيقة مفادها أن الجيش في مصر لعب دوراً قصيراً كقوة سياسية في الواقع المصري، بل عمل كطليعة ثورية للقوى الوطنية.

#### أهم الملاحظات حول الكتاب:

1- طغيان الفكر الشيوعي الماركسي على مجمل صفحات الكتاب ممجداً لذلك الفكر ومنقصاً من كل فكر سواه.

2- في الحالة المصرية لم يركز على المناخ الإقليمي الذي يحيط بمصر وهو الذي زاد من هيمنة العسكر بصورة واضحة وقد قفز على الكثير من محطاته مثل .

أ- الصراع العربي الصهيوني منذ 1948م وما بعدها.

ب - الثورة الجزائرية والدعم المصري لها .

ج - أحداث اليمن وموقف الجيش المصري منها .

د - العدوان الثلاثي وما نجم عنه 1956م.

3- عدم التوازن في تقسيم فصول الكتاب من حيث عدد الصفحات.

4- المعاداة للرأسمالية شكلت هاجساً طاعياً على مجمل الكتاب .

5- التهاون مع العسكرية السورية وعدم ذكر مثالبها لاعتبارات سياسية  
مازالت روسيا وريثة الاتحاد السوفياتي تمارسها إلى اليوم .  
في نهاية هذه القراءة، لابد من الاعتراف بحاجتنا لمثل هذا الكتاب وغيره  
من المكتبة الروسية "السوفياتية"، للاطلاع على وجهة النظر  
الأخرى عنا، والكتاب عموماً جدير بالقراءة .

### الهوامش

- 1- 31 / 12 / 1991م، إنزال العلم السوفياتي من مقر الكرملين ورفع العلم الروسي
- 2- العلم هنا وردت بمعنى الفكر أو الارشيف أو المكتبة
- 3- مثل مجمع مليتة للغاز ومجمع رأس الانوف للبتروكيماويات بليبيا
- 4- جبهة التحرير الجزائرية والتي مازالت قابضة على السلطة بالجزائر حتى اليوم
- 5- في نهاية الستينيات من القرن الماضي كانت أكثر ثلاث مؤسسات تنظيماً بالمجتمع الليبي هي العمال، وقد عبروا عن احتقانهم بالإضرابات والطلبة وقد عبروا بالمظاهرات الطلابية 1964/63م، والجيش وقد عبر عن رأيه بالانقلاب 1969م
- 6- المثال على ذلك ثورة 23 يوليو 1952م، بمصر فقد عملت على ايجاد مادة ثقافية وغنائية وسينمائية مكثفة لتأكيد فكرة شعبية الثورة
- 7- الجنرال إبراهيم عبود، 2009/1930م، رئيس السودان ورئيس الوزراء 1964/1958م، من قبيلة الشايقية المستقرة بشرق السودان، قاد أول انقلاب 1958م، واستلم السلطة من عبدالله خليل، عطل العمل بالدستور وحل البرلمان وقضى على معظم الأحزاب وكان من ضمن القوات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية العاملة بليبيا برتبة رائد حينها.

- 8- جعفر محمد نميري 2009/1930م، الرئيس الخامس للسودان 1985/1969م، قاد صراعا ضد الشيوعيين أولاً ثم الإسلاميين ساعد على تهجير يهود الفلاشا 1985/1984م، بالتعاون مع وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية
- 9- الهوسا، "Hausa" شعب هوس أو هوساوة، من أكبر التجمعات في الغرب الأفريقي موطنها من جبل الهوا بالنيجر إلى جوس بلاتو وسط النيجر ومن بحيرة تشاد إلى ما يعرف الآن بجمهورية مالي، وهم المجموعة العرقية الكبرى بالأقاليم الشمالية لنيجيريا ومعظمهم مسلمين .
- 10- الايبو، أو الاغبو من العرقيات المكونة لنيجيريا دياناتهم مختلفة مسيحية وإسلام
- 11- الايبوروا، أكبر المجموعات العرقية في نيجيريا 26% من السكان، حوالي 30 مليون نسمة في غرب إفريقيا غالبيتهم في نيجيريا ويعتقون المسيحية والإسلام وديانة محلية هي أوريشا
- 12- ص، 77
- 13- يورد المؤلف في الصفحة 82 من الكتاب تعريفات للثورة الشعبية والانقلاب العسكري .
- 14- البروليتاريا. البروليتاريا (Proletariat)، مشتقة من الكلمة اللاتينية (proletarius) وتعني: مواطن الطبقة الأقل. هو مصطلح أستعمل لأول مره في البيان الشيوعي الذي كتبه كارل ماركس وفريدر يكانجلز ونشر في فبراير 1848م



- 15- انقلاب 1958م بباكستان . أول انقلاب بالبلاد بقيادة الجنرال أيوب خان مدعوما من الولايات المتحدة الأمريكية، نقل العاصمة من كراتشي إلى إسلام آباد وكان متأثرا بأفكار مصطفى كمال أتاتورك
- 16- أصبحت باكستان في 14/8/1947م، دولة مستقلة وكان محمد علي جناح أول رئيس لها
- 17- آغا محمد يحي خان، تولى رئاسة عقب أيوب خان 1969/1971م، ولد في بيشاور وتخرج من الأكاديمية العسكرية الهندية شارك في الحرب ضد الهند بكشمير وكان أصغر جنرال باكستاني تولى الرئاسة وسلمها بعد اضطرابات لذي الفقار علي بوتو
- 18- حمزة علوي، ص101.
- 19- ذو الفقار علي بوتو، 1928/1979م، تدرج بالمناصب رئيس البلاد 1971/1973م، رئيس الوزراء 1973/1977م، أسس حزب الشعب PPP، أعدم في 1979م بعد محاكمة مثيرة للجدل ومن أهم أعماله تحديث الصناعات الباكستانية، الحصول على مفاعل نووي من فرنسا رغم احتجاجات غربية، الانسحاب من رابطة الكومنولث، تأميم كل البنوك .
- 20- محمد ضياء الحق ، 1924/1988م، ترأس باكستان من 1977 إلى 1988م، حاول بعد إعدام بوتو التقرب من الغرب والإسلاميين مات في انفجار طائرة 17/8/1988م، مازال مثارا للجدل .

- 2- مصطفى كمال أتاتورك 1881/1938م، ولد بسالونيك ودرس بمدارسها وانخرط بالعسكرية فلمع نجمه وحقق انتصارات عديدة وشارك في الحرب العثمانية الايطالية بليبيا 1911/1912م، قام بإلغاء الخلافة 1924م، وترك مجموعة من الأفكار والقيم التي مازالت ماثرة نقاش بتركيا إلى اليوم .
- 22- انضمت تركيا لحلف الناتو في 1952م، وهي البلد المسلم الوحيد بالحلف الذي يضم 28 دولة أخرى.
- 23- نسبة للرئيس رونالد ريغن الرئيس الأربعين للولايات المتحدة الأمريكية 1911/2004م، حكم أمريكا لفترتين 1981/1989م، وقد شكلت الريغانية مرحلة لها اثرها الواضح غفي الحياة السياسية الأمريكية وفي تاريخ اليمين السياسي الأمريكي وطبعت بطابعها الأحداث وقد تزامنت فترة حكم ريغن مع وصول مارغريت تاتشر لرئاسة الوزراء البريطانية.
- 24- كما في الحالة الباكستانية أيام ضياء الحق والحالة السودانية أيام النميري
- 25- الحرب الباردة هو مصطلح يستخدم لوصف حالة الصراع والتوتر والتنافس التي كانت توجد بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وحلفائهم من الفترة في منتصف الأربعينيات حتى أوائل التسعينيات.

خلال هذه الفترة، ظهرت الندية بين القوتين العظميين خلال التحالفات العسكرية والدعاية وتطوير الأسلحة والتقدم الصناعي وتطوير التكنولوجيا والتسابق الفضائي.

ولقد اشتركت القوتين في انفاق كبير على الدفاع العسكري والترسانات النووية وحروب غير مباشرة - باستخدام وسيط.

26 — الكتاب، ص 158.

27 — حافظ الأسد، حافظاً لأسد، 1930 - 2000، شغل منصب رئاسة

الجمهورية في سوريا ما بين عامين 1971-2000، ومنصب رئاسة الوزراء ما بين عامين 1970-1971، كما أنه شغل منصب القيادة القطرية السورية والأمانة العامة للقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي ما بين عامين 1971-2000، ومنصب وزارة الدفاع ما بين عامين 1966-1972. التزم الأسد بالإيديولوجيا البعثية. شهدت سوريا في عهده ازدياداً في الاستقرار باتجاه نحو العلمانية والصناعة، لتعزيز البلاد باعتبارها قوة إقليمية. ولد لأسرة فقيرة من الطائفة العلوية، انضم إلى الجناح السوري لحزب البعث العربي الاشتراكي عام 1946 كناشط طالب. انتسب للكلية العسكرية في حمص عام 1952، وتخرج بعد ثلاث سنوات كطيار. نفي إلى مصر (1959-1961) خلال فترة الوحدة بين سوريا ومصر التي لم تدم طويلاً.

28 — حزب البعث، حزب تأسس في دمشق، سوريا في العام 1947م، تحت

شعار أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة وأهدافه وحدة حرية اشتراكية

---

- وهي تجسد الوحدة العربية والتحرر من الاستعمار والإمبريالية وإقامة النظام الاشتراكي العربي، وهو الحزب الحاكم في سوريا منذ ثورة الثامن من آذار في عام 1963 حتى الآن وكان الحزب الحاكم للعراق منذ 17 تموز / يوليو 1968 حتى سقوط نظام صدام حسين بتاريخ 9 نيسان / أبريل 2003 في أيدي قوات التحالف يوصف حزب البعث على أنهم زيجمن الاشتراكية، والقومية العربية.
- 29- لا أدري ماذا يقول المؤلف اليوم والعسكر يتغول على الشعب السوري، وما تقوم به روسيا من أعمال هدفها إبقاء النظام .
- 30- نوري السعيد 1888/1958م، شغل منصب رئيس وزراء المملكة العراقية 14 مرة منذ مارس 1930 حتى مايو 1958م، وهو شخصية سياسية كثر الجدل والآراء المتضاربة حولها
- 31- أثبتت الأحداث أن الجيش المصري فعلاً قد ترسخت فيه معاني المؤسساتية التي تجلت في الثورة الأخيرة 2012م، التي أطاحت بحسني مبارك حيث انحاز الجيش للأمة.
- 32- في مثل هذا اليوم حققت إسرائيل نصراً واستطاعت التوسع على كافة الجبهات العربية وعرفت تلك بالنكسة .

## الأسرة والتغير الاجتماعي في المجتمع الليبي

أ. نورية مسعود خليفة الطابعي  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

### المقدمة:

لقد تناول المفكرون والفلاسفة موضوع الأسرة بالبحث منذ فترة تاريخية قديمة، وذلك إدراكا منهم لأهمية الأسرة بالنسبة للفرد والمجتمع. يهتم هذا البحث بدراسة التغيرات الاجتماعية التي طرأت على الأسرة الليبية وتأثرت الأسرة الليبية بعمليات التغير الاجتماعي التي مرت بها المجتمعات البشرية وتأثر شكل بنائها وتركيبها ووظائفها، والأسرة لا يمكن دراستها وفهمها كظاهرة منعزلة، ولكن لابد من النظر إليها داخل إطار النظم الاقتصادية والسياسية والدينية والأوضاع السكانية في المجتمع الذي تكون جزءا منه يتأثر بها ويؤثر فيها في آن واحد.

وعلى الرغم من الاعتقاد الذي ساد العديد من علماء الاجتماع بأن التطور التكنولوجي الصناعي وما يتبعه من ظواهر اجتماعية، يشكل عاملا مهما في تغير الأسرة ولكن بالرغم من أن الاختراعات والاكتشافات العلمية لها أهمية كبيرة في عملية التغير الاجتماعي إلا أنها ليست العامل الوحيد والأهم من غيره في تغير الأسرة، إذ أن كل تغير يحدث في الأسرة ما هو إلا نتيجة لعدة عوامل مجتمعة ومتداخلة.

وبناء على ما سبق نوضح في هذا الورقة البحثية أهم المحاور الرئيسية الآتية:

#### أولاً- مفهوم الأسرة:

تعني كلمة أسرة بوجه عام، جماعة صغيرة ذات أدوار ومراكز اجتماعية مثل زوج، زوجة، أب، أم، ابن، ابنة، يربطها رباط الدم، الزواج، أو التبني، وتشارك في سكن واحد تتعاون اقتصادياً.

والنمط التقليدي للأسرة يضم الزوجين وأطفالهما، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود أنماط أخرى، المرأة المطلقة وأطفالها تُعدّ أسرة وكذلك الزوج المطلق وأطفاله يعتبرون أسرة<sup>(1)</sup>.

أما "وليام قاريت" يشير إلى أن علماء الاجتماع ينقسمون على فريقين عند تعريفهم للأسرة الفريق "الوظيفي" يعرف الأسرة بما تفعله الأسرة، أي عن طريق الوظائف التي تؤديها للمجتمع أو لأفرادها، أما الفريق الآخر أو الواقعيون فهم يركزون على مضمون الأسرة على التنظيم الاجتماعي داخلها وعلى الأدوار الموجودة في هذا التنظيم، ولقد حاول "وليام قاريت" اختيار تعريف للأسرة يجمع بين مميزات وخصائص الوظيفيين والتنظيميين معاً، حيث عرف الأسرة بأنها " منظمة بنائية قرابية وتوجد على عدة أشكال، ولكنها تتألف من شخصين بالغين ذكر وأنثي وأطفالهما الذين يعيشون مع بعضهم في علاقة دائمة، ويقررها المجتمع مثل الزواج، وأقل وظائفها تتمثل في الإنجاب والعطف وتعيين المراكز والأوضاع وتنشئة الأطفال اجتماعياً.

ليس لاصطلاح الأسرة تعريفا واضحا يتفق عليه العلماء على الرغم من أن الأسرة هي من الوحدات الأساسية التي يتكون منها البناء الاجتماعي، وقد عرفه أوجبرن ونيمكوف بأنها "منظمة دائمة نسبيا تتكون من زوج وزوجة مع أطفال أو بدونهم أو تتكون من رجل وامرأة لوحدهما مع ضرورة وجود أطفال".

ويعرفها ماكيفر وبيج بأنها وحدة بنائية تتكون من رجل وامرأة تربطهما علاقات روحية متماسكة مع الأطفال والأقارب ويكون وجودها قائم على الدوافع الغريزية والمصالح المتبادلة والشعور المشترك الذي يتناسب مع أفرادها ومنتسبيها (2).

أما "برجس ولوك" يعرفان الأسرة بأنها جماعة من الأفراد تربطهم روابط قوية ناجمة عن صلات الزواج والدم أو التبني وتعيش في سكن واحد. وكذلك يمكن تعريف الأسرة بأنها "مجموعة أفراد يربطهم رباط الزواج، الدم، أو التبني، ويسكنون في منزل واحد، ويتفاعلون ويتصلون ببعضهم البعض من خلال أدوارهم الاجتماعية كزوج وزوجة، أب، وأم، ابن وابنة، وأخ وأخت، ويبنون ويحافظون على ثقافة عامة بينهم" إن هذا التعريف يتميز بنوع من الشمولية حيث ينطبق على الأسرة الزوجية والأسرة النووية والأسرة الممتدة (3).

#### ثانياً- الأسرة والتغير الاجتماعي في المجتمع الليبي:

بدأت الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية العلمية في المجتمع الليبي في فترة متأخرة، إذا ما استثنينا دراسة أو غسطني لسكان برقة وطرابلس

التي تمت في أوائل هذا القرن (1917—1920) كما أن معظم الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية لم تهتم بموضوع الأسرة اهتماما كبيرا بل تطرقت إليها كجزء من دراسة القرابة بصورة عامة.

وعلى الرغم من أن الأسرة الليبية وحدة اجتماعية متماسكة ومتجانسة لها خصائصها العربية والإسلامية وطابعها الليبي الذي يميزها إلى حد ما عن غيرها من الأسر العربية، فإنه من الصعب الحديث عن الأسرة الليبية كنمط واحد وذلك لتعدد أنواعها وأشكالها ولكل نوع منها سماته وخصائصه، فهناك بحسب وجهة نظر الدكتور (علي الحوات) الأسرة البدوية، الأسرة الريفية، الأسرة الحضرية، الأسرة الانتقالية، الأسرة ذات الامتداد العالمي<sup>(4)</sup>.

هناك الكثير من الباحثين والمهتمين بدراسة الأسرة حاولوا تصنيف الأسرة إلى نوعين من الأسر، هي الأسرة النووية الأكثر انتشارا في المجتمعات والأسرة الممتدة، وستعرض لهذه النماذج من الأسرة بشيء من التفصيل لنتمكن من إعطاء صورة عن طبيعة التنظيم الأسري.

#### أ- تصنيفات الأسرة:

#### أولا- الأسرة الممتدة:

وهي تضم جيلين أو أكثر الوالدين وأبنائهما غير المتزوجين، وعلى الأقل أحد أبنائهما المتزوجين وأطفاله، وفي بعض الأحيان البنات المتزوجات وأزواجهن وأطفالهن وربما بعض الأقارب، والأسرة الممتدة تضم ثلاثة أجيال يعيشون مع بعضهم في منزل واحد، والأهم من هذا أن الأسرة يجب أن تعمل كوحدة اقتصادية واحدة، ومن أهم مزايا الأسرة الممتدة ما يأتي:—



- 1- كبر الحجم.
- 2- تضمن نوعا من الاستمرارية عبر الأجيال وتوفر نوعا من الرعاية والحماية لأبنائها، كما أنها توفر لهم بيئة اجتماعية قوامها الألفة والمودة كل فرد يشعر بنوع من الالتزام نحو الآخرين في الأسرة.
- 3- تُعدّ بناء اجتماعيا أكثر فاعلية في حفظ تراث الأسرة وتقاليدها وكذلك في نقل ممتلكات الأسرة المادية من جيل إلى جيل.
- 4- يتمتع الأطفال في الأسرة الممتدة بشبكة واسعة من العلاقات القرابية، وهؤلاء الأقارب متواجدون دائما لمساعدة الوالدين سواء في عملية التنشئة الاجتماعية أو غيرها من المهام، وكذلك يمثلون نماذج للعديد من الأدوار وأنماط السلوك للأطفال<sup>(5)</sup>.

#### ثانيا- الأسرة النووية:

- هي جماعة اجتماعية مكتفية ذاتيا تتكون من الأب والأم، والأطفال غير المتزوجين الذين يعيشون معا، هي تمثل أصغر أنواع الأسر، وقد تتكون الأسرة النووية من جيلين، إذ عندما يكبر الأطفال يتحولون أو ينتقلون من أسرة والديهم ليكونوا أسرهم النووية الخاصة<sup>(6)</sup>.
- ويرتبط ظهور الأسرة النووية ارتباطا وثيقا بالتحضر والتصنيع والسياسات الإسكانية، وهذا النوع من النظم الأسرية أخذ في الظهور في المجتمعات الحديثة وأخذ في الانتشار نظرا لظروف التطور والتغير الحاصل في المجتمعات، ومن مزايا الأسرة النووية ما يأتي:—
- 1- صغر الحجم.

2- تقلص الفوارق الكبيرة بين الزوجين مما أشاع جوا من التفاهم والتعاون.

3- يمارس الوالدين وظيفة التنشئة الاجتماعية دونما مؤثرات من الأقارب.

4- تمتاز بالعلاقات القوية بين الزوجين لغياب تأثير الأقارب نظرا لضعف العلاقات القرابية في هذا النوع من الأسر<sup>(7)</sup>.

### ثالثاً- وظائف الأسرة في المجتمع الليبي:

تقوم الأسرة الليبية بالعديد من الوظائف نظرا للأهمية التي تتمتع بها بالنسبة للمجتمع و الأفراد، كما أن لها من الوظائف التي لا يمكن لأي مؤسسة القيام بها نيابة عنها ووظائف الأسرة تختلف من مجتمع لآخر ومن عصر لآخر في المجتمع الواحد، فهي ليست ثابتة ولكنها نسبية، كما أن مفهوم الوظيفة يحمل عدة معان، إذ إنه بإمكاننا التحدث عن الوظائف التي تؤديها الأسرة للمجتمع الكبير، وعن الوظائف التي تؤديها لأفرادها داخل إطار الأسرة ذاتها، أو عن الوظائف كوحدة تحليل للتغير الذي طرأ على شكل وبناء الأسرة، وهل الوظائف التي تؤديها بقيت كما هي أم تغيرت، أم أنها تقلصت نهائياً: \_\_ (8)

#### أ- أهم الوظائف الأسرية:

1- وظيفة إشباع الحاجات الجنسية بين الزوجين: الأسرة توفر المظلة الشرعية لعملية الإشباع الجنسي وتجعل منه أمراً مشروعاً لا يتنافى مع رغبات المجتمع والشرائع المنظمة لذلك.

- 2- وظيفة الإنجاب والتناسل: تعد وظيفة الإنجاب من الوظائف المهمة لاستمرار الوجود وتواصل المجتمع والمحافظة على الجنس البشري، وهذه الوظيفة ينبغي أن تكون بطريقة مشروعة وفي حدود إمكانات الأسرة ومواردها<sup>(9)</sup>.
- 3- الوظيفة الاقتصادية: ويعدّها الكثيرون من أهم الوظائف حيث كانت وحدة مكتفية ذاتيا إلى حد كبير فيستهلك الأفراد ما ينتجون، لم تكن هناك حاجة إلى نقود ومصارف وأسواق ومصانع، وذلك لأنها كانت تعمل على أن تكفي نفسها بنفسها ، وتنتج جميع ما تحتاج إليه ولا تستهلك إلا بقدر إنتاجها، والأسرة كانت تمثل جميع الهيئات الاقتصادية التي تتمثل في العصر الحاضر في المصارف والشركات والمصانع والتشاريكات الإنتاجية.
- 4- وظيفة تعيين المراكز الاجتماعية لأفرادها: نتيجة لأهمية الدور الاقتصادي الذي تؤديه الأسرة لأفرادها فقد أصبحت ذات نفوذ ومكانة في المجتمع، وكان لا يحدد مركز الشخص كفرد منعزل ولكن ينظر إليه كعضو في أسرة محددة معينة.
- 5- الوظيفة التعليمية والتربوية: الأسرة وحدها كانت هي المؤسسة التي تشرف على تربية وتعليم أبنائها من مختلف النواحي وفق ما تشاء وبدون تدخل أية سلطة من سلطات المجتمع، فقد كان بيت الأسرة يمثل مركز التعليم حيث يتعلم الأبناء داخل نطاق الأسرة.

- 6- وظيفة الحماية: كانت توفر الأسرة الحماية لأفرادها سواء أكانوا أطفالاً، شباباً، أم شيوخاً، وكانت الأسرة تحميهم وتوفر لهم العيش الكريم، كما كانت الأسرة تقوم بالفصل في نزاعات وخصومات أفرادها، وتعمل على رد الحقوق إلى أهلها<sup>(10)</sup>.
- 7- الوظيفة الدينية: الأسرة هي التي توضع قواعد الدين وتفصل أحكامه وفيها يتعلم أبنائها قواعد الدين وشعائره وأحكامه ومناهجه.
- 8- الوظيفة الترويحية: كانت الأسرة تقوم بهذه الوظيفة، والترويح يتم داخل نطاق الأسرة أن وجد وقت للفراغ ويقضيه أفرادها داخل البيت أو القيام ببعض الألعاب أو الصيد أو الفروسية، إذ لم يكن الترويح مبرمجاً كما هو في الوقت الحاضر بأسلوب تجاري، ولم تكن هناك مراكز وأماكن للترويح خارج الأسرة كالنوادي، والملاهي، والمعارض والقرى السياحية أو الإذاعات المرئية والمسموعة، وإن وجد ترويح خارج الأسرة كان يتم عن طريق زيارات الأسر لبعضها البعض.
- 9- الوظيفة الروحية الخفية: وتتمثل في توفير الحب والعطف والمودة والتراحم بين الزوجين وبين الوالدين والأبناء وبين الأخوة وكذلك إنجاب الأطفال وتنشئتهم<sup>(11)</sup>.

#### ب- التغير الاجتماعي في وظائف الأسرة:

إن وظائف الأسرة تتميز بالتنوع والاتساع، بحيث كانت تشمل أغلب جوانب حياة الفرد وخاصة الاقتصادية والتربوية والترفيهية، وهذه الوظائف ترتبط ببناء أسري معين هو ما اصطلح على تسميته بالأسرة الممتدة، ولكن

نتيجة لنمو وتطور المجتمعات خرجت تنظيمات اجتماعية لتحقيق أهداف المجتمع وفي إشباع الحاجات الفردية، فقد بدأت هذه التنظيمات في اخذ وظائف الأسرة واحدة بعد الأخرى، ومع ذلك استطاعت الأسرة أن تحتفظ بوظائف مهمة لم تستطيع التنظيمات الاجتماعية السيطرة عليها وهي: وظيفة الإشباع العاطفي للأفراد وتشمل إنجاب الأطفال وتنشئتهم والتي تعد الوظيفة الاجتماعية الرئيسة للأسرة المعاصرة، والوظيفة الروحية المتمثلة في توفير الحب والعطف وخاصة الرعاية الاجتماعية لكبار السن وخاصة الوالدين حيث يتعذر أن تؤدي خارج الأسرة على الوجه المطلوب.

أشار (وليام أوجبرن) إلى أن مشكلة الأسرة المعاصرة تتمثل في فقدانها للكثير من وظائفها، فالوظيفة الاقتصادية انتقلت إلى المصنع ومؤسسات المجتمع الاقتصادية والتجارية الأخرى مثل المتاجر والمكاتب والمصارف...إلخ. وأصبح الفرد لا ينتج لنفسه ولا لأسرته كما كان يفعل في السابق، وإنما ينتج للمجتمع.

وانتقل التعليم إلى المدرسة والمعهد وأنشأت الوزارات وخرجت القوانين المختلفة لتنظيم التعليم، بل وكل دول العالم شرعت قوانين للتعليم الإلزامي.

الترويج تقوم به الآن جهات ومؤسسات متخصصة خلقها المجتمع مثل دور الخيالة والمسارح والنوادي...إلخ، والوظيفة الدينية أنشأ المجتمع الحديث لها هيآت خاصة بالرغم من أن الطفل قد يتعلم مبادئ الدين أثناء سنوات عمره الأولى في أسرته ولكن الآن توجد مؤسسات رسمية تعلمه أمور وشؤون الدين كالمدرسة والمسجد ومختلف دور العبادة، كما وانتقلت وظيفة

الحماية من الأسرة إلي المجتمع الكبير، وبالطبع لا يزال الطفل يلقي الحماية والرعاية داخل أسرته، ولكن المجتمع يساهم في حماية الأطفال سواء داخل أسرهم أو خارجها من خلال القوانين واللوائح ومؤسسات رعاية الأطفال. ويتفق بعض الكتاب العرب مع (ماكيفر) في أن تقلص وظائف الأسرة لا يعد انحلالاً أو تفككاً، وتقول علياء شكري " أن تقلص الوظائف لا يعني بالضرورة حدوث نوع من التفكك الأسري"، أما سناء خولي ترى أن كل فقدان لبعض الوظائف يدعم من وحدة الأسرة وتكاملها، ويزيد من قدرتها على مواجهة متطلبات التنشئة الاجتماعية وتنمية شخصية الأطفال، ويشير مجد الدين خيرى إلى أن الأسرة النووية لا تزال تحتفظ بوظيفة الرعاية الاجتماعية بالإضافة إلى الوظيفة العاطفية التي تضم الإنجاب والتنشئة قد تكون من الوظائف الأساسية وربما الوحيدة المتبقية للأسرة في عدد من المجتمعات الصناعية وهي وظيفة على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة للفرد والمجتمع، ومن ثم فإن فقدان الأسرة لجميع الوظائف الأخرى التي يهدد وجودها كبناء اجتماعي متميز في المجتمع الحديث.

إن فالتطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي غير في وظائف الأسرة، لم يعد الرجل وحده توفير الضمان الاقتصادي إلى أفراد عائلته، مما دفع بالمرأة إلى الانخراط في التعليم والعمل، ونظراً لخروج المرأة إلى العمل قامت مؤسسات جديدة وتشكيلات اجتماعية حديثة تعمل على مساعدة الأسرة في تحقيق وظائفها كمستشفيات ودور الحضانه، وهيآت تنظيم الأمومة<sup>(12)</sup>.

#### رابعاً- العوامل المؤثرة في وظائف الأسرة:

يمكننا أن نتحدث عن العوامل التي أن يكون لها تأثير على تركيب ووظائف الأسرة وهي:-

#### 1- تأثير الثورة العلمية على الأسرة:

إن العلم هو المؤثر الكبير الذي غير العالم بشكل واضح، وللعلم أهمية كبيرة من ناحية المضمون، والطريقة، والتطبيق، أن التكنولوجيا هي المصدر المباشر للثورة الميكانيكية التي أثرت على الأسرة تأثيراً كبيراً وجعلتها في حالة تغير مستمر.

#### أ- الثورة الميكانيكية:

إن مفهوم الثورة الصناعية يطلق عادة على التغيرات التي نشأت بسبب الاستعمال العلمي "للحوة" أو الطاقة لمختلف الآلات في أواخر القرن الثامن عشر استعمال اصطلاح الثورة الميكانيكية يدل على الثورة الصناعية على أساس أن الصناعة بمعنى تجمع عدد كبير من العمال لم يكن جديداً وفي بداية العصر الجديد كان من الضروري أن تكون القوة "الطاقة" قريبة من الآلات المراد تشغيلها، لهذا السبب أنشئت المصانع في المناطق التي تتوفر فيها مصادر الطاقة، لأن مصادر الطاقة في تلك الفترة كانت البخار، ثم حلت الكهرباء كمصدر للطاقة بدل البخار، وكانت نتيجة ذلك أنه تم توليد الطاقة على مسافة بعيدة من الآلات، ثم نقلها من خلال الأسلاك الكهربائية المعروفة، إن هذه الحقيقة وثيقة الصلة بعدم تركيز الصناعة حول مصادر

القوة، لأنه بالإمكان نقل القوة من أماكن تواجدها إلى حيث الحاجة إليها، وكذلك إعادة الوظائف الاقتصادية للمنزل.

من المعروف أنه قد حصلت على عدة نتائج ثانوية نتيجة لاستعمال "القوة" الطاقة للآلات مثل التأكيد على نظام المصنع، التحضر، وتحسن وسائل المواصلات، وأن تغير وسائل المواصلات والاتصالات كان لها أهمية خاصة بالنسبة للأسرة<sup>(13)</sup>.

#### ب- الثورة البيولوجية:

إن الثورة العلمية في المجال البيولوجي ذات أهمية خاصة بالنسبة لأفراد الأسرة، وأن الحاجة للتحكم العلمي في العوامل والمتغيرات البيولوجية كانت كبيرة، لقد كانت أمور الصحة والمرض خلال القرون الوسطى واقعة في دائرة الخرافات، ونسبة الوفيات عالية جدا وخاصة الأطفال الرضع، كما أن معدلات الأعمار بصورة عامة منخفضة.

ويمكننا أن نتوقع آثار فهم الإنسان للعوامل البيولوجية على الحياة الأسرية، ومن أهم هذه الآثار، تحسين وسائل منع الحمل وتوفير معلومات أفضل حول التحكم في عمليات الإخصاب، ووفقا لآراء المختصين من المحتمل أن يتم في القريب التحكم في نوع الجنين نتيجة للتقدم في المجال الطبي، وأن كل هذه الأمور تحمل بين طياتها مشاكل اجتماعية ذات علاقة بالقيم الدينية والأخلاقية.

إن الأسرة الآن لم يساورها الخوف من الكثير من بلاد العالم من أن أطفالها سيصيبهم الشلل أو الحصبة الألمانية وغيرها من الأمراض، وذلك



بفضل التقدم الطبي البيولوجي في القضاء على هذه الأمراض والأوبئة، وأيضا قد ساعدت في منع الكثير من المشكلات والصراع الأسري، وعلماء الاجتماع العائلي يتابعون نتائج الثورة البيولوجية على الأسرة باهتمام كبير<sup>(14)</sup>.

## 2- الآثار الاجتماعية للثورة العلمية على الأسرة:

يشير الكثير من الباحثين إلى أن الأسرة خاصة البلدان الصناعية قد أصبحت جماعة صغيرة أولية، مستقلة إلى حد ما من علاقات القرابة الممتدة، إن هذا الاستقلال قد أثر على الأسرة من عدة جوانب.

ويمكننا أن نشير إلى عدد من التغيرات التي طرأت على الأسرة كالآتي:-

### 1- تناقص حجم الأسرة:

"أهل البيت" ويمكن التفريق بين الأسرة النووية، وأهل البيت على أساس إن تعبير أهل البيت قد تضم بجانب الأسرة النووية أشخاصا ليس لهم قرابة دم، أو زواج، أو تبني.

### 2- تناقص الأسر الممتدة الكبيرة:

فالأسرة كجماعة مؤلفة من الزوجين وأطفالهما وأطفال أطفالهما، وغيرهم من الأقارب أصبحت بازدياد ليست الشكل المناسب لحياة الوقت الحاضر، فبعض الأقارب من النساء خاصة كالأرامل والمطلقات في إمكانهم الآن الحصول على وظائف في مؤسسات المجتمع ومن ثم لم يعدن في حاجة إلى العيش مع أسرة ممتدة تضمن لهن على الأقل الغذاء والكساء والمسكن.

وبالنظر إلى انتشار ظاهرة الحضرية، فإن الأشخاص الذين يشتغلون عند أسر أخرى ويكونون أسراً ثانوية تعيش مع أسر صاحب العمل ويكونون مع بعضهم أسرة ممتدة كبيرة، لم تعد ظروف حياة الحضر تسمح بذلك وأصبح العامل وأسرته يعيشون في منازل مستقلة عن أسرة صاحب العمل، والأولاد المتزوجون وفقاً للتقاليد الجديدة للسكن المستقل أصبح من غير المحتمل أن يستمروا في العيش مع أسرة الوالدين في منزل واحد.

وفي هذا السياق يشير بعض الباحثين إلى أن الأسرة النووية أصبحت منعزلة تحت ظروف الصناعة والبيروقراطية الحديثة، ويشير بعض الباحثين الأمريكيين أمثال (ليتواك) الذي يرى أن الأسرة الممتدة مازالت تعمل وتقوم بواجباتها بالرغم من العقبات الوظيفية والطبقية وهو يقترح نموذجاً آخر للأسرة الممتدة يسميه الأسرة الممتدة المعدلة، أما (ساسمان) عالم الاجتماع الأمريكي المختص بالأسرة فيقول أن الأسرة النووية ربما تسكن في منطقة معينة بالقرب من بعضها البعض، ويمكن أن تقوم بعضها بأعمال وتؤدي وظائف متداخلة ومتعددة.

### 3- إن التناقص في معدلات الخصوبة هو اتجاه آخر حديث ومهم:

فلم تعد وظيفة الحمل والإنجاب هي أهم أساس للحياة الأسرية، كما كانت في الماضي، فقد قلت أهمية قيمة إنجاب أعداد كبيرة من الأطفال والاتجاه الحديث في أغلب مجتمعات العالم هو نحو الأسر صغيرة الحجم حتى يضمن الوالدين لأطفالهم حياة أفضل سواء من الناحية المادية أو المعنوية، الغذاء الجيد، العلاج الجيد، التعليم الجيد، السكن الجيد، والتربية الجيدة... الخ<sup>(15)</sup>.

#### 4- تناقص الاتفاق والترابط بين الأجيال في الأسرة:

فقد أظهرت الأبحاث وجود تناقص في حجم الاتصال والترابط بين الأطفال ووالديهم وكذلك في نوعية هذا الاتصال، والأطفال في كثير من المجتمعات الغربية يغادرون أسرهم ويعيشون لوحدهم حتى قبل أن يتزوجوا سواء أكانوا ذكورا أو إناثا حتى تصل الأسرة عند خروج آخر طفل منها ويبقى الوالدان لوحدهما في البيت، كما أن الاتصال بين الأخوة والأخوات أصبح في العصر الحاضر أقل منه كما ونوعا مما كان عليه في الماضي. تلك بعض التغيرات التي حصلت على بناء وشكل الأسرة، ولكن هناك تغيرات طرأت على البيت أو المنزل وهو الموقع الذي تقوم فيه الأسرة بوظائفها، وقد كان للثورة العلمية تأثير واضح على هذا الموقع (16).

#### خامسا- المداخل النظرية لدراسة الأسرة:

تعددت المداخل النظرية في دراسة الأسرة، ففي عام 1960م قد قام كل من (روبن هيل، ودونالد هانسن) في جامعة منسوتا بالولايات المتحدة الأمريكية خمسة أطر نظرية كل منها يركز على زاوية معينة في الأسرة ويتخذها نقطة انطلاق عند البحث والدراسة، أن تلك الأطر النظرية طورت من خلال علوم اجتماعية متعددة، مثل علم النفس الاجتماعي، علم الاجتماع، علم الإنسان، علم نفس الطفولة، وعلم الاجتماع التاريخي، وفي عام 1966م قدم كل من (ايفان ناي، وفيليكس بيراردوا) أحد عشر مدخلا لدراسة الأسرة وهي: المدخل الأنثروبولوجي، البنائي الوظيفي، النظامي، التفاعلي،

الموقفي، التحليل النفسي، النفسي – اجتماعي، التطوري، الاقتصادي، القانوني، والمسيحي الغربي.

أما ( ويسلي بر) وغيره، في كتابهم القيم "النظريات الحديثة حول الأسرة" 1979م فإنهم قد قدموا خمس نظريات هي: الاختيار والتبادل، التفاعل الرمزي، النظم العامة، الصراع، والظواهرية "الفيونولوجية".  
يمكننا تحديد أربعة مداخل نظرية رئيسية تناولت الأسرة. وهذا لا يعني عدم أهمية المداخل الأخرى إذ قدمت جميعها إسهامات ذات أهمية بالنسبة لدراسة الأسرة وتطور دراستها علميا والمداخل الأربعة هي :-

### 1- النظرية البنائية الوظيفية:

تعدّ النظرية الوظيفية من أكثر النظريات انتشارا في دراسة الأسرة وخاصة تلك الدراسات التي ركزت على علاقة الأسرة بغيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى الموجودة في المجتمع، وعلى الوظائف التي تؤديها الأسرة لأفرادها أو المجتمع الكبير ككل، ولعل أحد أسباب كثرة استعمالها في دراسات الأسرة يرجع إلى مرونتها وقابليتها لتفسير الكثير من الظواهر الاجتماعية.

إن المفاهيم والفروض التي تقود التحليل البنائي الوظيفي للأسرة كأحد المؤسسات أو النظم الاجتماعية المهمة في المجتمع يمكن استخدامها للنظر إلى الأسرة كجماعة صغيرة من الأفراد المتفاعلين وفي الأدوار المختلفة، وقد تعرضت النظرية إلى نقد بعض الكتاب لعدم وضوح مفاهيمها، إلا أن ذلك لا

ينفي بأنه على الرغم من مرونتها أو عدم وضوحها فإنها تعد اتجاهًا نظريًا رئيسًا في أبحاث علم الاجتماع العائلي<sup>(17)</sup>.

وتركز النظرية على إبراز بناء الأسرة ووظائفها، وقد ظهرت بوادر التفكير الوظيفي في كتابات إميل دور كايم، مارسيل موسي، وفي كتابات الأنثروبولوجيين الاجتماعيين أمثال (راد كليف براون، مالينوفسكي، إيفانز برتشارد) إلا أن أهم مفكر في مجال علم الاجتماع الذي كتب في مجال الأسرة من المنظور الوظيفي هو تالكوت بارسونز وكذلك كنجسلي ديفيز.

إن أهم سمات هذه النظرية هي تشبيه المجتمع بالكائن الحي من حيث التركيب والأداء الوظيفي، باعتباره الكائن الحي يتكون من أعضاء ولكل عضو وظيفة يقوم بها، ويمكننا تعريف الوظيفة بأنها الدور الذي يقوم به الجزء (العضو) من أجل استمرارية الكل (الكائن الحي)<sup>(18)</sup>.

والنظرية الوظيفية تهتم بقضيتين أساسيتين عند تحليل الأسرة وهما الوظيفة والبناء وهو أمر دفع الكثير من الكتاب إلى نقد هذه النظرية لإهمالها حركة التفاعل الاجتماعي داخل الأسرة، واهتمامها بعملية التوازن والتكامل والاستقرار، ومن ثم فإن النظرية ترى أن الصراع قوة سلبية وسلبية في الأسرة، مع أن الصراع في الحقيقة يمكن أن تكون له نتائج إيجابية للأسرة.

لقد قسم (ماكنتاير) الوظائف التي تؤديها الأسرة إلى ثلاث فئات هي :-

1- وظائف تؤديها الأسرة للمجتمع.

2- وظائف تؤديها الأسرة لنفسها كنظام فرعي في المجتمع.

3- وظائف تؤديها الأسرة لأفرادها.

**وظائف توديتها الأسرة للمجتمع هي:**

- 1- المحافظة على النوع توفير أعضاء جدد للمجتمع عن طريق الإنجاب
- 2- تنظيم السلوك الجنسي.
- 3- تزويد الأطفال باحتياجاتهم الجسمية والاقتصادية والنفسية.
- 4- المحافظة على التراث الثقافي ونقله من جيل إلى آخر، أي تنشئة الأطفال اجتماعيا، وهي وظيفة عامة وعالمية ومعروفة ومطلوبة كذلك في كل المجتمعات.

**أما بالنسبة للفرد فإن الأسرة تؤدي الوظائف الآتية:**

- 1- البقاء الفيزيقي.
- 2- الإشباع الجنسي.
- 3- الرعاية والحماية.
- 4- التنشئة الاجتماعية.
- 5- إكسابه الصفة الاجتماعية.

أما بالنسبة للوظائف التي توديتها الأسرة لنفسها، فإن الأسرة نفسها هي النظام الذي تسعى إلى الحفاظ عليه واستمراره، وإن أي أمر أو بشيء يساهم في بقاء هذا النظام واستمراره يمكن تسميته وظيفي. ومن وجهة النظر الوظيفية يُعدّ البعض تقسيم العمل بحسب الجنس أهم عامل ساعد على بقاء واستمرار الأسرة واستقرارها، ويرى أنصار النظرية البنائية الوظيفية أن

تقسيم العمل هو الطريقة التي مكنت الأسرة من المحافظة على استقرار بنائها وتأدية وظائفها في المجتمع<sup>(19)</sup>.

## 2- نظرية التبادل:

تعدّ نظرية التبادل من أحدث النظريات استعمالاً في دراسة الأسرة والزواج، بل حتى إن تسميتها لازالت لم تستقر عند بعض الكتاب، وبعضهم يستعمل اصطلاح نظرية التبادل، والبعض يري اسم النظرية يجب أن يكون الاختيار والتبادل، أما (ايفان ناي) عالم الاجتماع الذي كتب في مجال الأسرة ويقترح تسميتها بنظرية الاختيار الاجتماعي، ويرى أن الاختيار مفهوم يضم التبادل.

الاتجاه التبادلي يُعدّ حديثاً في المجال الدراسات الأسرية، ولكن جذوره موجودة في نظريات الاقتصاد، علم النفس السلوكي وكذلك في دراسات علم الإنسان الثقافي.

نظرية التبادل تستخدم مفهوم التكاليف والفوائد في تحليلها للتفاعلات التي تقوم خلال العلاقات الاجتماعية، إن مفهوم التكاليف والفوائد لا تشير إلى أشياء مادية فقط ولكنها تشير كذلك إلى أشياء غير مادية مثل المراكز الاجتماعية والاعتراف الاجتماعي، وتعدّ المصادر المادية وغير المادية التي يمتلكها الأفراد والتي يعدها الآخرون ذات قيمة وفائدة هي المحرك لعملية التبادل.

التبادل في نطاق الأسرة يرى بعض علماء الاجتماع الذين يستعملون نظرية التبادل في تفسيرهم للظواهر الاجتماعية، وفي بعض الأنماط

السلوكية، أننا لا نستطيع أن نفهم لماذا يتصرف الناس تصرفاً ما بدون أن نعرف الغرض من هذا التصرف. أي ماذا يريدون من وراء تفاعلهم مع غيرهم بطريقة معينة، وما هي المؤثرات أو الأسباب التي توجه نماذج التبادل التي تقوم بينهم.

ومن بين المؤثرات التي تعرف بأنها عوامل مهمة في التبادل على مستوى الأسرة والزواج : توجهات الزوجين المعيارية والمعرفية، ونماذج علاقاتهم التبادلية وإدراكهم، أو نظرتهم وتوقعهم لمدى بقاء واستمرار مؤسسة الزواج والعلاقات الزوجية<sup>(20)</sup>.

### 3- نظرية الصراع:

أصحاب نظرية الصراع يرون أن الصراع عاملاً مهماً رئيساً في العلاقات الإنسانية وبدل أن تؤكد على الثبات والسعي إلى التوازن، نجدها تؤكد على التغير.

ويذكر (جونثان ترنر) ستة فروض مهمة لنظرية الصراع هي :-

- 1- بالرغم من أن العلاقات الاجتماعية يظهر عليها في الغالب التنظيم والاستقرار إلا أن هذه العلاقات يوجد فيها المصالح المتصارعة.
- 2- المصالح المتصارعة تدل على أن النظم الاجتماعية وبصورة منظمة تخلق الصراع.
- 3- الصراع يمثل جزء من النظام الاجتماعي وهو متغير عام أي إنه حتمي.
- 4- يتضح الصراع في تعارض واختلاف المصالح.



5- ينشأ الصراع في الغالب نتيجة لتقسيم المصادر النادرة وخاصة النفوذ والقوة.

6- الصراع هو السبب الرئيس والأساسي في تغير النظم الاجتماعية. ويمكن القول إن أهم فروض نظرية الصراع هو فرضها بأن الصراع في كل نماذج التفاعل الإنسانية شيء طبيعي ومحتوم ولا يمكن تجنبه، ومن ثم فهو لا يمثل أمراً غير طبيعي ومخرب للنظام الاجتماعي ولللاقات الإنسانية، أي إنه أمر متوقع في كل النظم الاجتماعية وفي كل أنماط التفاعل الاجتماعي، بما في ذلك النظم الأسرية واللاقات والتفاعلات الزوجية. وفي مجال الأسرة مثلاً، إذا كانت المعايير وأهداف عمل الأسرة أو الزوجة والزوج، أو الوالدين والأطفال في صراع دائم، فإن القضية التي تواجه الأسرة في هذه الحالة ليست كيفية اجتناب هذا الصراع، ولكن في كيفية إدارته والتعامل معه أو حله، وفي هذه الحالة لا يكون الصراع أمراً سلبياً أو عاملاً مساعداً على تصدع أو تفكك الأسرة، ولكنه ربما يقوي ويوطد اللاقات ويجعلها أكثر فائدة مما كانت عليه قبل أن يبدأ الصراع بين أفرادها<sup>(21)</sup>.

ففي الوقت الذي يعتقد فيه الوظيفيون أن الأدوار الأسرية التي يعطيها المجتمع للرجال والنساء هي نتيجة المتطلبات الوظيفية للأسرة كوحدة اجتماعية أساسية في المجتمع، نجد الصراعيين يرون أن كل النظم الاجتماعية تتميز بلاقات استغلال بين أصحاب القوة وبين الضعفاء والنظام

الأسري أحد أهم هذه النظم الذي يتميز بتقسيم واضح ومميز للأدوار الاجتماعية مبني على أساس النوع.

أما (فردريك انجلز) فيرى أن أهم وحدة اجتماعية في المجتمع الرأسمالي هي الأسرة ، وهي تمثل المصدر الأساسي والرئيس لاضطهاد المرأة، والزوج هو البرجوازي، والزوجة تمثل (البروليتاريا) بحسب التعبير الماركسي، وعليه ومن خلال منظور الصراع أن الزوجات والأمهات (المضطهدات) يدركن مصالحهن المشتركة، ويتساءلن عن عدالة وشرعية النماذج القائمة ثم يجتمعن معا ويقررن التغيير أو الثورة ضد الأزواج أو الوالدين، الرجال المسيطرين بصورة عامة، ويقررن إعادة توزيع المصادر القوة، المال، التعليم، فرص العمل... وغيرها، والصراع أمر حتمي في المجتمع، في الأسرة وفي العلاقات بين الأفراد ويؤدي إلى التغيير.

ويُعدّ كارل ماركس وفردريك انجلز من أهم المفكرين الذين ساهما في بناء وتطوير نظرية الصراع والصراع بين الرجال والنساء كان إحدى مميزات المجتمع الرأسمالي، ولقد استعملت نظرية الصراع في دراسة المشاكل والاختلافات والصراع داخل مؤسسة الزواج والأسرة، وكان هدف العلماء والمستشارين في المجال الأسري والزواجي هو القضاء أو على الأقل التخفيف في حدة الصراع الأسري، ولكن نظرية الصراع تفترض أن اختلاف الاتجاهات وتنوع الاختبارات والأهداف هي أمور عادية، ومن ثم عن الأسرة من دون شك نظام اجتماعي ستبقى في حالة صراع مستمر مادام اختلاف الأدوار قائما إن نظرية الصراع لا تهتم بالكيفية التي يمكن القضاء

بها على الصراع داخل الأسرة، ولكن بالكيفية التي يمكن أن تجعل أفراد الأسرة يقومون بوظائفهم وأعمالهم وعلى كيفية التوفيق والتعاون للقيام بها بالرغم من اختلافهم أو صراعهم<sup>(22)</sup>.

#### 4- نظرية التفاعل الرمزي:

تعد نظرية التفاعل الرمزي من أكثر النظريات الاجتماعية استخداماً في الدراسات الأسرية، وهذه النظرية بدأ استخدامها في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، قد سميت كذلك بالنظرية السلوكية الاجتماعية. واهتمت نظرية التفاعل الرمزي ببحث في مسالتين رئيسيتين تدخلان في نطاق اهتمام الدراسات الأسرية، وهما: التنشئة الاجتماعية، ونمو الشخصية. ويحاول أنصار النظرية الرمزية عند دراستهم للأسرة الكشف عن العمليات الاجتماعية التي تقوم داخل الأسرة، ويحاولون استقصاء الأفعال المحسوسة للأشخاص، والسلوك المنظور، الذي يمكن ملاحظته، وكذلك اتجاهات أفراد الأسرة نحو بعضهم البعض، وبذلك فهم يركزون على أهمية المعاني، وتعريفات المواقف والرموز والتفسيرات، وذلك لأن التفاعل بين بني الإنسان وفقاً لهذه النظرية يتم عن طريق استخدام الرموز وتفسيرها والتحقق من معاني أفعال الآخرين.

وعندما يستخدم الباحث النظرية الرمزية في دراسته للأسرة فإنه يعني بذلك دراسة العلاقات الشخصية بين الزوج والزوجة، وبين الوالدين وأولادهما، ووفقاً لهذا المدخل أن الأسرة ينظر إليها على أنها وحدة من الشخصيات المتفاعلة ولا يهتم بالجانب القانوني الذي يحكم الأسرة ولا العقد

الذي تقوم عليه، وإنما يركز أساساً على التفاعل بين الأعضاء ويهتم بالأمور الداخلية في الأسرة إذا يركز على التوافق الزوجي والعلاقات الوالدية مع الأولاد وتكوين الشخصية والعلاقات المتبادلة بين الزوجين (23).

سادساً: - الدراسات السابقة:

نظراً لأهمية الدراسات السابقة في الجانب النظري، وذلك من خلال إجراء بعض المقارنات مع نتائج تلك الدراسات، يمكننا تحديد بعض الدراسات السابقة ذات العلاقة بالأسرة والتغير الاجتماعي في المجتمع الليبي.

أولاً: - الدراسات العربية

1- دراسة (إبراهيم عثمان) 1986م، بعنوان "التغيرات في الأسرة الحضرية في الأردن" تهدف الدراسة إلى معرفة التغيرات في الأسرة الحضرية في الأردن، وعينة الدراسة المكونة من (585) أسرة من العاصمة عمان، وأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة، الأسرة الأردنية توافق مع التغيرات الاجتماعية، وقيمة الإنجاب الخاصة بعينة الدراسة يتوقع الإنجاب المباشر، والطبقة الوسطى هم الغالبية لخروج المرأة للعمل، وتختلف مواقف الآباء والأمهات من ناحية تعليم بناتهم منهم من يريد أن تواصل تعليمها الجامعي والعالي ومنهم من يكتفي بالتعليم الثانوي.

2- دراسة (عبد القادر القصير) 1999م، بعنوان " الأسرة المتغيرة في مجتمع المدينة العربية " دراسة ميدانية في علم الاجتماع الحضري، هدفت الدراسة إلى الكشف عن التغيرات التي طرأت على أوضاع الأسرة في مجتمع المدينة العربية، واستخدم منهج المقارنة والمسح الاجتماعي، ومنهج دراسة الحالة، والمنهج التاريخي لتحليل أهم التغيرات في الأسر العربية الحضرية من خلال المتغيرات الآتية: ظروف الزواج، وحجم الأسرة، وظروف السكن وعلاقات الجوار، وشبكة العلاقات القرابية، وأسلوب تربية الأطفال، والعلاقات الاجتماعية والأسرية، وتوصلت الدراسة إلى أن العلاقات القرابية بدأت تضعف عما كانت عليه في السابق وأن الأسرة الحضرية تميل إلى الانفتاح، ولا تقتصر عن الأهل والأقارب بل يشمل الأصدقاء والأزواج، والأسرة العربية قد تأثرت بعمليات التنمية والتحديث.

3- دراسة (صلاح عبد العال) 1971م، بعنوان " أثر التغير الاجتماعي في البناء الاجتماعي للأسرة المصرية " دراسة مقارنة بين البناء الاجتماعي للأسرة في الريف والحضر المصري، هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى التغيرات التي طرأت على بناء الأسرة الريفية والأسرة الحضرية بفعل التغير الاجتماعي، والتي تتعرض له كافة نظم المجتمع ومعرفة تأثير التغير في البناء الأسري على الأنساق المختلفة في مجتمع القرية بالإضافة للكشف عن العلاقات القرابية بين الأسرة النووية وأصولها في القرية بشكل عام وبينها وبين الأسرة الممتدة ، وكانت عينة الدراسة مكونة من (65) أسرة اختيرت

بطريقة عمدية، وتوصلت الدراسة إلى استمرار العلاقات القرابية بين أسر الريف وأسر الحضر وجود أسرة ممتدة في الحضر<sup>(24)</sup>.

4- دراسة (طلال عبدالمعطي مصطفى) (1996م، بعنوان " التصنيع وعلاقته بالتغير في بناء الأسرة السورية"، تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على واقع الأسرة السورية في المجال الصناعي، وإمكانية الاستفادة من النتائج لخدمة أغراض التنمية الاجتماعية، وقد لخص الباحث إشكالية الدراسة في التساؤل الآتي:

ما هي التغيرات التي أصابت الأسرة السورية، سواء من حيث شكلها أو طبيعة علاقاتها الداخلية والخارجية نتيجة التصنيع؟

أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة تحققت الدراسة من مصداقية الفرض الخاص بأثر التصنيع على الأسرة، وذلك في تحولها من الشكل الممتد إلى الشكل النووي، وأن هذه الدراسة في الواقع كانت تهدف إلى دراسة التغير الذي طرأ على الأسرة بسبب التصنيع، ومن خلال النتائج التي توصل إليها الباحث اتضح أن الأسرة قد تعرضت إلى جملة من التغيرات البنائية والوظيفية، بسبب التطورات الاقتصادية المباشرة<sup>(25)</sup>.

ثانياً :- الدراسات المحلية:

1- دراسة (أحمد سالم الأحمر) (1990م، بعنوان " الأسرة الليبية الحضرية تركيبها ووظائفها ومشكلاتها"، هدفت الدراسة إلى التعرف على أنماط الأسرة الليبية وتركيبها وعلاقة ذلك بالبيئة الاجتماعية والاقتصادية التي توجد فيها، ودراسة أهم الوظائف التي تقوم بها الأسرة، وتحديد المشكلات التي

تعاني منها الأسرة في البيئة الحضرية، وتكونت عينة الدراسة من (180)، وكان من أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة هي أن تركيب الأسرة يميل إلى نمط الأسرة صغيرة الحجم، الآخذة في التحرر من القيود العلاقات القرابية، أما بالنسبة للوظائف فقد بينت الدراسة أن التقسيم التقليدي الذي يخص المرأة بالعمل داخل المنزل فقط والرجل خارجه لا يزال هو التقسيم الوظيفي السائد (26).

2- دراسة (نوري محمد شقلابو) 2000م، بعنوان "علاقة التحديث بتطور بنية الأسرة الليبية المعاصرة في مدينة الزاوية"، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على علاقة التحديث بتطور بناء الأسرة وقد قسم الباحث أهداف الدراسة إلى قسمين: أهداف علمية وأهداف عملية، تهدف الدراسة من الناحية العلمية إلى إثراء مادة علم الاجتماع العائلي بالمعارف والمعلومات والحقائق العلمية، كما تهدف إلى تفسير حركة التغير الاجتماعي للأسرة، أما من الناحية العملية تهدف الدراسة إلى وصف الواقع الاجتماعي المعاش، إلى جانب رصد وتحليل أهم التغيرات التي يتوقع أنها حدثت بفعل التحديث في بناء الأسرة، كما تهدف لمعرفة العلاقة بين المتغيرات في بناء الأسرة، والعوامل التي كانت وراء هذه التغيرات، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، وبينت الدراسة أن بناء الأسرة متأثر بالتغيرات التي مر بها المجتمع بشكل عام، وقد صنفت هذه النتائج في شكل محاور، والهدف منها الإجابة عن تساؤلات الدراسة، وقد تمثلت المحاور في الآتي: في مجال نمط الأسرة أظهرت نتائج الدراسة أن الأسرة الممتدة لم تعد على شكلها التقليدي،

بل أنها تأثرت بالتغيرات وأصبحت في الغالب ذات نمط نووي، أكثر من كونها أسرة ممتدة، وفي مجال العلاقات الداخلية للأسرة، أوضحت الدراسة أن هذه العلاقات هي الأخرى تأثرت بالتحويلات والتغيرات التي يمر بها المجتمع، سواء في العلاقة بين الزوج والزوجة، أو في علاقة الآباء والأبناء أو العلاقات الأخوية، وكل تلك العلاقات تميزت بالطابع الانتقالي، كما أسفرت نتائج الدراسة على أن عملية التنشئة الاجتماعية هي عملية اجتماعية، يلعب فيها الزوج والزوجة دورا اجتماعيا، لا تقتصر على واحد دون الآخر، وفي المجال العلاقات القرابية والخارجية، أوضحت الدراسة أن الأسرة غير منعزلة بنائيا، أو بمعنى آخر فإن للأسرة علاقات اجتماعية غير محدودة، يسودها التضامن والتكامل الاجتماعي والاقتصادي، الذي يؤدي إلى حل المشاكل الاجتماعية والمادية داخل الأسرة وخارجها<sup>(27)</sup>.

3- دراسة (ياسين علي الكبير) 1979م، بعنوان " التحضر والتغير الاجتماعي في الأسرة في مدينة طرابلس"، هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على حالة التماثل والتغيرات التي طرأت على الأسرة الريفية المهاجرة إلي مدينة طرابلس، وتكونت عينة الدراسة من (210) أسرة في مدينة طرابلس، وكانت وسيلة جمع البيانات استمارة مقابلة، وأهم فروض الدراسة الأسرة الحضرية تكون أكثر ميلا إلى المساواة بين الزوج والزوجة والأسرة الحضرية تكون أكثر تماسكا من الأسرة المهاجرة، وتغير الأسرة المهاجرة نحو نموذج الأسرة الحضرية، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة الأسرة الحضرية تختلف عن الأسرة الريفية المهاجرة من حيث



التنشئة الاجتماعية، وعلاقة الزوج بالزوجة من حيث كونها أكثر تماثلاً، والأسرة الريفية تتسم بالتسلط والتحكم مما يؤدي إلى انعدام التأكيد على التحصيل والنجاح، والأسرة الحضرية تتسم بالروح الديمقراطية، مما يؤدي إلى زيادة التفاعل بين أفرادها، والأسرة المهاجرة تعرضت للتغيرات في اتجاه الأسرة الحضرية<sup>(28)</sup>.

#### الخاتمة:

لقد تناولت الورقة البحثية بشيء من التحليل أهم التغيرات التي طرأت على الأسرة في المجتمع الليبي، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج، والتي يمكن تلخيصها في النقاط الآتية: —

أولاً: الأسرة أول خلية يتكون منها البنيان الاجتماعي، وهي أكثر الظواهر الاجتماعية عمومية وانتشاراً، وتعبير أهم مؤسسة اجتماعية في حياة الفرد الليبي، إذ انه يعتمد عليها اعتماداً كبيراً في تنشئته وفي منحه ومركزاً اجتماعياً معيناً وهي التي توجه سلوكه وعلاقاته بغيره ومواقفه واتجاهاته تجاه الآخرين.

ثانياً: - الأسرة تنظيم اجتماعي وشرعي مهم يتم في إطارها إشباع الحاجات المتنوعة للفرد ويتم في إطارها إعداد وتنشئة الأجيال وتواصل واستمرار الحياة الاجتماعية.

ثالثاً: تختلف طبيعة وأساليب الرعاية الأسرية باختلاف المجتمعات وكذلك باختلاف قدرات وإمكانيات الأسرة المادية والمعنوية ومدى إلمامهم بحاجات الأبناء، وتعدّ الوظائف التي تؤديها الأسرة مؤشراً لبعض الأدوار التي

يمارسها أفرادها. ذلك أن الدور الاجتماعي هو عبارة عن وظيفة الفرد في الجماعة أو الدور الذي يلعبه الفرد في جماعة أو في موقف معين.

**رابعاً:** تتداخل مسؤوليات الأسرة في رعاية وتربية الأبناء والعناية بهم وتنشئتهم مع العديد من المؤسسات والهيئات الاجتماعية الأخرى، وقد ازداد التداخل بين مهام ومسؤوليات الأسرة في الرعاية والتنشئة والتربية وبين مسؤوليات ومهام المؤسسات المجتمعية الأخرى مع زيادة التحضر وارتفاع معدلات التغيرات والتحويلات الاجتماعية.

**خامساً:** هناك الكثير من الدراسات التي تشير إلى أن التحول في البناء الممتد إلى البناء النووي هي ظاهرة عالمية، حيث أن اغلب مجتمعات العالم خاصة المجتمعات الصناعية الحديثة يسود فيها النمط الأسري النووي، وهي ترتبط بشكل كبير بالاتجاه العام في المجتمع الحضري الصناعي الحديث، كما ترتبط بانتشار التصنيع والتعليم في المجتمعات النامية، وفي المجتمع الليبي نستطيع القول إن هناك اتجاه نحو الأسرة صغيرة الحجم، و أكدت نتائج دراسة أحمد سالم الأحمر ودراسة نوري محمد شقلابو أن الأسرة الممتدة لم تعد على شكلها التقليدي، بل إنها تأثرت بالتغيرات وأصبحت نمطاً نووياً، أكثر من كونها أسرة ممتدة.

### الهوامش

- 1- الوحيشي أحمد بييري، علم الاجتماع العائلي، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، الطبعة الأولى، 1990م، ص 49.
- 2- الوحيشي أحمد بييري، المرجع السابق، ص 51.
- 3- الوحيشي أحمد بييري، المرجع السابق، ص 53، 54.
- 4- الوحيشي أحمد بييري، الأسرة والزواج: علم الاجتماع العائلي، منشورات الجامعة المفتوحة، طرابلس، 1998م، ص 151، 152.
- 5- الوحيشي أحمد بييري، علم الاجتماع العائلي، مرجع السابق، ص 57، 58، 59، 60.
- 6- إجلال إسماعيل حلمي، الأسرة العربية: النظرية والتطبيق، مكتبة الانجلو المصرية للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1998م، ص 33، 34.
- 7- شعبان الطاهر الاسود، مبادئ علم الاجتماع، منشورات جامعة الزاوية، الزاوية، الطبعة الأولى، 2004م، ص 251، 252، 253.
- 8- الوحيشي أحمد بييري، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 65، 66.
- 9- الوحيشي أحمد بييري، د. عبد السلام الدويبي، مدخل إلى العلوم الاجتماعية، 2012، ص 93.
- 10- سناء الخولي، التغيير الاجتماعي والتحديث، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م، ص 211، 212.

- 11- الوحيشي أحمد بييري، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 67،  
68.
- 12- الوحيشي أحمد بييري، علم الاجتماع العائلي، مرجع السابق، ص 71،  
72، 73.
- 13- الوحيشي أحمد بييري، الأسرة والزواج: علم الاجتماع العائلي، مرجع  
سابق، ص 288، 289.
- 14- الوحيشي أحمد بييري، مرجع السابق، ص 292، 293.
- 15- الوحيشي أحمد بييري، المرجع السابق، ص 294، 295.
- 16- الوحيشي أحمد بييري، المرجع السابق، ص 296، 297.
- 17- الوحيشي أحمد بييري، علم الاجتماع العائلي، مرجع سابق، ص 89،  
91.
- 18- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية للطباعة  
والنشر، بيروت، 1984م، ص 143- 144.
- 19- الوحيشي أحمد بييري، علم الاجتماع العائلي، مرجع السابق، ص 94،  
95، 96.
- 20- الوحيشي أحمد بييري، الأسرة والزواج: علم الاجتماع العائلي، مرجع  
سابق، ص 381، 382، 383.
- 21- الوحيشي أحمد بييري، المرجع السابق، ص 397، 398.
- 22- الوحيشي أحمد بييري، المرجع السابق، ص 399، 400، 401.
- 23- الوحيشي أحمد بييري، المرجع السابق، ص 407، 408.

- 24- عادل موسى علي أمبارك، التحضر وعلاقته ببعض التغيرات الاجتماعية للأسرة الليبية، قسم علم الاجتماع، دراسة ميدانية تحليلية على الأسرة في مدينة المرج، طرابلس، 2012، جامعة طرابلس، رسالة ماجستير غير منشورة، 2012 م، ص ص 120 – 123.
- 25- سالم أحمد فرحات الجندي، أثر بعض العوامل الاجتماعية في تحديد حجم الأسرة الليبية، دراسة ميدانية على عينة من الأسر في مدينة زليتن، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة طرابلس، 2013 م، ص ص 41 – 42.
- 26- عادل موسى علي امبارك، مرجع سابق ، ص 117.
- 27- سالم أحمد فرحات الجندي، مرجع سابق ، ص 44 – 46.
- 28- عادل موسى علي امبارك، مرجع سابق ، ص 115 – 116.

## المبادئ التربوية ودورها في رسم السياسات التعليمية في ليبيا

د. جمعة سليمان الحجاج  
كلية التربية بالزاوية - جامعة الزاوية

### مقدمة:

إن أي مجتمع يسعى دائما لتطوير نفسه نحو التقدم والرفق في شتى المجالات وبخاصة مجال التعليم والتربية الذي من خلاله يمكن إصلاح المنظومة التعليمية ومن ثم إصلاح المجتمع بالكامل، وبناء حياة جديدة تستند على التفكير العلمي والإبداع والتألق في نشر العلم والمعرفة في ربوع وطننا الحبيب ولأهمية حقل التربية والتعليم وما لحقه من غبن وتدمير نكاد نقول إنه متعمد وممنهج في النظام السابق لغرض أهداف سياسية معينة، وشلت حركة هذا الحقل كان لزاماً علينا نحن المتخصصين في هذا المجال، ونحن نستشق نسيم الحرية ولأول مرة علينا أن نبحث في تطوير منظومة التعليم في ليبيا التي تتعدى المفاهيم التقليدية وتسعى لخلق المواطن النموذجي الذي ينعم بآفاق المستقبل المشرق. نقدم أهم المبادئ التربوية ودورها في رسم السياسات التعليمية في ليبيا. نأمل أن يكون له قبول سياسي وتربوي يحقق أهداف مجتمعنا الصاعد.

أهم المفاهيم الأساسية التي لها علاقة بالموضوع:

أولاً- مفهوم السياسة التربوية

ثانياً- الأسباب الداعية لإصلاح النظام التربوي في ليبيا:

ثالثاً- أهم المبادئ التربوية التي يجب الأخذ بها لإصلاح النظام التربوي

في ليبيا.

أولاً- مفهوم السياسة التربوية: تشكل المرحلة الأولى التي تحدد فيها الاختيارات الرئيسة للسياسات التربوية في أي مجتمع. إن سياسة الدولة تصاغ على الورق باسم جميع المواطنين في المجتمع ومن جهات مسئولة أو مفوضة وقد يشارك الأهالي في صياغة المضمون السياسي للنظام التربوي (خاصة إذا كانوا على درجة من الوعي الاجتماعي والثقافي)، بمعنى أنه لا بد أن نعلم أنه ما من سياسة تربوية إلا وهي تعبر عن سياسة الدولة والمجتمع ومن ثم تعبر عن تقاليدها وقيمتها وتصورها للمستقبل فالسياسة بالدرجة الأولى تعدّ وظيفة مرتبطة أشد الارتباط بالسيادة الوطنية، لذا فإن تحديد السياسة التربوية لا يحصل إلا بعد التفكير والتقليب في وجوه الرأي من ذوي الاختصاص وواضعي القرار السياسي الذي تنطلق منه السياسة التربوية، ومن ثم تحتاج إلى تخطيط لمجموع الأهداف العامة والخاصة التي يراد تحقيقها. أن السياسة التربوية لا تنحصر في رسم بعض المبادئ التوجيهية العامة، بل لا بد من أن تشتمل على مجموعة من الأهداف الخاصة المترابطة فيما بينها ترابطاً قوياً، ومن بينها الأهداف ذات الطابع الروحي والفلسفي والثقافي ما يقدم فكرة واضحة عن مفهوم الإنسان مع تحديد الأهداف السياسية المتماشية مع الاختيارات الوطنية الكبرى، الأمر يتطلب أن تكون السياسة مرتكزة على العديد من الآليات.

**أهم الآليات التي يجب أن تركز عليها السياسة التربوية:**

التأكد من أن السياسة التربوية للنظام التربوي المحددة تتماشى مع الأهداف العامة للدولة والمجتمع.

الارتكاز على جانب إيديولوجي في التفكير وفي السياسة والاقتصاد. أن يكون هناك انسجام بين السياسة التربوية والأهداف العامة لبقية القطاعات الأخرى.

يجب أن تتماشى مع المبادئ والتوجيهات العامة للمجتمع من الناحية الأيديولوجية والفلسفية حتى تتحقق الأهداف.

أن تشتمل على مجموع الأهداف الخاصة المرتبطة فيما بينها ارتباطاً قوياً ومن أهم الأهداف التي ترتبط بها السياسة التعليمية:  
أ- أهداف ذات طابع روحي ديني (إيديولوجي).  
ب- أهداف ذات طابع فلسفي.  
ج- أهداف ذات طابع ثقافي (1).

كل هذه الأهداف تقدم فكرة واضحة عن مفهوم الإنسان الذي ترسم له السياسات التالية:

**سياسة تحدد الأهداف السياسية المتماشية مع اختيارات المجتمع:**

سياسة تحديد الأهداف الاجتماعية والاقتصادية التي تتضافر مع بعضها لأجل تحقيق الغاية المنشودة للنظام التربوي طبقاً لفلسفة المجتمع في الحياة ومتطلبات التنمية.

سياسة تحديد الأهداف التربوية التي تعد الشرط الأساسي لتحقيق الأهداف الأخرى المرسومة في سياسة الدولة لأجل التنمية والتطور. علماً بأن تحديد الأهداف المحصورة في نطاق النظام التربوي تتطلب أن تنطلق وتعبّر عن الاتجاهات السائدة في المؤسسات التربوية وفي مراحل التعليم المختلفة التي



يتكون منها السلم التعليمي في المجتمع. وإجمالاً فرسم السياسة التربوية يجب أن تركز على العديد من المبادئ التربوية المعاصرة بحيث يتم تحديد الأهداف التربوية من القائمين على رسم السياسة التربوية وإدراجها في قائمة تساعد على صياغة الفلسفة التي يجب أن تنطلق منها تلك السياسة وعلى ضوءها يتم تصنيفها بحسب الأسبقية في التنفيذ وفي شكل مخطط متماسك للدولة يسمى بالسياسة التربوية.

ثانياً- الأسباب الداعية لإصلاح النظام التربوي أو السياسات التربوية في ليبيا:

الرغبة في معالجة بعض العيوب ومدارك النقص الملحوظة في تنفيذ برامج التربية والتعليم في ليبيا.

الملاحظة ميسورة وواضحة لكل من له خبرة بقضايا التربية والتعليم في ليبيا ومن له دراية بمتطلبات العصر.

النظام التربوي في ليبيا يعاني من تدني في مخرجات التعليم بحسب حاجة سوق العمل، زيادة علي ذلك فغن الاكتشافات العلمية ونتائج البحوث العلمية التي لها علاقة باكتشاف طرائق ووسائل جديدة ترفع من مستوي التربية والتعليم، جديدة بأن تكون ضمن برامج الإصلاح في النظام أو السياسة التربوية والتعليمية في ليبيا.

قد تتعدد قوائم الإصلاح التربوي في ليبيا إذا تعمقنا فيما يجب ان يكون عليه نظام التربية والتعليم بما يحقق توظيف الإمكانيات المادية والبشرية غير المحدودة لأجل التعديل أو الإصلاح.

وقد تظهر أنواع الإصلاحات التربوية والتعليمية للدواعي التالية:  
ربط التعليم بحقائق البلاد وباحتياجات المجتمع والمطامح الفردية.  
إسناد المهام للمؤسسات التعليمية في تكوين الكوادر الفنية والأطر التقنية.  
إقامة روابط مهنية بين المؤسسات التعليمية والمجتمع المحلي بحسب التخصص.

تحويل الأنظمة التعليمية لأجل التغلب على المشكلات المستعصية في المجتمع والسعي نحو الانفراج من الأزمات الحادة التي يمر بها النظام التعليمي في ليبيا (تتعلق بالطرائق التدريسية أو تطوير المناهج التعليمية).  
جهود القضاء على أسباب التسرب المدرسي ومساعدة الفاشلين في توجيههم للدراسة بحسب قدراتهم وإمكاناتهم.  
تتمية عناصر العمل التربوي من حيث مكونات المحتوى والفهم والمواقف والقابليات (أي مراعاة الجوانب العاطفية والمزاجية الخاصة بالمتعلمين).  
العناية باللغات والتربية البدنية وبالقيم الأخلاقية في التعليم.  
النظر في برامج وأساليبه التقويم والقياس.  
إدخال التقنيات في تنفيذ المناهج والمقررات الدراسية.  
تحسين مستوى المصادر التعليمية (مكتبات إلكترونية - كتب ومصادر متعددة). اهتمام خاص باللغات التي لها علاقة بالعلوم (عربي، إنجليزي).  
تشجيع الأنشطة التي تهدف إلى تربية العقل والجسم، والاهتمام بالفئات الخاصة وتعليم الكبار.

كل هذه الموضوعات الإصلاحية للنظام التربوي والتعليمي قد تكون مراراً وتكراراً موضوعات للتفكير والدراسة والمناقشة على الصعيد الوطني يجب التأكيد والتركيز عليها في الإصلاح والتجديد.

مطالب إصلاح النظام التربوي في ليبيا: إن النقد الحاد الموجه إلي سياسات التعليم في ليبيا وإعادة النظر فيها بشكل عام لا يرجعان فقط إلى التيارات الاقتصادية والضغوط السياسية . بل أن توجهات هذه العقود الأخيرة التي عاني فيها الشعب الليبي إلى منهج القولية المتعمد من النظام السابق. لذا فإن السياق الجديد للنقاش حول التعليم يتطلب إعادة ترتيب الأوراق والمناهج بما يحقق حاجات وفئات المجتمع من منافع التعليم وتحسين السياسات التربوية سواء فيما يتعلق بضبط الأولويات ام التحديد الفعلي لمحتوى التعليم، وما يحتاجه سوق العمل، وما يجب أن تكون عليه مخرجاته التي تحقق حاجات المجتمع الي التطور والتقدم في هذا العصر. إن إصلاح النظم التربوية داخل أي مجتمع من أجل النهوض بالتربية يحتاج إلى الانتباه إلى النقاط التالية:

إصدار التشريعات اللازمة والبحث عن الحلول البديلة التي سوف تقوم عليها العملية التعليمية أو النظام الجديد للتربية مع وضع التدابير الجذرية المادية والبشرية لأجل الإصلاح والتغيير.

تهيئة الجو المناسب للإصلاح والتغيير وبيدأ الإصلاح بالجزء حتى يسير التغيير بصورة حيوية وجدية وهذا يتطلب اشراك ذوى الخبرة وتشجيعهم

على التعديل أو التغيير أو التطوير للمناهج التعليمية والطرائق والوسائل التدريسية.

الأخذ بأسلوب التجربة في الإصلاح، وذلك لأن هناك العديد من القضايا التربوية مغلقة لم يصل إليها البحث العلمي سواء في علم النفس كان أم في العلوم التربوية، لذا فإن الإصلاح منحصر في التجريب والتعديل باستمرار. المشاركة من القاعدة في الإصلاح، وهذا يتطلب التركيز على التنسيق بين القمة في الدولة والقاعدة في مؤسسات المجتمع لأجل المشاركة الجادة لذوى الخبرة وتطبيق التعليمات الواردة من الإدارة العامة. ومن أجل هذا يتطلب من المسؤولين على التربية في المجتمع أن يعملوا من أجل توفير الوسائل التعليمية والتقنيات التي تدعم حركة الإصلاح والإبداع في النظم التربوية والسياسات التعليمية. وحتى يكون الإصلاح إيجابياً يتطلب ضرورة تحفيز ذوى الخبرة في الإصلاح، وإشراكهم في الرأي، لأن رجال التربية لا يعارضون الإصلاحات بقدر ما يعارضون الطرائق التي تنفذ بها الإصلاح<sup>(2)</sup>.

**ثانياً- أهم المبادئ التربوية التي يجب الأخذ بها في تنفيذ سياسة التعليم:**  
المبادئ التربوية تشير إلى نمط من الأفكار الفلسفية التي تسعى السياسة التربوية التي توظفها لتحقيق نتائج معينة، وهنا نشير إلى أن المبادئ التربوية ليس المقصود منها هو الانتقال بالمبادئ السياسية الي الصعيد العملي فحسب، بل الزيادة في التوضيح، بحيث تصبح حقيقة ملموسة تقدم لرجال التخطيط العناصر التي يمكن الاعتماد عليها لانجاز الأهداف السياسية. والمبادئ بهذا

الاعتبار، إنما هي الحلقة الوسطى التي يتم عند حدها شرح السياسة من جهة، وتحديد منهج التخطيط من جهة ثانية. بهذا فإن مفهوم المبادئ التربوية: هو وضع الإجراءات التنفيذية التي يمكن اتباعها في تنفيذ السياسة التربوية بحسب المكان والزمان<sup>(3)</sup>.

وقبل الدخول في تحديد أهم المبادئ التربوية التي يجب أن تأخذ بها السياسة التربوية يتطلب أن ننطلق من ثلاثة منطلقات رئيسية عامة:  
الأول: تنظيم العناصر التي تحتاج إلى إعادة نظر في نسق متماسك.  
الثاني: أخذ المصادقة في اتخاذ القرار بعين الاعتبار في مجرى الوقائع.  
الثالث: العزم على معالجة المشكلات الناجمة عن تلك المصادقة لأجل التحكم فيها.

المبادئ العامة في تنفيذ السياسة التربوية: يؤخذ في الاعتبار اتباع المبادئ العامة في تنفيذ السياسة التربوية وهي:  
مبدأ الشمول: وهو الانطباق على جميع أشكال التربية ومستوياتها.  
مبدأ التكامل: في تحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع.

مبدأ المواكبة: أي أن تكون مسايرة من حيث السرعة في الإنجاز لتطور الاختيارات السياسية.

الشروط التي يجب أن تتوفر في المبادئ العامة: حتى تقوم المبادئ بوظيفتها الثابتة وهي السير بالسياسة التربوية في طريق النجاح لابد أن تتوفر فيها الشروط التالية:

أن تصاغ الأهداف التربوية صياغة مضبوطة ضبطاً دقيقاً: بحيث تتوفر فيها شروط التقنية حيث تقوم علي اساس المبادئ التربوية المحددة سلفاً حتى ننجح في تنفيذها على أسس علمية صحيحة.

أن تكون مرنة: تأخذ في اعتبارها التطوير والإبداع والتجدد، لأن المعطيات الأساسية قابلة للتغير في مراحل التنفيذ. حيث أن تطور التربية مرتبط ارتباطاً قوياً بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية إلى درجة أن هناك توافقاً بين الإمكانيات والمطامح.

ضرورة وجود طرائق حسابية لصياغة الاختيارات السياسية بناء على تلك المبادئ التي نؤمن بها في تنفيذ السياسة التربوية بلغة حسابية، مع توفير جميع الشروط اللازمة عند وقت العمل، بمعنى توفير طرائق ووسائل لازمة لضمان نجاح التخطيط في السياسة التربوية مع مراعاة الواقع الاجتماعي الذي يتحكم في العادة في التنفيذ والأخذ بأسباب التقويم والاستمرار في تحسين وسائل التقويم المستمر<sup>(4)</sup>.

أما تحديد المبادئ التربوية: أجمع التربويون على أن الهدف النهائي من تنفيذ السياسة التربوية هو مدى انطلاقها من مبادئ تربوية معاصرة تعمل على تحقيق الأهداف التالية:

صياغة الاختيارات السياسية في مجموعة من الإجراءات التنفيذية.  
تحديد ما يجب عمله على هيئة خطط مستقبلية يلتزم بها النظام التربوي، وفي كل الأحوال فإن المبادئ التربوية دائماً تسعى إلى تحقيق الأهداف التالية:

تحديد الأهداف المنشودة.

تحديد التمويل المالي المخصص لهذا الغرض.

تحديد معايير الحكم التقييمي.

تحديد تصور احتمالات الطوارئ (خطط بديلة).

إن تحقيقنا للغايات السابقة يؤدي بالتالي إلى تحقيق الأهداف المنشودة للسياسة التربوية في الدولة أو المجتمع، وفي هذا يتطلب مراعاة العوامل التي لم تكن في الحسبان، مثل عامل الطاقات البشرية، وعامل الإمكانيات المادية وعامل الزمن في التنفيذ<sup>(5)</sup>.

نخلص إلى أن تحديد المبادئ التربوية دائما تعنى الانتقال بالسياسة إلى الصعيد العملي، بحيث تكون أكثر وضوحاً وتباتاً وتصبح عملية وحقيقة ملموسة على أرض الواقع. وتقدم لأجل التخطيط للعناصر التي يمكن الاعتماد عليها لأجل تحقيق الأهداف السياسية، وبهذا تصبح المبادئ هي الحلقة الوسطى التي يتم عن طريقها شرح السياسة من جهة وتحديد منهج التخطيط من جهة ثانية.

**خصائص المبادئ التربوية في تنفيذ السياسة التربوية:** إن خصائص المبادئ التربوية يمكن حصرها في النقاط التالية:

تؤمن بالتوسع الكمي: الذي يعبر عنه بالتوسع الخطي وبالنضج الذي كان عليه من دون أي تغيير في الكيف. كانت السياسات التربوية في منتصف القرن الماضي تركز على المعدودات من التلاميذ، والأجهزة المدرسية وهذه الطريقة لا تتماشى مع مقتضيات العصر، خاصة إذا تعذر اليوم توفير كل

الوسائل التي يمكن بها وضع التقديرات الكمية سلفاً لمجابهة التطورات المتوقعة في ميدان التربية.

كانت الأنظمة القديمة تأخذ بعين الاعتبار البرمجة بحسب ما يتوقعه المسؤولون من إقبال على الدرس بحسب الإمكانيات واستقبال عدد التلاميذ وتوفير الإمكانيات لهم من مدرسين، وأدوات وكتب ومباني وتجهيزات. وكذلك كانت الأحداث تحدد تبعاً للتقديرات الموضوعية في كل من هذه المجالات.

إن خاصية التوسع الخطي لا تقوم اليوم على أسس صحيحة، نظراً لما أسفرت عليه من تحقيق نتائج غير ايجابية، لذا يتطلب التفكير في تعديل السياسات التربوية والانتقال من التقدير الكمي إلى التقدير الكيفي ومن التقليد والنسج على منوال الماضي إلى البحث عن حلول مبتكرة، ومن الاقتصار على طريقة واحدة إلى ابتداء طرائق متعددة متنوعة بحسب الحالات المتقلبة، بمعنى إعادة النظر في كيفية معالجة المشاكل التربوية<sup>(6)</sup>.

ما هي الجوانب التي يجب مراعاتها عند تحديد المبادئ التربوية؟

عند تحديد المبادئ التربوية يتطلب:

يتطلب مراعاة الأهداف الخاصة بالمجتمع والنظر إلى ما سيؤول إليه من

حيث البنية ومن حيث البيئة المحلية.

يتطلب رسم صورة للإنسان النموذجي المراد تكوينه.

يتطلب الارتباط بالتراث الثقافي وأنماط المعيشة وبالفلسفة السائدة

بالأهداف والعقائد.



يتطلب التنبؤ بالجانب الكمي والكيفي: التوفيق بين التنبؤ بمستقبل التعلم كما وكيفاً من أجل الحصول على صورة واضحة عن المستقبل الممكن أو المحتمل أو المنشود.

يتطلب تحديد الأهداف السابقة واللاحقة: ضرورة التأكد من أن الأهداف المنجزة في ميدان التربية هي بالذات الأهداف التي خطط لها، وحددت من قبل حتى يتسنى تحديد أهداف جديدة التي بدورها تتأثر بالأهداف الأخرى في ميادين الحياة (الزراعية، والصناعية، ثم الخدمات الاجتماعية والصحية... الخ).

يتطلب مراعاة التقارب: إن البحث عن إستراتيجيات جديدة لتعليم غير مسابرة للخطط القديمة يجب أن يقوم على دراسة احتياجات المجتمع ومصالح الفرد والمجتمع، أي معرفة الأهداف التربوية التي حددتها الدولة والسياسة من أجل النهوض بها سواء على مستوى قطاع التعليم أم القطاعات الأخرى المتقاربة التي لها علاقة بالتشغيل والإنتاج الصناعي والزراعي.

يتطلب مراعاة الظروف الأخرى التي تساعد على تحقيق الظروف التي يعيشها الإنسان في المجتمع وما يطمح إليه الإنسان لأجل المستقبل مع الأخذ بأسباب التقدم والتطور في التقنيات والوسائل ومستوى الحياة ومشاريع التنمية التي تسعى الدولة إلى تحقيقها.

يتطلب تحديد الأهداف التربوية بشكل متكامل: إن تحديد الأهداف التربوية المتكاملة والمرتبة والمصنفة بطرائق علمية ومعدلة تعديلاً يتلاءم مع البيئة المحلية وخصائص المجتمع وفئاته العمرية مهم في تحقيق الأهداف التربوية.

يتطلب تحديد احتياجات الفرد والمجتمع: إن معرفة احتياجات الفرد والمجتمع هي المرجعية الوحيدة التي تمكننا من تحديد المناهج الدراسية والطرائق التدريسية وتراعى فيها تنوع الطرائق تبعاً لظروف البيئة وتحافظ على الأصالة التي يتميز بها الوسط الاجتماعي وخاصة فيما يتصل بالقيم الحضارية التي يعتر بها كل مجتمع من المجتمعات التي تتم فيها وضع المبادئ الخاصة بالسياسة التربوية.

يتطلب مراعاة الشمول: أى النظرة الشاملة للنظم التربوية التي عن طريقها تنفذ السياسات التربوية بحيث يكون الشمول يمتد خارج نطاق المؤسسات التربوية ويتجاوز حدود إطار المدرسة والجامعة، بحيث تمتد إلى بقية المؤسسات الأخرى في المجتمع ولا يقتصر على قطاع التعليم، بل يتطلب الاستعانة بمختلف القطاعات المتفاعلة في المجتمع<sup>(7)</sup>.

المشاركة في تحديد المبادئ التربوية: إذا أردنا النجاح في تنفيذ السياسة التربوية يتطلب من صناع القرار أن يشاركوا ويتيحوا الفرصة لذوي الاختصاص في تحديد المبادئ وإدراجها في تنفيذ السياسة التربوية والعمل على الأخذ باتجاهين مهمين هما:  
الأول: الأخذ بأسلوب الإصلاح الداخلي والتعديل المستمر للنظام التربوي الحالي.

الثاني: البحث عن أشكال جديدة، وحلول بديلة، وتوفير إمكانيات جديدة وملائمة بما يحقق التعديل والتغيير في النظام التربوي، علماً بأن المشاركة تتميز بالخصائص التالية:

الخصائص الوطنية والتوجهات والأهداف الفلسفية التي يسعى المجتمع الليبي إلى تحقيقها.

إن ما يعزز مصير المجتمع ويأخذ بأسباب التقدم في الأمة، هو البحث عن مبادئ تربوية تساعد على تحقيق الأهداف والخصائص الوطنية للمجتمع أو الدولة.

هذا يعني ألا ننسى الخصائص الثقافية والاجتماعية والمهنية والدينية مع الأخذ بأسباب اللغات التي تقدم العلم والمعرفة في تنفيذ السياسات التربوية. لتحقيق ذلك يتطلب من الدولة والمجتمع اتباع تنفيذ ما يلي:

تحقيق اللامركزية في تنفيذ السياسة التربوية، علي أن تكون وطنية في جوهرها ومتنوعة وموسومة بالسيادة الوطنية وطموحات المجتمع لأجل التطوير والتغيير.

الاقتداء بالدول الأخرى التي سبقتنا في تطور السياسات التربوية، والاستفادة من تجارب الشعوب ومن التراث التربوي المشترك مع عدم المساس بالسيادة الوطنية.

إشراك كل من له علاقة بالنظام التربوي في المجتمع من مربين وخبراء ورجال الإدارة والمال، وهذا ينطبق على السياسات الإصلاحية أو السياسات التجديدية<sup>(8)</sup>.

المبادئ التي يجب الأخذ بها في تنفيذ السياسة التربوية: يمكن حصر هذه المبادئ في المبادئ التالية:

أولاً- تطبيق مبدأ إتاحة الفرص واستخدام تقنيات جديدة: إن إتاحة التعليم لكل الناس مدى الحياة، ونشر مفهوم التربية المستمرة في هذا المجتمع، وجعلها فكرة رئيسة في السياسات التربوية في مجتمعات الحاضر. إن تعديل البنيات التربوية القديمة كي تصبح متلائمة مع التقنيات الجديدة أمر لا يكفي وحده، بل لابد كذلك من إعداد المعلمين والأساتذة، ولابد من توفير الإمكانيات المالية والبنية التحتية اللازمة<sup>(9)</sup>.

ثانياً- الأخذ بمبدأ التعليم الموزع: إن الأخذ بمبدأ التعليم الموزع يهدف إلى جعل التعليم موزعاً في كل زمان ومكان بحسب خصائص المجتمع الذي تريد فيه الإصلاح والتغيير والتجديد. وهذا يحتاج من الدولة إلى توزيع المؤسسات التعليمية بما يحقق الكم والكيف في الإصلاح التربوي في المجتمع، مع اختيار أنواع التعليم بحسب الحاجة والطلب والطموح الفردي حتى يصبح التعليم متاحاً للمجتمع بأتم معنى الكلمة.

الإجراءات التنفيذية لتنفيذ المبادئ السابقة: يتطلب ذلك اتخاذ العديد من

الإجراءات التنفيذية للقيام بتنفيذ هذه المبادئ التي تؤكد على ما يلي:

ضرورة وجود حلقة التعليم الأولى التي تبدأ برياض الأطفال في المجتمع ونشر هذه المؤسسات كما وكيفا، وتهيئة التربية للطفولة بحسب الظروف والإمكانيات لنمو الطفل جسدياً وعقلياً ونفسياً.

تعدد جوانب التعليم الأساسي، وبعث الرغبة في التعليم بحيث يستفيد من هذا التعليم كل الفئات الموجودة في المجتمع من الطفولة إلى الكبر.

جعل التربية مسؤولية فردية تحيي في الإنسان حرية التفكير والإبداع والحكم النقد والإينماء وتحمل المسؤولية الوطنية والمدنية والمساهمة في الإبداع في المجتمع.

جعل التعليم الأساسي والجامعي لأجل إعداد الإنسان للمشاركة في أنشطة الحياة وبعث الأمل الذي لا يتوقف، وفتح فروع العلم التقني والمهني بصورة مدرسية أو غير مدرسية.

تصحيح الانخراط في التعليم العالي وجعله ممكناً في كل أعمار الإنسان بحيث تكون طرائق التدريس فيه تهدف إلى التحسين والتنمية لإمكانات الإنسان العقلية ، وجعل التعليم العالي متوفراً في حياة الإنسان عرضياً بحسب الاحتياجات المؤقتة والدائمة للإنسان .

الإصلاح القائم على مبادئ التعليم التقني : حتى نؤكد مبدأ التعليم التقني في حياة الإنسان يتطلب أن نأخذ بأسباب الإصلاح على أساس ثلاثة مبادئ رئيسة مهمة وهي:

ارتباط التعليم ألمعلوماتي التقني بالاتجاهات والتطورات المتوقعة في المجتمع.

الاستعانة بمختلف الوسائل لتلبية طلبات المجتمع من المعارف بما في ذلك البرامج التقليدية والبرامج المبتكرة مع استخدام تقنيات المعلومات الحديثة في التنفيذ.

اعتبار التعليم التقني جزءاً لا يتجزأ من نشاط الإنسان في هذه الحياة مهما كان نوع ذلك النشاط.

العالم الآن يتحول من نظام يقوم على الأمر إلى نظام يقوم على المعرفة. **ثالثاً-** مبدأ التنوع في المؤسسات التربوية: يتم إتاحة الفرصة للإنسان أن يتلقى التربية، ويكتسب المعرفة بوسائل ومؤسسات متعددة لأجل التعلم واكتساب المعرفة، وهذا يحتاج من الدولة والجهات الخاصة المشاركة في نشر التعليم ومضاعفة المؤسسات من حيث العدد ومن حيث نوع الخدمات التربوية وكيفيةها التي يجب أن تقدم في المجتمع. وبهذا يمكن الطلاب من اختيار الطرائق التي تؤدي إلى العلم والمعرفة بكامل الحرية ومن دون قيود، مع عدم الانفصال نهائياً عن سلك التعلم<sup>(10)</sup>، وقد ينجح هذا المبدأ إذا قام بتنفيذ الإجراءات التالية:

توفير التسهيلات اللازمة والأنشطة التي ترغب الإنسان في التربية والتعلم.

جعل أنظمة التربية متنوعة فمنها المغلق ومنها المفتوح الذي يتيح فرص التعلم. لأن النظام المغلق يثير روح المنافسة ويعتمد على وجود معايير تقرر من يسمح ومن لا يسمح له بالدراسة ومن ثم تحديد معايير معينة ونسبة قبول معينة ودرجات معينة.

إتاحة فرص التعليم المفتوح الذي ينتج عنه اختيار أنواع المعلومات والقرارات والمطالعات التي يحتاج إليها الإنسان لظروف حياته، ويظهر هذا النوع في التعليم الذاتي، والتعليم المستمر، والتعلم عن بعد، والتعليم غير النظامي، وتعليم المجتمع، وتعلم الكبار، ومحو الأمية، كذلك يظهر في برامج التنمية الريفية والأندية والتعاونيات والمنظمات السياسية والثقافية... الخ.

رابعاً- مبدأ التعليم بالوسائل المتعددة: إن الأخذ بمبدأ إتاحة الفرصة للإنسان كي يتلقى التربية ويكتسب المعرفة بوسائل متعددة، يتطلب الأخذ بمبدأ تمكين الطالب من اختيار الطرائق المؤدية إلى العلم والمعرفة بكامل الحرية وهو ما يجعل النظام المعمول به أكثر مرونة، بحيث يشمل كل أشكال التعليم بالوسائل الخاصة واستخدام الوسائل الحديثة، واستبدال الوسائل والطرائق متى شاء لأن المهم هو التعلم.

هذا يتطلب تنويع التعليم بحسب مقتضيات البيئة وحاجات الأفراد، وأن طرائق التعليم وسرعتها يمكن تعديلها بما يناسب الأفراد وتنظم برامج التعليم الذاتي بما يكفل استخدام القدرات الشخصية، ومن ثم يتم التصنيف بحسب الاهتمامات الحقيقية للأفراد في التعلم.

وحتى يتم تحقيق هذا المبدأ في التربية المستمرة يطلب التقيد بالاعتبارات التالية:

قبول أي شخص يريد متابعة الدراسة من 16-60 سنة، ووضع البرامج الخاصة لكل فرد، بحيث تتلاءم مع احتياجاته واهتماماته الخاصة. توفير وسائل التعلم المختلفة من مصادر ووسائل تقنية حديثة (الانترنت وCD والأشرطة والاتصالات الشخصية).

ترك الحرية للطالب في تنظيم الوقت والانضمام إلى الدراسة بحسب الظروف.

توفير المراكز المفتوحة في الجامعات؛ لأجل المتابعة والبحث وإجراء التواصل بين الطالب والمرشدين للعملية التعليمية.

توفير الجامعات الخاصة والأهلية الحرة وغيرها من المؤسسات المشابهة والمفتوحة للجمهور<sup>(11)</sup>.

**خامساً-** مبدأ التنقل في مسارات التعليم: الأخذ بمبدأ فتح المجال للتنقل والاختيار في مسارات التعليم إذ أن النظام التربوي الشامل المفتوح للجميع يسهل تنقل المتعلمين أفقياً وعمودياً ويضاعف مجالات الاختيار أمامهم.

إن حرية الاختيار لم تتح للفرد إذا لم تمكنه من إمكانية انتهاج الطرائق الموصلة إلى أهدافه من غير أن تعوقه المعايير الموضوعية سلفاً، فالمعيار الوحيد الذي يجب الأخذ به هو قدراته ومطامحه، والترقي لا يفيد شيئاً إذا لم تتوفر للطالب مجالات متعددة يختار منها ما يلائمه<sup>(12)</sup>.

**الخلاصة:** إن الحواجز المصطنعة البائدة لا تزال تفصل بين مختلف أنواع التعليم ومراحله ومستوياته، والتعليم النظامي وغير النظامي وهذا الفصل ينبغي أن يزول وأن نعمل من أجل إدخال التربية المتناوبة أو المرحلية، وأن يكون ذلك بصورة تدريجية حتى يستفيد منه كل فئات المجتمع.

ويقترح في ذلك الإجراءات التالية:

منح شهادة التعليم لأغلب من ينهي الحلقة.

قبول حملة شهادة الأساسية للدخول في مسابقات الجامعة.

التوجيه إلى التعليم التقني والمهني.

الدخول في مسابقات الجامعة لأجل الالتحاق بالتعليم العالي.

**سادساً:** الأخذ بمبدأ التربية قبل الدخول إلى المدرسة : (تعليم رياض

الأطفال)



إن تربية الأطفال في الفترة السابقة لدخولهم إلى المدرسة تعد شرطاً أساسياً لنجاح كل سياسة تربوية أو تعليمية. إن علم النفس الفيزيولوجي يؤكد أن مرحلة الطفولة بالنسبة إلى نمو الشخصية تفتح القابليات للتعلم. وإن إهمال هذه المرحلة من الجرائم التي ترتكب في حق الطفل ورعايته وقد يرجع بطبيعة الحال إلى جهل النظام السابق وعدم فهم واضعي القرارات السياسية.

إن الاهتمام بتربية الطفل في المرحلة السابقة للدخول إلى المدرسة ينبغي أن يكون في إعداد الأهداف الكبرى، ومن المبادئ التربوية السائدة في العالم ومن الأمثلة في العالم: فمثلاً في الصين يسلم إلى دور الحضانة ورياض الأطفال من سن 2-7 سنوات وليوم كامل في الأسبوع، وهذه الدورة مرتبطة إما بالمدرسة الابتدائية أو مرحلة التعليم الأساسي أو بالمصنع أو بالمؤسسة أو الجمعيات التعاونية، وهذا يتطلب نشر سياسة إنشاء رياض في كل المؤسسات الموجودة في المجتمع بحسب التخصص.

في العالم الآن أكثر من 10 ملايين طفل يترددون على دور الحضانة ورياض الأطفال، ومؤسسات تربية الطفل مفتوحة على مدار السنة والهدف منها هو تربية الطفل جسماً وعقلياً وأخلاقياً وجمالياً بصورة منسجمة.

هذا النوع من التربية مستمدة من مبادئ التربية التي تركز على الخبرة وفي السنغال وجدت دور حضانة لأطفال الفلاحين والعمال والموظفين تستقبل الأطفال على مدار السنة الدراسية من 3-7 سنوات، وتقوم هذه

المؤسسة بتقديم وجبات غذائية ووقاية صحية يشارك فيها كل الأهالي في تقديم الخدمات التربوية بحسب التخصص<sup>(13)</sup>.

**سابعاً:** الأخذ بمبدأ التعليم الإلزامي لمرحلة التعليم الأساسي: إن نشر التعليم الأساسي بمختلف الطرائق وتبعاً للاحتياجات والإمكانات بما يكفل حق التعلم لكل إنسان من المهد إلى اللحد وبحيث يكون كاملاً - أو جزئياً، أو قد يكون للأطفال والشباب من الذين حرموا من التعليم مثل الأمهات ومتابعة محو الأمية لكل الناس في كل المؤسسات الإنتاجية والمؤسسات الخدمية في المجتمع. بحيث يوفر ظروف مدرسية أكثر انسجاماً مع حاجات المتعلمين ويمنح فرص تعليمية نوعية تضمن لهم النمو السليم، والتكوين المتوازن، ويجنبهم عوامل الفشل. فتح برامج تعليمية للمراهقين الذين تسربوا من التعليم في مختلف مراحلهم (أي حل مشكلة التسرب). مضاعفة قدرة الأقسام والمدارس على استيعاب التلاميذ. تنظيم الدراسة بالتوقيت الكامل والجزئي (الكرس الساخن) وإعطاء دروس رفع المستوى بدلاً من الدروس الخصوصية التي لا يقدر عليها البعض نتيجة لظروف اقتصادية. وضع نظام للتعليم في المراحل الأولى من دون الدخول في امتحانات. واستخدام المباني المدرسية بطاقة كاملة ولأكثر من مرحلة في نفس اليوم<sup>(14)</sup>.

**ثامناً -** الأخذ بمبدأ توسيع مفهوم التعليم العام: بحيث يشمل جميع المعلومات العامة ذات الطابع الاجتماعي والاقتصادي والتقني، والعلمي إن التميز بين أنواع التعليم يجب أن يزول لذا يتطلب أن ينشأ في كل مراحل التعليم (تربوية نظرية) (وتربوية ثقافية) (وتربوية تطبيقية ويدوية).

لذا يجب الأخذ بالنهوض بالتربية التقنية والتوثيق بين التكوين العقلي والتكوين اليدوي. وحتى يكون للتربية الثقافية مفعولها يجب أن يكون هناك تحوير مزدوج في طرائق تقديمها، وقد نأخذ بالتالي لأجل تحسين هذا الجانب في توسيع مفهوم التعليم العام بحيث يؤخذ في الاعتبار:

الاستعانة بالثقافة في تعليم اللغات والتاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع وباقي العلوم التي تدير شؤون الحياة ولا يجوز أن تكون الثقافة مقصورة على العلوم الفيزيائية والطبيعة وحدها.

يجب أن تكون المشاكل الثقافية أو التعليم التقني مرتبطة بمختلف جوانب الحياة. مثلاً: الثقافة والعمل - الثقافة والمجتمع - الثقافة وأوقات الفراغ - الثقافة وآليات المجتمع - الثقافة والمواصلات - الثقافة والبيئة - الثقافة والصحة - الزراعة والصناعة... الخ).

المهم هو المبدأ الذي يشمل منذ البداية فعاليات تطبيقية ويدوية وتعويد التلاميذ على الطرائق المشبعة في الثقافة في مختلف مجالات الحياة<sup>(15)</sup>.

ومن الأمثلة في العالم: ما عرف في ألمانيا أن التربية المتعددة الثقافات تتم في خلال عشر سنوات من مرحلة التعليم الأساسي، وتعتمد هذه التربية على إيجاد روابط متينة بين تربية الطفل والثقافة، وقد توصلت الدراسات هناك إلى إيجاد العديد من المفاهيم التي تتعلق بالتربية المتعددة الثقافات.

وفي فرنسا وإيطاليا: قامت تجارب مفيدة في التربية المتعددة الثقافات تعتمد تلك التجارب على المناوبة بين البرامج وعلى السير بالتعليم سيراً قوياً. تهدف هذه التجارب التربوية:

عدم إشعار التلاميذ بالغبربة والوحشة في المدرسة. مساعدة التلاميذ على الأخذ بتغذية ميولهم الثقافية والمهنية، وتوفير الجو النفسي المناسب. إشعار التلاميذ بأنهم مدفوعون من الداخل نحو المعرفة، وأنهم مرتبطون بالبيئة التي يعيشون فيها.

تاسعاً- الأخذ بمبدأ التنقل بالمجالات المهنية:

فيما يتعلق بإعداد الشباب للعمل والمشاركة في الإنتاج فإن التربية ينبغي أن تهدف إلى تكوين الشباب لأجل ممارسة العمل وتجعلهم قادرين على التكيف مع مختلف المسؤوليات؛ لذا يتطلب من التربية أن تقدم فرصاً أكثر للتنقل في مجالات الوظيفة، وأن تساعد الإنسان في تعديل اتجاهه المهني، أي أن تعمل التربية على النهوض بالثانوية التخصصية المهنية أو التقنية، وأن تجعل التعليم فيها مقروناً بالتكوين التطبيقي في المعمل ويجب أن يتم ذلك التكوين بالتربية المتناوبة والدورات التدريبية المهنية، وإتاحة فرص التأهيل المستمر بما يحقق زيادة بالثقافة الثانوية على جانب تخصصه<sup>(16)</sup>.

عاشراً- الأخذ بمبدأ إشراك المؤسسات الموجودة في المجتمع بنشاطها التربوي بحسب التخصص:

إن مفهوم التربية المستمرة بالمعنى الكامل يقضي بأن تقوم المؤسسات الصناعية والزراعية والاقتصادية والصحية بالنشاط التربوي بحسب تخصصها وذلك يعني إشراك المؤسسات الموجودة في المجتمع الخارجة عن نطاق المدرسة بدورها في التكوين التقني، ولا تترك للمدرسة وحدها، بحيث

ينشأ تعاون وثيق بين رجال التربية والتجارة والصناعة والزراعة من جهة العمال والمسؤولين من جهة أخرى. ولا بد للتربية أن تلتزم يد المساعدة من بقية المؤسسات الأخرى في المجتمع وذلك لأجل سد الهوة بين المدرسة والمؤسسات العامة والخاصة الموجودة بالمجتمع في التكوين والتدريب، وإتاحة الفرصة لهذه المؤسسات لاستكمال التكوين والتربية بحسب التخصص<sup>(17)</sup>.

وذلك يتطلب من المؤسسات استكمال التكوين اللاحق في التخصص أو في رفع المستوى والكفاية أي الاستفادة من المؤسسات في التكوين داخل المؤسسات التعليمية بحسب التخصص.

**الحادي عشر -** الأخذ بمبدأ التنوع في التعليم العالي: أي العمل على نشر المؤسسات الجامعية التي تؤدي إلى التربية بحسب احتياجات الأفراد والمجتمع. إن العوامل الاقتصادية والاجتماعية وحتى السياسة أصبحت اليوم تحتم إجراء تغيير كامل في التعليم العالي، قد يتمثل في إضافة بعض العناصر في التعليم العالي قد يتمثل في إضافة بعض العناصر وتركيبها فوق النظام التربوي القائم بما يحقق احتياجات الأفراد، وبما يكفل التنوع، ومن ثم يتطلب تنوعاً كاملاً في مؤسسات الجامعة، وإجراء تغيير فيها بحسب قضايا المجتمع وحاجاته إلى التطور والتغيير؛ ولذا يطلب النظر في برامج التعليم العالي وفي مناهجه وطرائقه، ويتطلب إعادة النظر في الإطارات الجامعية وفي تكوينها وإعدادها بما يحقق التنوع والتغيير في أهداف التعليم الجامعي، ورفع مستوى التعليم الجامعي بما يحقق متطلبات الواقع والتغير إلى عالم

أفضل بما يحقق احتياجات الأفراد والمجتمع على حد سواء. إن أهم ما يقوم به نظام التعليم العالي في ليبيا" هو تفعيل المستوى الفلسفي والعلمي والاجتماعي والثقافي والتنظيمي و إعداد الطالب لمجتمع المعرفة والحدثة و الاهتمام بالهوية الليبية وتواصله مع العالم الخارجي"<sup>(18)</sup>.

**الثاني عشر** - الأخذ بمبدأ التقييم المستمر وما يكتسبه الطالب من خبرة في نطاق المهنة والتخصص لا بما يملكه من معلومات نظرية أو ما يتحصل عليه من درجات عالية في الامتحانات: لذا فمعايير التقييم ينبغي أن تقيس مدى التقدم الذي يحرزه كل فرد ودرجة مطابقته للمعايير المحددة سلفاً، بمعنى أن التقييم الحقيقي لتحصيل التلاميذ لا ينبغي أن يعتمد على امتحان واحد لأنه لا يفي بالغرض، بل لابد من ملاحقة عمله من خلال كل مرحلة دراسية، والتقييم لا ينصب على المعلومات المحفوظة، بل على تقدير الكفاية الفكرية بالدرجة الأولى، كالقدرة على المحاكمة العقلية والنقد السليم والتمكن من حل المشكلات<sup>(19)</sup>.

#### **التوصيات لأجل تحقيق أهداف المقترح:**

تحقيق توسع متوازن بين الجوانب المختلف للعملية التعليمية والقضاء على الصورة المشوهة لنمو نظام التعليم في ليبيا.

توفير الأعداد اللازمة من المعلمين والإداريين الذين يستلزمهم نمو التعليم السريع في السنوات المقبلة مع الإسراع في التأهيل والتدريب أثناء الخدمة واحتواء الأعداد المكثفة في ما يسمى (بالمكب في العهد السابق) وتدريبهم وخلق التوازن بين أعداد المعلمين من جهة وأعداد الطلاب من جهة أخرى.

توفير البنية التحتية اللازمة للتوسع في التعليم في السنوات الأخيرة وتحقيق التوازن بين الزيادة المتوقعة في أعداد الطلاب والزيادة المتوقعة في أعداد الصفوف والأبنية المدرسية والتجهيزات، ووضع الأولويات في التنفيذ والمتابعة بحسب خطط التنمية في الدولة الحديثة.

تحقيق الربط بين التوسع في التعليم وحاجات السوق الاقتصادية والاجتماعية، أي تغيير بنية التعليم ومناهجه وطرائق التعليم وسياسة القبول في مستويات التعليم وفروعه، بحيث يؤدي ذلك كله إلى تخريج الأعداد اللازمة التي تتطلبها المشروعات الاقتصادية المنتجة في الدولة، لا إلى تخريج أعداد من العاطلين والأيمن.

استخدام الموارد المالية المتاحة للتربية والتعليم أحسن استخدام، بحيث يقضي على الهدر المبرمج والإسراف والضياع في الإنفاق، بحيث نعمل على تخريج دفعات جيدة يستفاد منها وبما نحقق حاجات سوق العمل. إشراك المختصين والجامعات والهيئات العالمية في إصلاح منظومة التعليم في ليبيا.

### الهوامش

- 1- ايدجار فور وآخرون تعلم لتكون، ترجمة حنفي بن عيسى، اليونسكو | الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر سنة، ص234.
- 2- دايفيد ايستانس، التعليم في المجتمع الحديث، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1991 ص20.
- 3- سعد مرسي أحمد التربية والتقدم عالم الكتاب، الطبعة الثالثة القاهرة، 1991م، ص145.
- 4- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص234.
- 5- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص235.
- 6- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص237-239.
- 7- عبدالله عبد الدائم. التربية في البلاد العربية، دار العلم للملايين بيروت، 1979 ص66.
- 8- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص242-.
- 9- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص246-247.
- 10- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص252.
- 11- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص282.
- 12- التعليم الاساسي في الجزائر، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم 1992، ص31.
- 13- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص257.



- 14- علي الحوات، تطوير وتجديد بنيات التعليم العالي في ليبيا وآفاق المستقبل، الجامعي، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس، عدد9، 2005ص57.
- 115- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص264.
- 16- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص247.
- 17- ايدجار فور وآخرون مرجع سابق، ص265-267
- 18- عبدالله عبد الدائم مرجع سابق، ص66.
- 19- طارق منصور، أفكار ورؤى لتطوير التعليم، الجامعي، النقابة العامة لأعضاء هيئة التدريس، 2005ص264

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

أ. هيفاء مختار جمعة

كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

الجمال فكرة موحدة وكامنة في جميع الكائنات وغير مقتصرة على جسم معين، وفكرة الجمال مقرونة بفكرة الخير، والجمال هو عنصر الخير<sup>(1)</sup>، وجاز الاعتقاد بأن عمر الفن يساوي عمر الإنسان أي 70 مليون سنة!<sup>(2)</sup>.

ومن هنا يبدأ تعريف الفن ومدى ارتباطه بفكرة الجمال، حيث عرف العديد من الفنانين والنقاد الفن تعريفات عدة أهمها:

إن الفن تعبير عن فكرة معينة باستخدام خامة أو مجموعة خامات تشكيلية تصاغ بأسلوب يعكس فكر وفلسفة الفنان، بحيث تبدو ذات مظهر جميل ليبعث الراحة والسرور.

والأفكار التي يعبر عنها الفنان كثيرة ومتنوعة، فمنها ما ينتج عن تفاعل الفنان مع ما يحيط به من مظاهر، كالطبيعة أو الأفكار الاجتماعية: كالصدقة والتعاطف، ومنها ما يعكس فلسفة ومشاعر الفنان الخاصة، أيضا منها ما يوظف لاستغلال فراغ معين أو تحديث لأسلوب حياة، ويكون هذا السلوك أو النمط الإنساني هو المتبع في المجتمع لعل أهم هذه المجالات في هذا التخصص هو تخصص " التصميم الداخلي " لما يوفره من مناخ وفكر وتطبيق لمجال الفنون التشكيلية في الحياة العامة.

ولأهمية هذا التخصص وفي الوظائف الأساسية التي يؤديها كبقية تخصصات الفنون الأخرى، تمّ تعريفه على أنه عملية تكوين وابتكار

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

لاستغلال الفضاءات، والجمع بين عناصر البيئة ووضعها في تكوين معين، لإعطائه وظيفة أو مدلولاً ويضفي عليه لمسة جمالية تعكس مشاعر وشخصية الإنسان، كذلك هو حل للمشكلات التصميمية والمعمارية<sup>(3)</sup>، ومن أهم أساسيات التصميم الداخلي:

تهيئة المكان لتأدية وظائف بأقل جهد، ويشمل هذا الأرضيات والحوائط والأسقف والتجهيزات، كما عُرف بأنه فن معالجة الفراغ أو المساحة وكافة أبعادها بطريقة تستغل جميع عناصر التصميم على نحو جمالي يساعد على العمل داخل المبنى.<sup>(4)</sup>

ومن أهم أساسيات ومفاهيم التصاميم الداخلي والتي ترتبط لتحقيق الهدف المنشود هي: التناغم، والتناسب، والتوازن، والألوان، والنظام اللوني، وطريقة توظيفها لخلق جو فني جمالي يرسخ شخصية الإنسان واعتقاده وسلوكه، ويعكس بيئته الاجتماعية، فللفن دور بارز في تأكيد القيم الاجتماعية السليمة.

ومن هنا كانت مشكلة بحثنا وهي: الألوان ومدى علاقتها بفن التصميم الداخلي، وما الدور الأساسي الذي تلعبه الألوان في تجسيد فكر ورؤية، بالإضافة إلى نقل الثقافة وطريقة الحياة بين الشعوب، لما تخلفه من متعة وإدراك واسع يسهم في تأكيد دلالة كبيرة على دور الفنون في تطور وتحضر ورقي المجتمعات عن طريق خبرة وذوق المصمم بأسلوب علمي منظم.

### مشكلة البحث:

يمكن الاستفادة من العلاقة أو المؤثرات اللونية بعدّها مؤثرات حسية تسهم بفاعلية في تأكيد فكر أو ذوق المصمم بأسلوب علمي منتظم، وتحدد أهمية عنصر اللون، وميزة وطريقة استخدام كل لون على حدة، بالإضافة إلى معرفة مدلولات الألوان في العملية التصميمية، ودور كل منها في إتمام عملية التصميم الداخلي.

### أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إدراك الأبعاد للمؤثرات اللونية من الجانب العملي ، ومنهجية التعامل مع هذه المؤثرات بشكل وظيفي ، وتفسير مدلولاتها وكيفية توظيفها في عملية التصميم، وتحديد وظيفة كل مؤثر منها ودوره في إخراج الفكر والذوق الإنساني في العمل.

### أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث فيما يسهم به في إظهار قيمة الألوان الفنية، والتأكيد على دور المؤثرات الحسية والجمالية للألوان ، وأثرها على الذوق العام في مجال التصميم الداخلي...

### التصميم الداخلي وأساسياته والعوامل المؤثرة فيه:

#### تعريفه وأساسياته:

**التصميم الداخلي:** هو عبارة عن الإدراك الواسع والوعي بلا حدود لكافة الأمور وتفصيلها وخاصة الداخلية منها وهو عبارة عن تهيئة المكان، ومعالجة ووضع حلول مناسبة لكافة الصعوبات المعينة في مجال الحركة في

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

الفراغ وسهولة ما يشتمل عليه من أثاث وتجهيزات الأمر الذي يجعل هذا الفراغ مريحاً ومميزاً بكافة الشروط والمقاييس الجمالية باستخدام المواد المختلفة والألوان المناسبة بطريقة تستغل جميع عناصر التصميم على نحو جمالي مبتكر من خلال معطيات معينة، وإخراج هذا التخطيط إلى حيز الوجود بحسب وظيفته<sup>(5)</sup>.

### أساسياته:

لكي يكون عمل المصمم الداخلي ناجحاً يجب توظيف مفاهيم معينة تعمل على تجميع أجزاء العمل معاً لصنع علاقات رائعة، ولصنع حيز مرتب ومرضى به بصرياً وعاطفياً وجمالياً، وهذه المفاهيم هي:

- الوحدة - المقياس والتناسب - التوازن - التناغم والتواتر - اللون - الملمس والشكل - مركز النشاط.

وكل مفهوم منها له وظيفة ودور مهم لتكتمل العملية التصميمية، وفي بحثنا هذا نخص الحديث عن مفهوم اللون<sup>(6)</sup>.

### اللون colour:

هو ذلك التأثير الفسيولوجي (أي الخاص بوظائف الجسم) الناتج عن شبكية العين، سواءً أكان ناتجاً عن المادة الصبغية الملونة أم عن الضوء الملون، فهو إذن إحساس وليس له أي وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية. وبفحص لون ما بنظر تحليل وعمق فإننا نجد أن هذا اللون يحدده ثلاث خواص وهي:

### كنة اللون Hue:

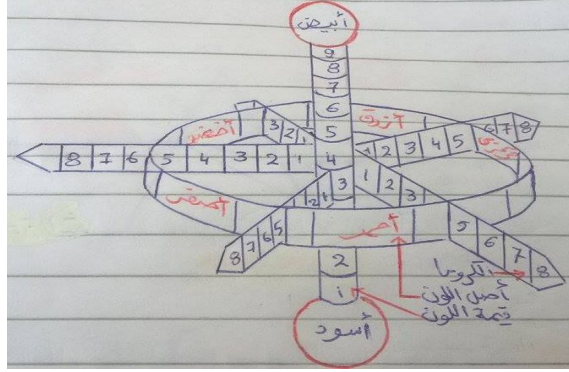
والمقصود بذلك أصل اللون، وهي تلك الصفة التي نميز بها بين لون وآخر والذي نسميه باسمها أنها تترجم بالصفات فنقول لون ( أزرق - أحمر - إلخ) .  
ويمكننا أن نغير في كنة اللون بمزجه بلون آخر، وهذا هو التغيير في كنة اللون.

### قيمة اللون Value:

هي الدرجة التي يقصد بها أن اللون فاتح أم غامق، بمعنى آخر أنه بالقيمة يمكننا أن نفرق بين الأحمر الفاتح والأحمر الغامق إذا ما مزجنا أسود وأبيض معه، فإننا بذلك نغير من قيمته وليس من أصله أو كنه.

### الكروما Chroma:

هي الخاصية أو الصفة التي تدل على مدى نقاء اللون أو درجة تشبع اللون بمدى نقاءه أي بمدى اختلاطه بالألوان المحايدة وهي من الأبيض، الأسود، الرمادي، هناك ثلاثة أحوال لنقص تشبع اللون<sup>(7)</sup> وهي.



### شكل رقم (1) يوضح خواص اللون .

- 1- نقص التشبع لاختلاط أصل اللون بقدر من الأبيض، وفي هذه الحالة يقال: إن أصل اللون قد خفف فأصبح فاتحاً أو باهتاً أو شاحباً.
- 2- نقص التشبع لاختلاط أصل اللون بقدر من الأسود، وفي هذه الحالة يقال: أن أصل اللون قد ظلل أو صار أغمق أو أدكن.
- 3- نقص التشبع لاختلاط أصل اللون بقدر من الرمادي، وهنا يقال: إنه حويد أو عودل أو صار أدكن أو أغمق.

وفي الشكل (1) يبين طريقة منسل دائري، حيث أصل اللون يبين بشكل دائري، والقيمة تبين بتدرج رأسي في المحور، أما الكروما فهي تبين بتدرج أفقي يخرج إشعاعاً من المحور الدال على القيمة. وفي علم الطبيعة فقد حدد اللون بدلالات ثلاث:

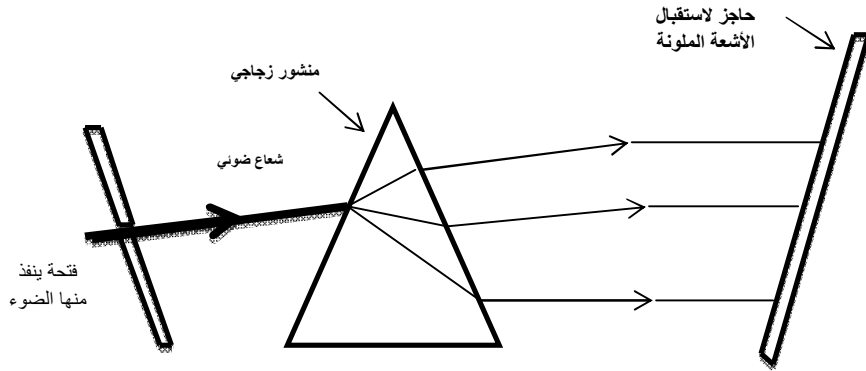
- 1- طول الموجة: فقد اكتشف إسحاق نيوتن أن كل الألوان موجودة في ضوء الشمس، وإذا مر شعاع ضوئي أبيض خلال منشور زجاجي، فإن هذا

## أ. هيفاء مختار جمعة

الشعاع يتحلل إلى مجموعة من الألوان عددها سبعة، تبدأ من جانب بالأشعة البنفسجية، ثم النيلية، ثم الزرقاء، ثم الخضراء، ثم الصفراء، ثم البرتقالية، ثم الحمراء في الجانب الآخر<sup>(8)</sup>، كما هو موضح بالشكل.

فنتيجة لظاهرة الانكسار تظهر الأشعة بألوانها الأصلية، وتسمى بألوان الطيف السبعة أو تتميز بحسب أطوال أمواجها، إذ إن لكل أصل لون طولاً خاصاً للموجة، والأشعة البنفسجية هي أقصر موجات الأشعة المنظورة طولاً، والأشعة الحمراء هي أطولها.

وتوجد بعض الإشعاعات لا تستطيع العين أن تميزها، مثل موجات تحت الحمراء، وموجات فوق البنفسجية<sup>(9)</sup>.



شكل رقم (2)

2- عامل النقاء للون: أي النسبة بين اللون وبين كمية الأبيض الموجود به.

3- عامل الضياء: هي كمية الضوء المنقولة أو المنعكسة إلى أعيننا من هذا

اللون، ومن هنا فقد برهن العالم نيوتن أن الضوء هو أصل اللون، وقد أثبت



## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

أن الضوء الأبيض يمكن تحليله بمعنى تشتيته إلى ألوانه الأصلية، كما يمكن تجميع هذه الألوان لنحصل على الضوء الأبيض، إذ أنه عند تواجد الضوء توجد الألوان ويتبع ذلك أن طبيعة الضوء تؤثر على الألوان، فنجدها تختلف في مظهرها تحت ضوء النهار عنه تحت الإضاءة الصناعية.

### دائرة الألوان:

تُعدّ عجلة الألوان أو دائرة الألوان أو دولاب الألوان هي الوسيلة العلمية لدراسة الألوان، ونستطيع عن طريقها أن نتعلم ماهية الألوان، وكيفية خلطها مع بعضها وهي تتفق وتتضمن تسلسل ألوان الطيف، فهي من أكثر الوسائل أهمية وتأثيراً في عالم الديكور "التصميم الداخلي" إذا عرف كيفية استخدامها، وفي الواقع إن الألوان فيها مرتبطة بطريقة طبيعية ومدروسة في ذات الوقت وترتبط ببعضها بشكل كبير<sup>(10)</sup>، وبعض من المعرفة والصبر يمكن استخدام الألوان بشكل أنيق، وعمل مزج بينها وتطبيقها في أماكن تغير من صورتها بالكامل.

ومن المهم تبسيط دائرة الألوان لفهمها جيداً ، فقد قام كثير من علماء اللون بترتيب الألوان من خلال دوائر مختلفة، وهذا الترتيب المبسط قام به جوهانز ايتين على دائرة الألوان وقد حددها باثني عشر لوناً، ويمكن مشاهدة كل لون في صورة فاتحة ومتوسطة وغامقة، بحيث يكون مجموعها بدرجاتها (36) لوناً، لكن عند النظرة الأولى يظهر لنا (12) لوناً في حالتها النقية فقط، وللتعرف على هذه الألوان وأنواعها وكيف تكونت وتجمعت يجب معرفة ثلاثة أقسام :

## أ. هيفاء مختار جمعة

---

### 1- الألوان الأساسية (الأولية):

وهي الأحمر والأصفر والأزرق، وهي الأساس والتي يتكون منها جميع الألوان الأخرى عن طريق المزج بينها أو بعض منها بنسب مختلفة. وأطلق عليها ألواناً أساسية لكونها لا يمكن الحصول عليها نظرياً عن طريق مزج الألوان الأخرى، إلا أن مزجها يؤدي إلى الحصول على الألوان الأخرى .

### 2- الألوان الثانوية:

وهي البرتقالي والأخضر والبنفسجي، وموقعها يتوسط المسافة بين الألوان الأولية على عجلة الألوان، وهي الألوان التي يمكن الحصول عليها عن طريق مزج لونين أساسيين معاً، والتي تحتل الموقع المتوسط بين الألوان على الدائرة فبمزج:

الأصفر + الأحمر = البرتقالي.

الأحمر + الأزرق = البنفسجي.

الأصفر + الأزرق = الأخضر.

والألوان الأساسية مع الألوان الثانوية هي التي يطلق عليها الألوان القياسية.

### 3- الألوان الثلاثية (المشتقة):

تقع ما بين الألوان الأساسية والثانوية، وهي نتيجة مزج بين لون أولي ولون ثانوي في دائرة الألوان، وينتج عنها ستة ألوان متوسطة، تشير أسماء هذه الألوان إلى مكوناتها...مثل

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

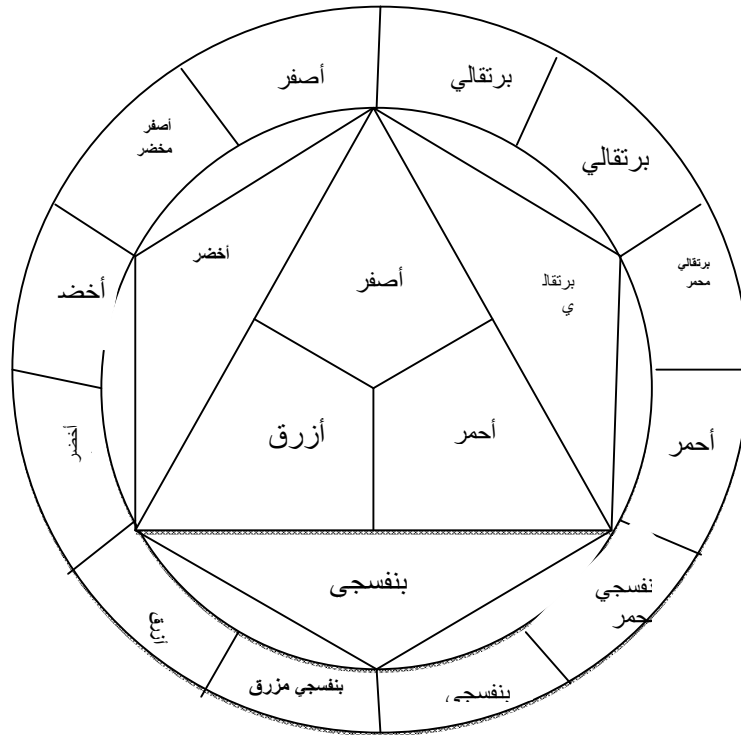
(أصفر/ برتقالي) - (أحمر/ برتقالي) - (أحمر/ بنفسجي) - (أزرق/ بنفسجي)  
- وهكذا يعني....

أصفر (أولي) + برتقالي (ثانوي) = برتقالي مصفر.

أحمر (أولي) + بنفسجي (ثانوي) = بنفسجي محمر كما بالشكل (3) (11).

وهناك ستة ألوان هي:

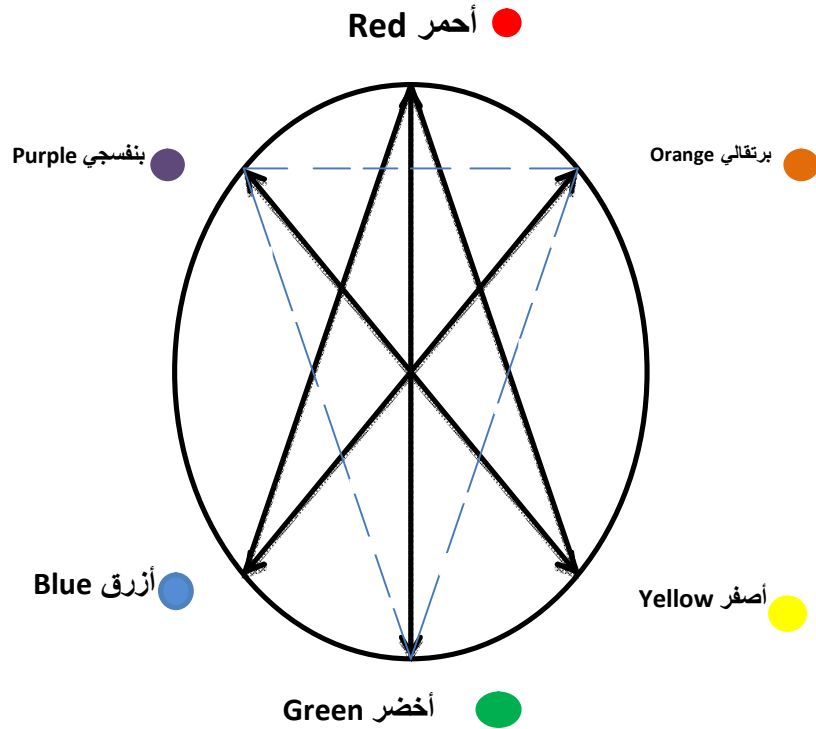
الأصفر المخضر، الأزرق المخضر، البنفسجي المزرق، البنفسجي المحمر، البرتقالي المحمر، البرتقالي المصفر.



شكل (3) دائرة الألوان

#### أ. هيفاء مختار جمعة

وعلى هذا الأساس يتم تكوين دائرة الألوان ذات الاثني عشر لوناً، بحيث يحتل كل لون منها مكاناً معيناً ومحددًا، ويجب التأكيد على أن ترتيب هذه الألوان هو نفس ترتيب قوس قزح أو الطيف الطبيعي، ويقع كل لونين متكاملين في الدائرة متقابلين تقابلاً قطرياً ماراً بمركزي الدائرة<sup>(12)</sup>، كما بالشكل (4).



شكل رقم (4) يوضح تركيبة الألوان الثلاثية

أهمية الألوان وطريقة التعامل معها في التصميم الداخلي:

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

إن الاهتمام بالألوان ظاهرة صحيحة، والشخص الذي يتابع تنسيق الألوان في محيطه هو إنسان بلا شك يحمل الكثير من الاهتمام بالثقافة والفنون، فالاهتمام بالألوان انعكاس طبيعي لثقافة عالية تتجلى في الاهتمام بالذوق، وهو ما يعكس طبيعة الإنسان ونفسيته.<sup>(13)</sup>

فالكثير من الناس يتعاطون مع الألوان ولكن بعضهم يتعامل معها من دون معرفة ماهيتها ومدلولاتها النفسية، فهو لا يدرك الألوان الأساسية، أو الألوان الثانوية، أو المتعاكسة، أو المتضادة، وما هي الألوان المكملة والمتضامنة، وغير ذلك.

فهذا يساعد كثيراً في عملية تحديد الألوان واختيارها، كذلك توظيفها في إطار يكون قادراً على الانسجام الكامل للذوق الشخصي أو العام ولهذا أكد علماء اللون على ضرورة معرفة مدلولات الألوان والربط بين تكويناتها ودراسة جميع الظواهر الناتجة عن عجلة الألوان والتي تتمثل في :

**1- تباين الألوان<sup>(14)</sup>:**

هي تلك الظاهرة التي تزيد من اختلاف الألوان عن بعضها عند تجاوزها، فعندما يتجاوز لوان مختلفان، يكون التباين هو الزيادة في درجة الاختلاف بينها، أي أن اللون الفاتح يبدو أفتح مما هو عليه فعلاً، وأن اللون الغامق يظهر أغمق مما هو عليه، وهذا هو التباين في درجة اللون.

وليس التباين مقصوراً على اختلاف كنة أو أصل اللون، فقد يكون التباين في درجة الألوان فإن الفاتح منها يظهر أفتح مما هو عليه في الحقيقة والغامق كذلك، وقد يكون التباين يجمع بين أصل اللون ودرجة اللون معاً.

## أ. هيفاء مختار جمعة

ويتصل بالتباين ظاهرة تسمى ظاهرة الانتشار البصري<sup>(15)</sup> وهي أن المساحة الصغيرة من لون أبيض على أرضية سوداء تبدو أكبر من مساحتها الحقيقية، لأن هذه المساحة البيضاء تضيء الأرضية فتبدو أكبر من مساحتها الواقعية، وتطبق بيوت الأزياء هذه الظاهرة في الحياة العملية لتقليص الأحجام وزيادتها من خلال استخدام الألوان وهذا الاختيار يتطلب جرأة وشجاعة لونية منها:

أ- من خلال استخدام اللون الأسود للسيدات البدينات، واستخدام الألوان الفاتحة لذوات الجسم الرشيق، فيمنح الأولى حجماً أقل، في حين يعطي الثانية حجماً أكبر ومن ثم ضرورة تطبيق دائرة الألوان يعطي أبعاداً نفسية وجمالية لكل شيء، كذلك استخدام الألوان الفاتحة في التصميم الداخلي على المساحات الضيقة تمنحها اتساعاً وأكثر ارتفاعاً يجعلها تحقق غاية فنية وجمالية للمكان، ويكون هذا في الغالب حلاً لمشاكل صغر المساحات في التصميم، كالشقق والمقاهي وبعض المحلات إلخ.

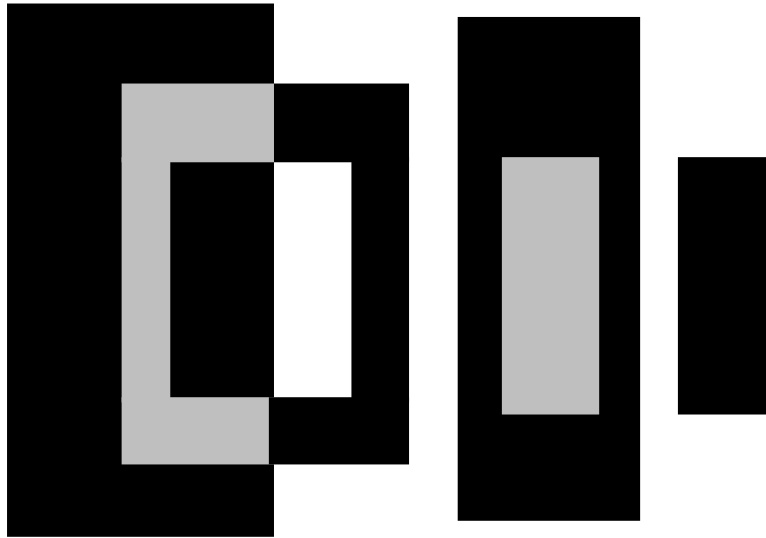
ب- الألوان المتممة: اختيار لونين متقابلين في دائرة الألوان ( كالأخضر والأحمر)، كما يمكن إضافة ألوان أخرى إلى هذين اللونين عن طريق مزجهما بنسب مختلفة، فتظهر درجات لونية متباينة أو متفاوتة من أصل هذين اللونين.

ج- ألوان متممة منشطرة: وهنا نختار لوناً أساساً للمشروع، ثم اللونين المجاورين للون المتمم، فمثلاً نختار اللون ( الأحمر) كأساس والألوان المجاورة للون المتمم (الأخضر).

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

د- **التناغم الثلاثي**: هو أسلوب جريء جداً، وهو القيام برسم مثلث الأضلاع داخل دائرة لتؤشر زواياه على ألوان المشروع مثل ( الأخضر والبرتقالي، والبنفسجي).<sup>(16)</sup>

ويتصل بالتباين أيضاً ظاهرة أخرى، وهي تتعلق بقيمة اللون أنه إذا وضعت مساحتين متساويتين من الرمادي على أرضية فاتحة ولتكن بيضاء، والثانية على أرضية غامقة ولتكون سوداء، فإن المساحة الأولى تبدو للنظر أفتح من الثانية، وهذا معناه أن الأبيض إذا تجاور مع لون آخر يزيد من قيمته، وأن الأسود إذا جاور لوناً غيره يخفض قيمته كما بالشكل<sup>(17)</sup>.



شكل (5) تباين الألوان

## أ. هيفاء مختار جمعة

ويتصل بهذه الظاهرة أيضاً اختلاف الألوان أو تجانسها إذا تجاوزت من حيث أصلها فلو أن اللون الرمادي وضع على أرضية غير حيادية، يعني غير الأبيض والأسود ومشتقاتها كالأحمر أو الأصفر أو الأزرق مثلاً، فإن اللون الرمادي يميل إلى اللون المفضل لهذه الأرضية أي الأخضر مع الأحمر مثلاً.<sup>(18)</sup>

### الألوان الحيادية:

الألوان الحيادية أو المحايدة هي (الأبيض، والأسود، والرماديات العديدة التي تنتج عن خلط الأبيض والأسود) والرماديات التي تنتج عن خلط أو مزج الألوان الأساسية الثلاثة.<sup>(19)</sup>

ويهتم المصممون بهذه الألوان الحيادية كاهتمامهم ببقية الألوان الأخرى، فالألوان الحيادية تعالج الكثير من المشاكل الفنية في التصميم وسميت بالألوان الحيادية للأسباب الآتية:

\* أنها غير متواجدة على الدائرة اللونية.

\* كما أنها لا لون لها.

\* تتفق مع أي مجموعة لونية.

### الألوان الساخنة والباردة:

يصعب تفسير مفهوم اللون الحار أو البارد، ومع ذلك يُعدّ إحدى الخصيات الأولية الظاهرة المختصة باللون.

إن الألوان الحارة هي الألوان التي تتجه في الطيف من الأصفر إلى الأخضر إلى الأحمر) أي: تشمل على الألوان البرتقالية والصفراء والحمراء،



## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

وقد سميت بالألوان الساخنة أو الحارة أو الدافئة لأنها تذكرنا بألوان الشمس والنار والدم، وهي مصادر للدفع.

أما الألوان الباردة هي الألوان التي تتجه في الطيف من الأخضر إلى الأزرق فتشمل: الألوان الزرقاء والنيلى والقريبة من الزرقاء، كالأخضر المزرق، والبنفسجي المزرق والبنفسجي، وقد سميت بالألوان الباردة لأنها تتفق مع لون السماء والماء والتلج، وهما مبعث البرودة.

وعدة تجارب برهنت عن الإحساس باللون الحار أو البارد الناتج عنها... كأن يشكو العمال من البرد في المصانع، حيث تكون الجدران مطلية باللون الأزرق - الأخضر، وعند استبدال هذا اللون باللون الوردي عندها انعدم الإحساس بالبرودة، وتتفد مثل هذه النظريات في المستشفيات بشكل نفساني استناداً إلى طبيعة اللون الإيحائية، ونعني إذن بالحرارة أو ببرودة اللون أي ميله نحو الأصفر (حار)، أو نحو الأزرق (بارد)، بحكم اللون الحار يحدث حركة تتجه نحو موضع المشاهد والتي تبتعد بحكم اللون البارد. وينبغي إدراك أن برودة الألوان أو سخونتها أمر نسبي بين الألوان، فالأخضر المصفر يُعدّ لوناً بارداً بالنسبة إلى اللون الأحمر، وإذا تواجد الأخضر المصفر وسط مجموعة من الألوان الزرقاء والبنفسجية المائلة للزرقة، ويمكن أن يُعدّ في هذه الحالة لوناً ساخناً نسبياً بالنسبة إلى الألوان الأخرى.

إن أهم التأثيرات للألوان الباردة والساخنة في التصميم الداخلي أنها تلعب دوراً كبيراً في الإحساس بالعمق.

## أ. هيفاء مختار جمعة

فالألوان الساخنة الصفراء، والبرتقالية والحمراء لها دلالات في التصميم، فتظهر للمشاهد أقرب وأكثر تقدماً من الألوان الباردة بصفة الإشعاع والانتشار، أما الألوان الباردة فلها صفة الانكماش والتقلص، لذلك يفضل استخدامها لمعالجة كبر أو ارتفاع الأسقف بشكل عام، لإعطاء إحساس بالقرب وصغر حجم الأماكن.

كما أن لهذه الألوان تأثيرات نفسية مختلفة تؤثر على كيانها المادي، ويجب على المصمم الداخلي أن يتعرف على تلك التأثيرات ليستطيع مراعاتها في تصميماته، ولذلك فإن الأشكال المجسمة ذات الألوان الباردة أو الفاتحة تبدو أخف ثقلاً من تلك الملونة بالألوان الدافئة القائمة.

### الألوان المتكاملة<sup>(20)</sup>:

هي الألوان المتقابلة على دائرة الألوان، فاللون الأصفر الأساسي يقابله ويكملة اللون البنفسجي أي اللون المتكون من مزيج اللونين الأساسيين الباقيين من الألوان الأساسية الثلاثة.

- فاللون الأحمر المكمل له هو اللون الأخضر المتكون من (الأزرق + الأصفر)، وهذا موجود بطبيعة الحال في الطبيعة، كالورد مثلاً أو بعض أنواع الثمار والفواكة والخضروات.

- أما اللون الأزرق فالمكمل له هو اللون البرتقالي المتكون من (الأصفر + الأحمر).

وبذلك يمكن القول بأن الألوان الثانوية التي تتم بمزج أي لونين هي ألوان مكملة للون الثالث من مجموعة الألوان الأساسية.

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

ولذلك فعلى المصمم أن يدرك أن الألوان المكتملة إذا ما تجاوزت فأنها تحتفظ بشدتها ورونقها.

### النظام اللوني - واستخدامه في التصميم الداخلي:

على الرغم من أنه ليس هناك تركيبة معينة لاستخدام الألوان في التصميم الداخلي بصفة خاصة وفي الفنون بصفة عامة، إلا أن هناك بعض الأنظمة اللونية الأساسية<sup>(21)</sup> التي طورت عبر السنوات من العديد من المصممين والفنانين حول العالم.

### الأنظمة اللونية الأساسية:

#### 1- النظام أحادي اللون ( لون واحد):

ويُعدّ هذا النوع أبسط أنواع الأنظمة اللونية من حيث الفهم، وهو يعتمد على درجات مختلفة من اللون نفسه وهي بأن ترتبط بكنته لون واحد، ولكنها تختلف عن بعضها بإضافة الأبيض والأسود، وهي أبسط الأنظمة المتوافقة، كأن تتفق مجموعة من الألوان معاً في أن أصلها أزرق ولكنها تختلف في نسبة اللونين الأبيض والأسود، ويجب أن نلاحظ هنا تغير درجات اللون الأزرق بإضافة اللون الأبيض، فيبدو باهتاً أو فاتحاً أكثر وعند إضافة الأسود يحدث عكس ذلك، وهذه إحدى الطرق المتبعة في توظيف الألوان في المستشفيات أو المدارس، وكذلك بعض الأماكن العامة كالمؤسسات ومراكز الشرطة أو السجون.

## 2- النظام المترابط (مناظر-مقابل):

وهو النظام اللوني المترابط هو الذي يستخدم الألوان المرتبطة بكنة لون واحد، والقريبة من بعضها أو متجاورة على دائرة الألوان مثل اللونين الأصفر والأصفر المخضر، واللذان يتفقان على احتوائهما اللون الأصفر، أو كمجموعة الأحمر البرتقالي والأخضر الضارب للإصفرار وهما مشتركان في اللون الأصفر، ولذا يكونان مجموعة متوافقة، كذلك اللون الأحمر - لون اللهب - والبرتقالي - الأزرق - الأزرق المخضر - والأخضر.

وهي أنظمة لبقّة وكثيرة التفاصيل، ويتم استخدامها في التصميم الداخلي في تصميمات المنتزهات والملاعب، وكذلك رياض الأطفال، وفي البيوت لغرف النوم أو المعيشة، بالإضافة إلى استخدام هذا النوع في النظام اللوني لمعالجة بعض المشاكل في التصميم، كإعطاء طابع مودرن في الشقق، ومنحها فسحة جمالية حضارية تتبع من الحياة المدنية المتطورة اليوم.

## 3- النظام المتباين أو المتناقض:

وهو نظام لوني معتمد على تركيبية استخدام أي لونين متقابلين في دائرة الألوان، مثل اللونين الأحمر والأخضر، واللونين الأزرق والبرتقالي، ثم إيجاد التنويع بابتكار ألوان منها عن طريق إضافة الأبيض والأسود إلى كل منهما، وهذه الأنظمة لها تأثير كبير في عالم التصميم الداخلي، بالإضافة إلى تأثيرها الفسيولوجي أو النفسي على المتلقي، فعملية اختيار لون وتدرجه في تصميم معين كغرفة النوم مثلاً، وكسر ذلك اللون باستخدام لون يقابله في الدائرة، ويكون ذلك بطلاء جدران الغرفة باللون السماوي وهو أحد تدرجات

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

اللون الأزرق وإضافة اللون البرتقالي بدرجاته الفاتحة في الأثاث والسجاد، وبعض قطع المكملات كالفوانيس أو الصور، يكون لونها باللون الأزرق، وبهذا ينتج نظاماً لونياً متبايناً ورائعاً يحقق انسجاماً وفسحة جمالية لهذه الغرفة.

لذلك يجب الانتباه إلى حفظ التوازن مع ملاحظة أن المساحات المتساوية لألوان متناقضة، تتناقض بعضها بعضاً بدلاً من تعزيز أثر بعضها البعض.

### 4- النظام اللوني السائد:

وهذه القاعدة تتبع في تصميمات خاصة، ومعناها أن نجعل لوناً واحداً سائداً في التصميم ومعه لون آخر تابع، ثم نضيف إليهما لوناً ثالثاً ليؤكد بعض النواحي مهمة، ونغير من قيم هذه الألوان حتى نتزن من ناحية تنظيم الغوامق والفواتح، ويستخدم هذا النظام عادة في الأماكن العامة كالمساجد، والأسواق،... الخ

إذا لابد من دراسة قواعد توافق الألوان حتى نستطيع إدراك المستوى الجمالي الرفيع، ويكفي أن نعرف كل لون وماهيته وما يدل عليه، من خلال نظرة المصمم وتوظيفه في مجال عمله، وهذا هو دور الأنظمة اللونية في عملية التصميم الداخلي.

### المعاني التي ترتبط بالألوان: في التصميم الداخلي:

أثبتت التجارب والاختبارات السيكولوجية<sup>(22)</sup> التي أجريت على مجموعات من الأفراد يختلفون في ميولهم وثقافتهم أن هناك دلالات عامة

## أ. هيفاء مختار جمعة

للألوان، يكاد يشترك فيها الأغلبية العظمى من الناس من ذوي الثقافة والبيئة والمناخ الواحد.

وسوف أذكر فيما يأتي اختصار مدلول بعض الألوان:

- **الأسود:** يرتبط بالخوف والموت والحزن، وفقد البصر، والوقار أحياناً.
  - **الأبيض:** يرتبط بالطهارة والنقاء والنظافة، كما يرتبط لدى سكان البلاد الشمالية بالجليد والبرودة.
  - **الأحمر:** يرتبط بالحريق، واللهب، والحرارة، والدفء، أو الخطر، أو الدماء، أو القتل، وهو لذلك يثير الأعصاب ولا يرتاح إليه الكثيرون في منازلهم.
  - **الأخضر:** يرتبط بالحقول والحدائق والأشجار، وإذ يرتبط بهدوء الحدائق وجمالها، لذلك يستخدم هذا اللون في طلاء حجرات المستشفيات والمصحات عادة، كذلك يرتبط اللون الأخضر بمعاني النعيم والجنة.
  - **الأصفر:** يرتبط بالشمس والضوء، ولذلك استخدمه قدماء المصريين رمزاً لإله الشمس "رع" ونظراً إلى اعتقادهم أن الشمس هي حافظة الحياة والصحة على الأرض، لذلك استخدم للوقاية من الأمراض.
  - **الأزرق:** يرتبط بالسماء والماء في الطبيعة، فهو لون مناسب للهدوء وبرودة الليل، والأزرق إن اجتمع مع الأخضر فهو يميل إلى العمق الشديد وأقصى درجات البرودة كما في البحر والمحيطات.
- كذلك ترتبط فصول السنة وساعات اليوم بألوان معينة، تتوقف على طبيعة البلاد التي نعيش منها، مثلاً:

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

- فالصيف: يناسبه الألوان الزرقاء (من لون السماء)، والصفراء (من لون الشمس)، والخضراء (من لون الحقول).
  - والشتاء: في البلاد الشمالية يناسبه الألوان البيضاء (لون الصقيع والسحب)، والرمادية القاتمة المائلة للزرقاق (من لون السماء) والألوان القاتمة عموماً من لون الملابس والأثاث وحتى طلاء الجدران.
  - والربيع: يناسبه الألوان الصفراء والحمراء (من الزهور)، والخضراء (من الحدائق)، والصفراء أيضاً (من لون الشمس الدافئة).
  - أما الخريف: يناسبه الألوان البنية، أو القرمزية، أو البرتقالي، والأصفر، وهو ارتباط يرجع غالباً إلى ألوان جذوع الأشجار وأوراقها الجافة.
  - الغروب: تناسبه الألوان الحمراء والصفراء (من لون الشمس عند الغروب) مع ألوان أخرى متباينة معها قد تكون بنية قاتمة أو زرقاء.
  - وأخيراً الشروق: تناسبه الألوان الزرقاء الناقصة التشبع المختلطة بالأبيض، كألوان الباستيل الأزرق (من لوز ، شبورة الصباح).
- وعندما يختار المصمم الألوان تخلق في نفسه ، فيركبها وينسقها ويجعلها تتجاوب وتتجانس مع بعضها البعض وذلك للحصول على أفضل حالة تصميمية وجمالية مرتكزة على قانون الألوان، وبذلك يخلق حالة ناجحة من التوافق الفني في تصميماته.

### أهمية وتوظيف الألوان في التصميم الداخلي:

إن اختيار اللون متعلق بالذوق، ونظراً إلى الدور الذي يلعبه اللون في العملية التصميمية<sup>(23)</sup> لابد بالأخذ بعين الاعتبار أن الأسس التقليدية للفن تبرز

## أ. هيفاء مختار جمعة

أهمية المواضيع المتشعبة والمتنوعة في الفن والتصميم، ولأن الفنانين المعاصرين اتجهوا إلى خلق نموذج فني بسيط للغاية يصلح لأي تصميم، وهو توظيف الألوان في إبراز التصنيع الجمالي لغرض وظيفي في الاقتصاد في الكلفة والاختصار في التكوين.

ولأهمية توظيف الألوان ضروري اعتماد مخطط ألوان ناجح، فهو الخطوة الأولى في تنسيق مشروع التصميم الداخلي، واختيار الألوان وتنسيقها يُعدّ في حد ذاته التحدي الأهم الذي يواجه المصمم الداخلي، فلا بد من مراعاة عوامل عديدة عند اختيار الألوان، منها الطابع العام الذي يتسم به المشروع، وأوقات وأغراض استخدامه لمرافق المشروع بالإضافة إلى التوفيق بين ذلك وبين ذوق الأشخاص وذوق المصمم، خاصة وأن الألوان لها تأثير كبير في نجاح عملية التصميم وهنا لا بد أن نتطرق إلى توظيف كل لون في عالم التصميم الداخلي وطريقة تنفيذه:

**الأحمر:** يُعدّ اللون الأحمر من الألوان القوية، ويعطي استخدامه في المفروشات والطلاء طابع الرومانسية والحيوية، ويشد الزائر للمكان ويُعدّ من الألوان الكلاسيكية الفخمة، كما يمكن استخدامه في الفنادق وقاعات المناسبات، بالإضافة إلى صالات الاستقبال الرئاسية، ويمكن استخدام درجاته المتفاوتة في غرف الأطفال والألعاب، بالإضافة إلى أنه ملائم لمدخل الحجرات الكبيرة والردهات.

**الأزرق:** يضفي اللون الأزرق على المكان هالة من الهدوء، والسكينة، والدرجات المثالية منه للأثاث والطلاء هي درجات لون السماء والبحر، التي



## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

تناسب المساحات والحجر التي يود استخدامها للاسترخاء والتأمل أو لحجرات النوم والاستذكار، بالإضافة إلى غرف المستشفيات والمصحات، كما يمكن أن تطلّى به أسقف حجرات النوم.

**الأرجواني:** هذا اللون الملكي الدافئ الذي اشتهرت به قصور روما ، يجب استخدامه بحرص وتنسيقه مع الألوان المناسبة، فهو مناسب لحجرات الاستقبال الفاخرة، والفنادق الفخمة التي يتميز أثاثها بالزخارف، وتحف الزينة الثمينة، والأقمشة المخملية الرائعة.

**الأسود:** لا يستخدم الأسود للحجرة بالكامل أبداً ولكن يجب أن تتخلله الألوان<sup>(24)</sup> الأخرى بشكل مناسب، لتكسر حدته، وهو مناسب للحجرات التي تتسم بالطابع الحديث أو المودرن، على أن تكون مساحتها مفتوحة ومتسعة، وأثاثها متوافق مع هذا الطابع، كما يستخدم هذا اللون في المسارح وقاعات السينما، لما له من خاصية امتصاص الصوت، والحد من ظاهرة الضوضاء بالمسارح وقاعات الموسيقى كدار الأوبرا مثلاً.

**الأخضر:** يُعدّ هذا اللون من ألوان الطبيعة، ويستحضر في الذاكرة الأجواء الخارجية المبهجة المزينة بالزهور والأشجار والنباتات، ولا بد عند استخدامه من تنسيقه مع ألوان الطبيعة، وتوزيع النباتات في أركان الحجرة، حيث يمكن استخدامه في خلق مساحات خضراء صناعية صغيرة في الأماكن المحدودة كالشقق والمكاتب في الشركات وبعض المجمعات السكنية والخدمية أيضاً، والمطابخ في البيوت.

## أ. هيفاء مختار جمعة

**البنّي:** مثل الأخضر يُعدّ من ألوان الطبيعة، والأرض، والأعشاب، واستخدامه في الأثاث والطاولات والمكاتب، يضفي مظهراً رائعاً على المكان، ولكن كونه من الألوان القوية فلا بد من دمجها مع تدرجات اللون العسبي الفاتح.

**الأبيض:** هو لون النقاء والوقار، ويمكن استخدامه بكثرة أو الاكتفاء به كخلفية لبقية الألوان، حيث لا توجد قاعدة تحدد استخدام الأبيض سواءً بمفرده، أو مقروناً بألوان أخرى، فهو صالح لجميع الأماكن وكذلك يمكن استخدامه لأي تصميم، حيث يحتل مكانه رائعة تمكنه من التجانس مع جميع الألوان، بالإضافة يمكن استخدامه كعكاس للون معين أو مضيء لمكان ما.

**الأصفر:** يقدم هذا اللون إحساساً بالسعادة والتفاؤل، ملفت للنظر أكثر من الأبيض، ويتفوق عليه في الشعور بالمساحات الشاسعة معه لأنه لون فاتح، أما عن اختيارات هذا اللون فيكون لأي حجرة أو حجرات لا تتعرض لضوء الشمس، وفي غرف الألعاب، وبعض مطاعم الوجبات الخفيفة والسريعة، أو لشركات النقل والبريد.

**البرتقالي:** يرمز إلى الروح، والدفء، والارتياح العملي، ومن الأفضل استخدامه في حجرة المعيشة، والتي لها مساحة متوسطة، لأن دهان الأسطح الكبيرة به يعطي شعوراً بالتعب والإرهاق.

**الطوبي:** يعطي الإحساس بالتحفظ وعمق التفكير، ويمكن استخدامه لحجرات المعيشة، والمطبخ بالإضافة إلى دورات المياه وبعض الردهات.

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

**الرمادي:** يرسم لنا الرزانة، الحياتية، والبيئة التي توجد من حولنا، وهو لون ملائم لحجرة العمل بالمنزل أو لكسر حدة لون آخر، بالإضافة يمكن استخدامه في الجراج، أو في مراكز الشرطة، والأماكن العامة. واختيار الألوان لديكور وهندسة البيوت داخلياً تختلف من شخص لآخر، فهناك من يفضل الألوان الفاتحة، وآخرون يفضلون الألوان المشعة بالبهجة والألوان الصارخة، كل ذلك يعتمد على المساحة والوظيفة، وذوق الفرد الذي يعكس شخصيته ومدى ارتياحه عند رؤية عينيه لهذه الألوان.

### عكس الألوان للإضاءة في التصميم الداخلي:

إن دور الألوان في عملية تصميم الإضاءة في المشاريع، دور مهم وبارز، يحدد من خلاله تناسق جميع عناصر العملية التصميمية، وإخراجها بالشكل النهائي الذي يعكس جمال ودقة العمل الفني.

### اللون عاكس للضوء:

إن سمة اللون الذي يولده من عكسه للضوء أو النور، لها دور مهم بشأن تنسيق وتوظيفه، بحيث يتم التجانس الجمالي الذي نحصل عليه بحكم إشراق الألوان المتخصصة بالجدران، أو الأرضية، أو بقطع الأثاث والمفروشات. فاللون الأبيض يُعدّ منيراً ويدل على ذوق رفيع، أما اللون الذهبي اللامع يعطى إحساساً بالدفء والفخامة معاً.

هذا ويمكن استخدام ألوان قوية كالأحمر والبرتقال لتعكس الإضاءة في استديوهات التصوير، وقاعات المونتاج بالإضافة إلى استخدامها في عكس أشعة الشمس من خلال طلاء جدران البيوت والمباني في بعض المدن

## أ. هيفاء مختار جمعة

بالألوان الفاتحة، كالأبيض والأزرق لتعطي انطبعا لون البحر مع أشعة الشمس، ليخرج خلالها طابع البحر المتوسط والذي يتميز به أغلب الدول المحيطة على ساحل البحر المتوسط مثل ليبيا، وتونس، واليونان، ومالطا.

### استخدام المرايا في عكس الألوان والإضاءة:

هناك عدة طرق لاستخدام الألوان وإعادة توزيعها في أماكن عدة، منها المحلات، والمطاعم، وقاعات التصوير، كلها بحاجة إلى ألوان تؤدي الوظيفة الخدمية، ولزيادة تأثير هذه الألوان تزويدها بمرايا متعددة تقوم بعملية عكس الألوان والإضاءة، وإعطاء تأثير بمساحات شاسعة مشكل جمالي وفني للألوان المستخدمة<sup>(25)</sup> في تلك الأماكن.

### توظيف الألوان في مشكلات التصميم الداخلي :

للألوان تأثير قوى على سلوكنا وحالتنا المزاجية، لذلك فإن اختيار لون معين سيتوقف عليه الشعور بالراحة، لكن قد يكون هناك بعض المشكلات التي تسبب حيرة للكثيرين في حلها، وهذا يتبلور في خبرة المصمم الداخلي، ومدى نكاته من خلال توظيف الألوان لحل هذه المعضلات الفنية والتصميمية.

### الحجرة الضيقة:

هناك طرق عدة لمعالجتها:

1- طلاء الجدران بألوان فاتحة مضيئة، فالألوان الفاتحة تمنح شعوراً بالاتساع على عكس الألوان القاتمة التي توحى بضيق المساحة.

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

- 2- وضع لوحات فنية تحمل في ذاتها عمقاً وهمياً، أو الرسم على الجدران بألوان ورسومات ثلاثية الأبعاد.
- 3- استخدام قطع أثاث ذات ألوان فاتحة وذات وزن بصري منخفض كالزجاج والمرايا.
- 4- التعامل مع الإنارة الطبيعية والصناعية، واستخدام ألوان تعكس ماهيتها لتحقيق الهدف.
- 5- استخدام المرايا العاكسة .

### الحجرة الواسعة جداً :

عندما تكون المشكلة اتساع الغرفة بدرجة لا تتيح لك فرصة ترتيب الأثاث بشكل يلئم التصميم، فيمكنك حل هذه المشكلة من خلال إعادة توظيف الألوان على النحو الآتي:

- 1- استخدام ألوان طلاء الغرفة استخداماً واعياً يحقق انطباع أن الغرفة أكثر ضيقاً من مساحتها الفعلية كطلاء السقف بلون فاتح، والجدران بلون قاتم، فإن ذلك يوحي بأن الغرفة قد ضاقت.
- 2- استخدام قطع من الأثاث والإكسسوارات الكبيرة الحجم وبألوان تمتص الأشعة بحيث تقدم بعدم عكس الإضاءة لتعطي مظهراً بالعمق، وهي تكون بدرجات قاتمة أو غامقة.

### السقف المرتفع :

بإمكانك التغلب على مشكلة السقف المرتفع باستخدام:

- 1- طلاء سقف الغرفة بلون قاتم كالرمادي أو الأزرق أو الأحمر.

## أ. هيفاء مختار جمعة

---

2- استخدام إضاءة موجهة من أعلى إلى أسفل.

### السقف المنخفض:

يمكننا التغلب على هذه المشكلة باختيار وسيلة كالاتي:

- 1- طلاء الغرفة كاملة بلون واحد أي الجدران والسقف، وفي حال كانت الغرفة واسعة جداً يمكن استخدام ألوان غامقة للحائط و فاتحة للسقف.
- 2- وضع خطوط أو رسوم طولية بالألوان على الجدران.
- 3- تجنب عمل استخدام ألوان غامقة للسقف تعطي عمقاً أكثر.
- 4- استخدام قطع مرابيا كبيرة للسقف.

### الخاتمة:

اللون هو جوهر التصميم الداخلي (الديكور) والعامل الأساسي لتركيز قيمة الغرض من الناحية الجمالية والنفسية في آن واحد. ولا يمكن في عصرنا الحالي تجاهل أهمية اللون الصافي النقي لإظهار جمالية الغرض وتأمين إطار هندسي عفوي الصفة والتكوين. لذلك فاللون هو روح ورونق الطبيعة، وبشرة الجمال ضمن كل كائن وخليّة، وكونه بلا ألوان هو كونه جامداً، ترابي حزين. فالألوان كالموسيقى... تغمر الكون بأشعة الشمس وانعكاس ضوء القمر. ألوان في كل مكان تناسب لألأة خلال توهجها في الأماكن، فيخلق مناخاً إنسانياً فنياً إبداعياً بكل معنى للكلمة، وهو مناخ مناسب للقيام بالأعمال، وللعيش حياة رائعة مليئة بالتفاؤل.

## الألوان وعلاقتها بالتصميم الداخلي

واتسعت آفاق حرية اللون بفضل الاكتشافات التكنولوجية الحديثة التي خلقت مواد جديدة، وألواناً وصبغات جديدة وابتاد استخدام الألوان المشرقة والزاهية أمراً شائعاً في الصناعات، ونتوقع حدوث نظريات إضافية حديثة يركز عليها المصممون الداخليون في المستقبل.

ولا يمكن تحقيق تجانس لوني في التصميم من دون الإلمام بالقواعد الأساسية والأولية الخاصة بالألوان، والتي تقدم معلومات ضرورية والتي تحدثت عنها في بحثنا هذا، وعن ماهيتها وتوظيفها واستخدامها، والتي لا يستغنى عنها لتحقيق تجانس اللون في التصميم الداخلي.

أتمنى التوفيق من الله في الوصول إلى هذه المعرفة والاستفادة منها والعمل بها في مختلف تخصصات الفنون التشكيلية... والله ولي التوفيق.

### النتائج والتوصيات:

للفراغ الذي يعيش فيه الإنسان ويتعامل معه بأهمية كبيرة فإنه يحتوى على كثير من الإمكانيات المفيدة والمعروفة وغير المعروفة والتي تؤثر سلباً أو إيجابياً على الإنسان بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الأمر الذي يتوجب علينا الاهتمام به بأسلوب علمي يتفاعل معه لذا توصي الباحثة بالآتي:

- وضع تصميمات داخلية تتفق بين ذوق الإنسان وطاقة البيئة المحيطة به وذلك من خلال الاهتمام بالألوان وفراغات التصميم الداخلي مع مفهوم وطبيعة الطاقات المحيطة به وشخصية ونفسية الإنسان المستغل لهذا التصميم الداخلي .

## أ. هيفاء مختار جمعة

---

- دراسة دائرة الألوان بأسلوب علمي والتعامل معها بأحدث الطرق المستخدمة في مجال التصميم الداخلي العالمي.
- ضرورة التعامل مع الألوان من خلال منظور علمي يستند إلى الواقع العلمي وذلك بالاعتماد على اختيارات الألوان وما يسمى بالاختيار اللوني والتعرف على التركيبة اللونية من الناحية الكيميائية الفسيولوجية ومدى تأثيرها على الإنسان.
- الاهتمام بالدراسات العلمية المتعلقة بالألوان والعمل على إنشاء المختبرات العلمية ومراكز المعلومات والتواصل مع مؤسسات العلمية المتخصصة في الفنون مثل الجامعات وغيرها.



المراجع

- 1- فارس متري ضاهر، أصول هندسة الديكور، دار للقلم، بيروت، (د.ت)، ص7.
- 2- فارس متري ضاهر، المرجع السابق، ص12.
- 3- جمال عبد الحميد عبيد، موسوعة ديكورات المنزل، دار عالم الثقافة، عمان، الأردن، 2005، ص7.
- 4- جمال عبد الحميد عبيد، المرجع السابق، ص8.
- 5- جمال عبد الحميد عبيد، المرجع السابق، ص8.
- 6- سر الجمال عبد الحميد عبيد، مرجع سابق، ص8-9.
- 7- اسماعيل شوقي، لافن والتصميم، زهرة الشرق، القاهرة، 2001، ص184.
- 8- عبد الفتاح رياض، التصوير الملون، مكتبة الإنجلوا المصرية، القاهرة، 1965، ص102، أنظر الشكل(1).
- 9- عبد الفتاح رياض، مرجع سابق، ص102، أنظر الشكل(2).
- 10- فتحي الباب عبد العليم وآخر، التصميم في الفن التشكيلي، عالم الكتب، القاهرة، 1971، ص19-65.
- 11- اسماعيل شوقي، مرجع سابق، ص188.
- 12- اسماعيل شوقي، شوقي سابق، ص188.
- 13- جمال عبد المجيد عبيد، مرجع سابق، ص15.

#### أ. هيفاء مختار جمعة

---

- 14- نعيم عطية، حصاد الألوان، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1979، ص201.
- 15- مجاهد عبد المنعم مجاهد، دراسات في علم الجمال، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، 1980، ص21.
- 16- جمال عبد الحميد عبيد، مرجع سابق، ص193.
- 17- اسماعيل شوقي، مرجع سابق، ص192 - 193.
- 18- اسماعيل شوقي، مرجع سابق، ص195.
- 19- فارس متری ضاهر، مرجع سابق، ص34 - 35.
- 20- حسن حمودة، قواعد وأصول التنسيق، المتحدة للطباعة الفنية، القاهرة 1984، ص126.
- 21- ساعد سعد، عبيدة صبيعطي، الصورة الصحفية، دراسة سيمولوجية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2012، ص48.
- 22- حسن حمودة، المرجع السابق، ص120.
- 23- يحيى وزيري، التصميم المعماري الصديق للبيئة نحو عمارة خضراء، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003، ص124.
- 24- محمد عبد المنعم زكي، الفن والتصميم، مطبعة الموسكس، مصر، 1996، ص92.
- 25- نعيم عطية، مرجع سابق، ص202.

*Teaching Vocabulary to Fifth Year pupils in Libyan Primary Schools*

د. البشير عبد الحميد مفتاح أحمد  
كلية الآداب بالزاوية - جامعة الزاوية

*Abstract*

The paper has evaluated a sample of material which focuses on the teaching of vocabulary in Libyan Primary Schools. The major objective was to examine the underlying organising principles, teaching approaches and the learning processes, and to discover any shortcomings that might hinder the achievement of the intended outcomes. To fulfil this aim, as much information as possible was collected from various resources such as books, theses, study papers, journals and the World Wide Web. The discussion of the topic has covered three main points. They are a review of the relevant literature, analysis and evaluation of the material in question and, finally, suggestions of how this material might be improved. Because it was difficult to assess the material in isolation, reference to other involved factors such as the teacher, the student and the teaching/learning environment was occasionally made.

**INTRODUCTION**

This work will critically evaluate and examine a sample of material which focuses on the teaching of vocabulary. This material is taken from a book taught in Libyan primary schools to learners who are at the beginner's level. The assessment will cover such things as the underlying principles, the teaching approaches, the learning processes and the intended outcomes.

The importance of this study lies in the fact that the material assessed is part of a new set text book and this will provide the

opportunity to gauge the appropriateness and suitability of this new material to Libyan students. This will ultimately shed light on any weaknesses in order to help teachers be aware of them and to find ways of how this material can be optimally taught in its current form and improved in the future.

The paper will be divided into three major parts. The first part will try to review the relevant literature and trace the historical development of vocabulary teaching. The second part will be concerned with evaluating the material in question. The third part will consider ways in which the material can be improved. Ultimately, the conclusion will constitute the final part of the work in which the findings of the research will be summarised and some recommendations for further research will be given before providing a list of the references used.

### **PART I: THE LITERATURE**

#### **1.1. What is vocabulary?**

According to a dictionary definition, vocabulary is the words that a person uses. However, we are still faced with the question: what is a word? Any attempt to define a word will be confronted with some problems. First, it is not always the case that the written form matches the spoken form. For example, the two words *write* and *right* have the same pronunciation but they differ in writing. Moreover, the word *right* may have two meanings according to the context in which it occurs. Another issue is whether to consider groups of words like *bad*, *worse* and *worst* as a single word or different ones. A third consideration is related to compounds such as *head teacher* which conveys a different meaning from its separate constituents. A further problem concerns the use of idioms. For instance, is the idiom *to kick the bucket* which means *to die* a single word or a group of words?

Finally, what about words like *since* and *therefore* which almost bear no meaning unless they are used in context.

An attempt to resolve these problems is to use the notion of lexemes (Carter, 1998, p.7). A Lexeme is the abstract unit of vocabulary in a language which underlies a variety of related words. According to this definition words like *go*, *went* and *gone* will be found under the lexeme GO. The term will also embrace multi word expressions such as idioms and phrasal verbs and, therefore, the phrasal verb '*catch up with*' and the idiom '*kicked the bucket*' are considered single lexemes. Using the term lexeme will also help in dealing with words that have the same form but differ in meaning and thus words like present (v) and present (n) are considered different lexemes. However, there are words which are still problematic. For example, are the words *paper*, which means *newspaper* and *paper*, which means academic paper, one lexeme or two distinct lexemes? (Carter, 1998, 8)

As we have seen from the discussion above, although the term *lexeme* may have solved some of the problems of using the term *word*, it still has its own limitations. In our discussion and for purposes of simplicity, the terms *word*, *lexical item* and *vocabulary* will be considered variants for the same concept and, thus, will be used interchangeably.

### 1.2. How is vocabulary acquired?

A native speaker of a language knows thousands of word families, the most of which are learned by natural exposure to language and some of which are learned through formal study. The former type of learning is called incidental learning while the latter is known as explicit learning. Learning the vocabulary of a second language follows the same procedure. However, the acquisition of the second language vocabulary is influenced by some factors such as the

learners' native language, their culture, age and motivation. This makes it difficult to build a theory that accounts for learning vocabulary in both languages. Another difficulty concerns tracing the process of learning words in the human brain which involves very complicated neurological activities that yet need to be explored and explained (Schmitt, 2000, 116-117).

In spite of the above mentioned difficulties, there have been some models proposed to explain some aspects of the learning process of words in both L1 and L2. Schmitt (2000, p.117) suggests that vocabulary is acquired incrementally. This means that components of word knowledge are not learned all together. Instead, they are assimilated gradually and one at a time. Therefore, the denotation or the basic meaning of the word is learned before its connotations: the additional meanings associated with it. When a student is exposed to a word for the first time only some idea of its form and meaning is learned. The learning of the written form or the pronunciation of the word will mainly depend on the type of exposure. That is whether the word is seen in written text or heard verbally. In subsequent exposures, additional senses for the same word will be learned. Later and through sufficient number of examples, the learner will be able to develop awareness of the frequency, register and collocations of the item learned.

### **1.3. What strategies are used to learn vocabulary?**

There have been several attempts to create and develop some strategies for use by learners to help them work out the meaning of unfamiliar words. The following are suggested by Nation (2001, p. 217-222) and are grouped in three categories: planning vocabulary learning, finding information about words and establishing vocabulary knowledge.

#### **1.3.1. Planning vocabulary learning**

---

In planning vocabulary learning, some important factors have to be considered. Firstly, the choice of vocabulary to be learned should be consistent with learners' goals. For example, vocabulary learned by a student in education is different from that learned by one in medicine. Secondly, learners should also be aware of what aspects of word knowledge they should concentrate upon. Learners often focus on learning the meaning of the word; however, using words in certain contexts may require knowledge of other aspects such as their grammatical features and collocations. A third consideration will be the choice of various strategies. Learners should be able to decide which the most suitable strategy is for which purpose. They should also be able to switch between strategies when necessary. For example, a learner may try to infer the meaning of a word from the context before consulting a dictionary. Finally, since learning vocabulary requires recycling it, then repetition should be intentionally planned and organised, for example, by writing words in cards and repeatedly revising them.

### **1.3.2. Finding information about words**

The second type of strategy is concerned with how to find information about lexical items. This information can be obtained from the lexical item itself; from the context, from a reference or by comparing it with other lexical items. First, looking at the parts of the word may help in guessing its meaning. For example, suffixes and prefixes may provide valuable information about the grammatical category of a word and its meaning. A second factor is the context in which the word occurs. Being aware of the background knowledge and the linguistic cues preceding and following the word may also help in determining its meaning. Another important strategy is to consult a reference source. Reference sources can be written like dictionaries or they can be oral, such as asking a native speaker for

information about a word. A final procedure is to compare the learned word to others either in the first or second language. Learners often use their native language as a reference system in the process of learning a foreign language. They use it to make hypotheses about what is being learned (Muftah, 2001, p.xii).

### **1.3.3. Establishing vocabulary knowledge**

This set of strategies comprises certain techniques that may help in remembering words when they are needed for use. These include noticing, retrieving and generating. Noticing a word is the first step in learning it. When a new word is noticed by the learner, s/he can write it down in a notebook or s/he can repeat it orally or silently. Retrieving a word involves remembering a previously seen word and this enhances the link between the written or spoken form of the word and its meaning. A learner can, for example, try to retrieve the meaning of a list of words in his/her notebook by covering the written meaning, which can be an effective way in learning vocabulary. A final but most important strategy is generating. Generation includes procedures such as creating sentences containing the word and using the word in different contexts that involve the four language skills: listening, speaking, reading and writing.

## ***PART II: EVALUATION OF MATERIAL***

In order to gauge the suitability of the material, we need to find criteria that can be used to select the taught vocabulary and whether the material examined is following such criteria. According to Nation (2001, p.380), there are four main factors that should be considered in designing a vocabulary component of a language course. They are goals, principles, needs and environment.

### **2.1. Goals**

---



The material is taken from a book authored by Terry Phillips (2007) and taught to fifth year primary pupils. They are in the beginners' level and this is their first school year in studying English. The book is a part of a new series of a new syllabus. The new set syllabus is a serious trial from the Libyan government, which aims at improving the status of the English Language after changes in the international political policy of the country. By looking at the material we also find that the book comprises 8 units centred on the following themes respectively: myself, school, home, colours, family, animals, fruit and drinks, and finally people and objects. This is based on the principle that learning a new language can be best learned through direct association of words and phrases with objects and actions. Therefore, the book starts with words of objects that are close to the pupils. Objects that they can see and touch in the classroom and in school before moving to wider circles including home and family.

It is also clear that the book is based on integration of the four language skills For example lesson one in unit one starts with the imperative listen , read and say followed by numbers and some pictures of flags. That is the, the pupils will start the lesson by listening to a model saying the new words while looking at the pictures representing these words. then they will repeat these words while looking at their written form and finally saying these words themselves. this procedure based on the integration of the language skills is found throughout the whole book and is rooted in the idea that the four language skills could not be disentangled from each other in language performance (Brown 2003, p. 9).

## **2.2. Learners needs**

In order to consider the learners' needs, the teacher needs to know what vocabulary the learners know, what vocabulary they need and what vocabulary they want. This can be achieved by using different

needs analysis tools such as observations, tests, discussions, interviews and questionnaires (Nation, 2001, p.382).

However, as mentioned above, the book containing the material is taught to a fifth year primary class, which is the first year in studying English in Libyan public schools. All students have to pass this primary stage and the following preparatory and secondary stages before they can choose a major. This means that the learners have no choice but to study this material irrespective of their interests and future intentions. By looking at the book as a whole I found that the vocabulary is basic and simple to cope with the learners level. It is also centred around themes directly related to learners' environment and surroundings including words related to the learners themselves, their school, their home, food, and animals.

### **2.3. Environnent**

Environnent comprises three elements. They are the learner, the teacher and the teaching/learning situation (Nation, 2001, p. 382). With regard to the teacher, the material is new and challengeable. Most of the teachers are not well qualified and, therefore, find it difficult to teach the new syllabus. To overcome this difficulty, the government has been organising annual teacher training courses to improve their teaching skills. However, because these courses are not well planned and organised, teachers fail to benefit sufficiently from them.

Because learners have been taught for a long time using traditional methods of teaching, they are reluctant to be taught in a different style. They share one linguistic background and, thus, they prefer use of translation by the teacher to define words, which is also preferred by unqualified teachers. Although teachers are permitted to use L1 judiciously (Larrea, 2002), they should encourage the learners to use

L2 from the beginning which will eventually lead to more proficiency in the target language.

The teaching/learning situation is also important. The time specified for English lessons, which is four periods per week, might not be sufficient to benefit from the course satisfactorily. The number of students in one classroom, which is often over 30 students per class, is another negative factor. Not all students will have the opportunity to participate in class activities. Also, classrooms and schools lack necessary facilities such as computers, TV screens, CD players and visual aids. Therefore, teachers have to be creative in order to compensate for these facilities by maximally exploiting what is available. They can, for example, ask the learners to draw pictures or to bring some objects from their homes that may help in illustrating the meaning of some words. Specifically, Teachers can bring their own CD players to give the students the chance to practice listening to the native speakers of the language by using the audio material accompanied with the coursebook.

#### **2.4. Principles**

The principles that we need to consider in evaluating the material in question are related to three major areas. They are content, presentation and assessment. The first two are dealt with in this part while assessment will be focused on in a separate section. That is when we talk about ways of improving the material in the third part of this paper.

##### **2.4.1. Content**

The vocabulary focused on in the material in question is limited to nouns. Some adjectives and verbs as well as prepositions are also found but in a very limited extent. from the very beginning, learners are taught to make the plural form of nouns by adding s to the singular form. This also necessitates giving numbers also from the very

beginning. Teaching of words is done by direct association with objects represented by pictures. Moreover, emphasis from the beginning is given to the use of these words in phrases and sentences by using articles (*e.g., a flag*), pronouns (*e.g., my dad*), a statement (*e.g., I am African*) and, finally a question (*e.g., Is it a flag?*).

Adjectives, on the other hand are only introduced in the last unit by giving a very small number of adjectives such as *short, new, small* and *hot* although the names of some basic colours are introduced earlier, (*Unit 4*), and which are used as adjectives in subsequent lessons.

As for verbs, their use is limited to verb forms of BE that are necessary to generate simple sentences (*e.g., I am Omer, This book is red, They are monkeys*). Moreover, what is said about verbs applies to prepositions. That is, their existence in the book is very limited. Only four prepositions were found throughout the book. these are *from, on, in* and *about*. They are either illustrated by pictures or by using them in simple sentences (*e.g., I am from Libya*). However, neither the illustration nor the frequency of their occurrence was adequate.

Some compound nouns are also included such as *sitting-room, downstairs, grape juice* and *milk shake*. When learners learn these words, they may face some difficulty not only related to their length and structure in which they have a different meaning from their separate constituents but also related to placing stress in the right position. Therefore, teachers should not only be aware of the fact that English stress placement system is different from that of Arabic but also of the negative effect that may this difference have on learning English by Arab students.

Limiting most of the vocabulary to nouns can be attributed to the fact that this is the first year learners study English and this beginner's level demands associating words with objects which can only be obtained by the use of nouns.

Other related elements to the content of material are core vocabulary, frequency, range, and learnability. Core vocabulary is those words which are more central or basic to language than others (McCarthy, 1990, p.49). It is not easy for a non-native speaker to decide which word is core and which is not. However, since the level of the material is beginners' level, all words seem to belong to core vocabulary of the learned language. They are familiar to ordinary people and are highly frequent words.

Regarding the frequency of these words, it is needless to say that the most frequent words in a language are the most valuable for language learners. Therefore, there is a tendency to start teaching a foreign language with these words. However, there is no absolute agreement to what is frequent and what is not. The reason for this is that different people use different criteria for deciding on what is frequent and what is not. This will involve factors such as whether the corpus from which the words are chosen is spoken or written or both and of what size. The type of words included is also important. For example, whether multi-word items are included or excluded (McCarthy, 1990, p.66-67).

For the material we are considering, it is very difficult for me as a non-native speaker to decide whether the words included are the most frequent words in English. However, because the new series was prepared by native speakers of the language and professionals in course design, the words included are likely to be of high frequency. It is believed that highly frequent words must be taught in the early stages of learning a language to provide learners with the basis necessary for understanding and communicating in the target language (Ibid, p.66-67).

Range is another important element in determining the significance of the vocabulary contained in teaching/learning material.

Vocabulary can be considered of a wide range when it is found in a variety of texts. Again, it is difficult for a non-native speaker to decide whether the word is of a wide or small range. However, one can refer to a good dictionary to find out about the range of a word. The English, from which the material analysed is a part, is general English and intended to a beginner's level and, therefore, it is not likely to contain words that are field-specific.

Finally, as for Learnability, teachers have to consider some factors that make words easy or difficult to learn. Words might be difficult due to their spelling or pronunciation or their syntactic features. Similarity in meaning between some words might also be a source of trouble to the learners (McCarthy, 1990, p.68-87). They may have some pronunciation problems with words like *cat*, *chair* and *pencil* in which the c letter has different pronunciations. They may also face some problems pronouncing words like *dog* and *orange* due to the variation in the pronunciation of the letter g. However, the Activity Book accompanying the Pupil's Book provides a number of exercises that may help in learning the words and overcoming any learnability difficulties.

#### **2.4.2. Presentation**

In dealing with presentation, two main points will be discussed. They are the vocabulary teaching approach and the teaching activities and techniques used to achieve the intended outcomes. According to Nation (2001, p.388) there are two types of vocabulary learning: direct and indirect and the latter should be given more time than the former. The direct approach focuses on teaching words in isolation and explicitly by giving exercises such as matching words and word lists. The indirect approach, on the other hand, focuses on the implicit teaching of vocabulary by integrating it in various communicative activities such as listening to stories, task based activities,

conversations and games. This will not only encourage receptive acquisition of vocabulary as in the direct method but productive acquisition as well.

### **Teaching approach**

When we examine the material we find that the vocabulary is generally taught using the direct approach. Words most of the time are presented with pictures representing objects. As mentioned above, associating words with the objects representing them will enhance the learning of these words and incorporating them in the learner's linguistic knowledge in the brain.

The use of the direct method can be justified by the fact that this book is taught to pupils who have just started learning English, which means that their language is still very limited. However, this does not mean that communicative activities are not used. From the beginning, learners are encouraged to use words in meaningful utterances such as phrases (*e.g., my family, a bag, p.7*) and sentences (*e.g., She is short, they are big, p.52*) by using a variety of techniques including *listen, read and say, ask and answer, listen and complete, etc.*

To enhance the memory of the learners and make them remember the words they have already learned, the book includes exercises intended to recycle the lexical items which encourage them to memorise, remember and produce these words when needed. For example, the *read and complete* exercise includes sentences in which the last word is replaced by a picture of the object which that word represents. Learners are required to read and complete each sentence with the word represented by the picture (See p.31 in the Pupil's Book for an example).

### **Activities and techniques**

There are five essential steps that need to be followed in learning vocabulary (Hatch and Cheryl Brown, 1995, p.373). These steps are,

---

encountering a new word, getting its form, getting its meaning, linking the form and meaning together in memory and, finally, using the word. Therefore, techniques must be designed and sequenced in a way that is consistent with these steps. Furthermore, they must be designed to ensure that “repetition, retrieval, generation and thoughtful processing occur” (Nation, 2001, p.389). This can be achieved by including sufficient number of activities of various types to provide the learners with the opportunity to have adequate practice in the language being learned. This will also ensure maintaining their interest in the taught material.

In our material and as previously mentioned, the new words are presented using pictures. However, the presentation of these words in this way is not enough for learning the form of these words and the meaning of the pictured items. Learners will face problems producing these words accurately and spelling them properly. Moreover, writing the words may also cause trouble to learners. As for pronunciation, teachers are encouraged to use the CD accompanying the book to give the learners the opportunity to hear the words from native speakers of the language. With regard to learning word forms, the book does not provide the chance to write the full form of the word. Instead, writing exercises found in the book (See p. 55 for an example) let learners practice writing single letters not full words. In a similar manner, the activity book also focuses on writing single letters or completing words in which a single letter is dropped. To solve this problem, teachers can give students additional practice in writing full words and simple sentences. This procedure does not only help pupils improve their writing ability but it also enhances vocabulary learning in general.

When the learners are familiar with the visual or auditory form or both and when they know the meaning of these words, they are ready

---



to consolidate form with the meaning in their memory. Oxford (1990 cited in Hatch and Cheryl Brown, 1995, p.384) suggests some strategies that strengthens the link between form and meaning of words. These strategies include putting new words into a context, regularly reviewing the taught material and connecting the new learned words to information already in the memory.

The new words in the book investigated are generally presented with pictures or in context in the form of meaningful short simple sentences in most of the activities in both the Pupil's Book or the Activity Book. Moreover, words are given some amount of recycling which is especially achieved by including two revision units through a variety of exercises such as *look and remember*, *read and complete* and *listen and choose*.

Using the new words is the final essential step in learning vocabulary. Using words does not only test the learners understanding and whether the intended outcomes are obtained but also ensures that the meaning learned will not be forgotten (Hatch and Cheryl Brown, 1995, p.390). However, this will only be achieved if that use was regular and continuous. Although the material given in the units provides some activities that help in learning the words and using them in context, the teacher should always provide chances to the learners to revise these words whenever possible both in class by the use of complementary activities and at home by asking the learners to do some relevant homework. It is the responsibility of the teacher, then, to try to give his learners sufficient opportunities to practice these words regularly and to use them in generating meaningful sentences suitable to their level.

### **SECTION III: WAYS OF IMPROVING THE MATERIAL**

Before we critically examine the material again in order to suggest how this material can be improved, some important facts should be

mentioned. First, the material taught is only one factor of the teaching/learning process and any evaluation of this material or the intended outcomes should consider other factors involved such as the learners themselves and the teacher. This, however, will not be easily obtained. Lack of resources and references about the environment where the material is taught in addition to limitations of space and time will restrict our examination and, thus, these factors will only be minimally touched. In what follows, elements such as organising vocabulary, presenting vocabulary and learners' activities in the classroom will be discussed.

### **3.1. Organising vocabulary**

By examining the content of the Pupil's Book, we find that most of the vocabulary is presented in a form of single words associated with pictures to illustrate them and clarify their meaning. Teaching words by presenting them in a list is one of the features of the direct approach (Nation, 2001, p.388), which is only suitable for developing receptive skills. Therefore, teachers are advised not to teach these listed words in isolation and to integrate them in different contexts. throughout the book, some of these words are used in meaningful short simple sentences and conversations suitable to the pupils level. My contention is that these are not enough and thus, it is the responsibility of the teacher to help learners generate similar sentences and conversations in which they can use these words.

Another problem with this material relates to the distribution of words in the lessons of the units. Every unit is divided into six lessons and while some lessons contain many new words (*e.g., lesson one, unit 7*), other lessons have included no new lexical items at all (*e.g., lesson six, unit 5*). Teachers, then, will face difficulty teaching some lessons in one period each since the number of words that can be taught in one period and can be assimilated by learners should be

suitable for the learners' cognitive abilities. Therefore, any future editions aiming to improve this material should take this into consideration.

A final remark regarding the organisation of the material concerns integrating the Pupils' Book and the Activity Book in a single book. The two books are relatively small and most of the exercises in the Activity Book are directly related to the material in the Pupil's Book which makes it more practical and beneficial if they are put together. In addition, some teachers only rely on the Pupils' Book in their teaching without paying attention to the Activity Book except for asking their pupils to do the exercises found in the activity book on their own as homework. The two books are intended to complement each other and to be worked on simultaneously. Thus, integrating the two books will not only save valuable time but will help learners to concentrate and avoid confusion when searching for material for each exercise. This also makes teachers pay more attention to the exercises found in the Activity Book and give beneficial feedback to their pupils.

### **3.2. Presenting vocabulary**

As far as the presentation of material is concerned, it has been noticed that most of the focus in the Pupil's Book is given to listening, speaking and reading while writing is given more emphasis in the activity book. In order to provide balance between the four language skills and give them equal attention, teachers are advised to pay equal and simultaneous attention to both books. In addition, they can convert some of the listening, speaking and reading activities into writing exercises. Moreover, these writing exercises should not be limited to copying single letters but it should include full words and sentences.

As for speaking, it might not be realistic to expect students at such a low level to speak fluently. However, teachers can encourage them to read aloud simple sentences and to play the roles of the conversations found in the book not just to listen to them read or said by teacher.

Listening is also an important skill which also requires sufficient attention. Unfortunately, most of the Libyan teachers are not aware of this or they complain that time is not sufficient to conduct the listening activities. Some others attribute their neglect of this skill to the lack of equipment such as recorders and computers. This can be overcome by giving pupils a tape of the recorded material to copy at home themselves and to assign the listening activities as homework. This, however, is not an optimal solution since pupils at this level need some direct instructions before, while and after listening. Moreover, some of them will not have enough enthusiasm to do the listening exercises individually.

To conclude, although the organisation of the set books in addition to the teacher's book, if available, may draw guidelines that can be followed in presenting the material and dealing with the students activities, it is the teachers themselves who can make the choice between these learning processes and techniques or invent others that, they think, are suitable for their learners capabilities and needs.

### **CONCLUSION**

This work has critically evaluated a sample of material which focuses on the teaching of vocabulary. Evaluation of the teaching material helps in determining whether the material is suitable for the learners, their needs and their goals. Also, it enables the identification of any problems that the material has and this will help teachers to find suitable solutions to them. Evaluation provides the opportunity to

learn from the experience of others and to try to improve what is being assessed accordingly.

The sample was a course book taught in Libyan public schools to 10 year old pupils who are at the beginner's level. Elements such as organising principles, teaching approaches, the learning processes and the intended outcomes have been examined. Suggestions on how the material might be improved and justifications of the suggestions were also given. Throughout the paper links to relevant background literature were provided.

Although I tried to cover all the related topics, it was impossible in a limited time and space to deal with all aspects in more detail; many other aspects remain ambiguous and need to be investigated. Another factor is that it was difficult to deal with the material in isolation. Therefore, reference was made whenever possible to the other important constituents of the teaching/learning process such as the teacher, the student and the environment. Another difficulty concerned the lack of Libyan sources related to the material such as the teacher's book and the taped material.

It is, therefore, a recommended task to my Libyan colleagues who are interested in carrying studies in the field of teaching a foreign language to try to investigate in more depth the teaching situation in Libya and its circumstances and how these can be improved in the future.

## REFERENCES

- Brown, H. Douglas (2003) *Language Assessment: Principles and Classroom Practices*. California: Longman.
- Carter, Ronald (1998) *Vocabulary: Applied Linguistic Perspectives*. 2<sup>nd</sup> ed. London and New York: Routledge.
- Hatch, Evelyn and Cheryl Brown (1995) *Vocabulary, Semantics, and Language Education*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Larrea, Edgar (2002) *Should we (or should we not) use L1 in the communicative English Classroom*. Universidad del Pacifico Language Centre. Lima-Peru.  
([http://api.ning.com/files/ixm8XRTHkrgBIDCNnZa9RfBJbbwKWOUJYArSigJFkT0\\_/UsingL1intheEFLClassroom.pdf](http://api.ning.com/files/ixm8XRTHkrgBIDCNnZa9RfBJbbwKWOUJYArSigJFkT0_/UsingL1intheEFLClassroom.pdf)) [Accessed 07<sup>th</sup> November 2015].
- McCarthy, Michael (1990) *Vocabulary*. Oxford: Oxford University Press.
- Muftah, Albashir (2001) *English and Arabic sound systems*. Thesis (MA). Tripoli: Alfateh University.
- Nation, I. S. P. (2001) *Learning Vocabulary in Another language*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Oxford University Press. *Word*. Oxford Advanced Learners' Dictionary [online]. (<http://www.oxfordlearnersdictionaries.com/>) [Accessed 07<sup>th</sup> November 2015].
- Schmitt, Norbert (2000) *Vocabulary in Language Teaching*. Cambridge University Press.
- Phillips, Terry (2009) *English for Libya: Primary 4 Pupil's Book*. Reading: Garnet Publishing Ltd.
- \_\_\_\_\_, (2009) *English for Libya: Primary 5 Activity Book*. Reading: Garnet Publishing Ltd.